The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Theology
Master of Islamic belief &
Contemporary doctrines

الجامعة الإسلامية – غزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

السنن الإلـهية في الظالمين
دراسة في ضوء العقيدة الإسلاميـة

Heavenly Approaches Applied to Unfair and Corrupted People
A Study on the Light of the Islamic Belief

إِعدَادُ البَاحِثِة
رهف محمد حسن حنيدق

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
صالح حسين الرقب

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي العقيدة والمذاهب المعاصرة بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

أغسطس/ 2016 م– ذي القعدة/ 1437هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

السنن الإلـهية في الظالمين و المفسدين في الأرض
دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية

Heavenly Approaches Applied to Unfair and corrupted people on Earth
A study on the light of the Islamic belief

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	رهف محمد حسن حنيدق	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2016/7/4	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية-غزة
The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا		هاتف داخلي 1150

الرقم: Ref:

التاريخ: ج س غ/35/ Date:

2016/09/27م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **رهف محمد حسن حنيدق** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

السنن الإلهية في الظالمين – دراسة في ضوء العقيدة

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 25 ذو الحجة 1437هـ، الموافق 2016/09/27م الساعة العاشرة صباحاً بقاعة المؤتمرات بفرع الجنوب، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. صالح حسين الرقب	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. محمود يوسف الشوبكي	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عبد السميع خميس العرابيد	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبد الرؤوف علي المناعمة

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى الوقوف على سنة الله في خلقه؛ وما هي قوانين الانتصار والهزيمة المترتبة على طاعة الله أو معصيته؟ وجدوى التقوى، خشية من الله من ناحية، وشكراً من ناحية أخرى؛ وفي سياق ذلك سعت الباحثة لحشد أكبر قدر ممكن من الأدلة القرآنية وتأويلاتها في وعي علماء سابقين ومعاصرين؛ خاصة تلك التي تدور حول سِيَرِ الظالمين وكيف انتهت حقبهم ومراحل دولهم؛ كما استدلت على آراء وتحليلات مختلفة بأحاديث نبوية شريفة من كتب الصحاح؛ هذا عوضاً عن أقوال الأئمة والسلف في هذا الإطار.

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، "كأسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة، عن ظاهرة أو موضوع محدد خلال فترات زمنية معلومة؛ وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية تم تفسيرها بطريقة موضوعية ، وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة".

تمحورت أسئلة وفروض الدراسة حول العلاقة بين المعصية البشرية والعقاب الإلهي، كما طرحت تساؤلات مختلفة حول سنة الله في التغيير والصراع بين الحق والباطل؛ وما الذي تعنيه الفتن والابتلاءات؟ ودلالة ذلك في إطار ما حدث وما يحدث، وهل إملاءات الله للظالم أو أخذه تندرج أيضا ضمن السنن الإلهية الراسخة؟؟ أم أنها حدثت من قبل وانتهى الأمر؟؟ ثم ماذا عن الذين يمكرون ويمكر الله إزاءهم؟؟ وهل ثمة علاقة بين الترف والشكر ودوام النعمة؟؟ أم أن الجحود قد يكون سبباً في الزوال والانقراض؟

خلصت الدراسة إلى أن لله تعالى سنناً لا تتغير ولا تتبدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:11]، وأن الصراع بين الحق والباطل مستمر، وابتلاء المؤمن يظل مستمراً حتى يلقى الله، كما أن الإنسان مستدرج، فيما الظلم هلاك، و للطغيان أسبابٌ كثيرة منها: الكبر، والعُجب، والحسد، والمال، والملك، والسلطة، وقد حاربه الله سبحانه كما حارب المكر والمترفين المفسدين .

وتوصي الباحثة في هذا السياق؛ بضرورة العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في استنباط السنن الإلهية، وضرورة أن يأخذ أهل العلم والدعاة دورهم؛ وأن الإلمام بسنن الله هي من أسباب رفعة الأمة، كما توصي الباحثة بربط السنن الإلهية بالواقع، ثم إفراد دراسات مستفيضة في كل سنة من السنن؛ حتى تؤتي الفائدة ثمارها .

Abstract

This study aims at explaining the established ways of Allah with His creation and showing what are the laws of victory and defeat dependent on obeying and disobeying Allah. This is in addition to explaining the worth of fearing Allah and thanking Him. In such a context, the researcher tried to collect the biggest number of Quranic evidences and their interpretation relevant to the biographies of wrongful people and how their time had ended up. The researcher also concluded other opinions by quoting different sound Prophetic traditions and sayings of the Imams in this regard.

The researcher used the descriptive analytical method, "as a method of analysis that is based on adequate and accurate information to study a phenomenon or a specific topic during the specific times; in order to obtain practical results that can be interpreted in an objective manner, and in line with the actual facts about that phenomenon."

The questions and hypotheses of the study focused on relationship between human sin and divine punishment. It also raised various questions Allah established way pertaining to change and the struggle between right and wrong. What is the meaning of a trial and tribulations? And significance of that in the context of what has happened and what is happening, and whether Allah' prolonging the time of the wrongdoer or taking him also falls under divine established laws? Or had it happened ever before and ended up? Then what about those who plot against Islam and Allah plots against them? Is there a relationship between luxury and thanking Allah and blessing continuity? Or that ingratitude may be the cause of extinction?

The study concluded that Allah doesn't change the conditions of people unless they change what lies in themselves, and the struggle between the good and evil will continue forever. Believers will always be tested until the dooms day. Tyranny has many reasons including: arrogance, pride, envy, money, kinghood, and power. Allah has fought against tyranny, the cunning, and affluent spoilers.

The researcher recommends in this context; the need to return to the Holy Book of Allah and the Sunnah of His Messenger in identifying divine ways. There is also a need for the scholars and preachers to take their role. Knowing Allah's established ways are the reasons for the elevation of the nation. The researcher recommends linking the divine law to reality, and then making extensive studies about every established way of Allah.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾

[التوبة: 105]

الإِهدَاْءُ

إلى محبي الله ورسوله ﷺ

إلى كل مسلم ومسلمة في بقاع الارض

إلى أهالي فلسطين في الداخل والشتات

إلى أرواح الشهداء الذين قضوا نحبهم في سبيل الله

إلى الأسود القابعين وراء القضبان ينتظرون عبق الحرية

إلى الزاحفين لرفع رايات الإسلام، يمتطون صهوة المجد إلى العلياء

إلى المخلصين في كل زمان ومكان

إلى منهل العلم ومنارات الهدى أساتذتي الكرام

إلى العاملين في سبيل الله

إلى الشباب الطامح إلى غد مشرق

إلى صناع الحرية

إلى هؤلاء جميعاً أهدي بحثي هذا

شكرٌ وتقديرٌ

امتثالاً لأمر الله ﷻ ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة:152]. أتقدم بالشكر والعرفان والامتنان إلى أستاذي وشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور صالح حسين الرقب حفظه الله تعالى وكل من عضوي المناقشة، اللذان تكرما بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإبداء الملحوظات التي تزيد هذه الرسالة كمالاً وحسناً، وهما:

فضيلة الأستاذ الدكتور: عبد السميع خميس العرابيد وفضيلة الأستاذ الدكتور: محمود يوسف الشوبكي سائلة المولى ﷻ أن يجزيهما عني خير الجزاء والثواب.

كما وأقدم عميق شكري وتقديري وامتناني إلى أساتذة كلية أصول الدين كلٍ باسمه ولقبه، كما وأتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي ومعلمي الأول مدرس اللغة العربية الأستاذ ماجد فارس الذي تكرم عليَّ ودقق لي الرسالة تدقيقاً لغوياً لتظهر بأحلى وأبهى صورة.

كما وأشكر الجامعة الإسلامية بغزة، التي أتاحت لي الفرصة لإكمال دراستي العليا، سائلة الله عز وجل أن يجزيهم جميعاً أحسن الجزاء والثواب.

أما والدي ووالدتي نبراس حياتي، اللذان زرعا فيَّ حبَّ الله وحبَّ رسوله ﷺ منذ نعومة أظفاري، واللذان مهما كتبت عنهما فلن أوفيهما حقهما، وكم كنت أتمنى وكانا يتمنيا أن يشهدا هذا اليوم، ولكنها تصاريف القدر، ولقد كنت أقسمت بين طيات نفسي أن أقبل قدميهما في هذا اليوم أمام كل هذا الحفل الكريم امتناناً مني لهما، ولا أظن إن فعلت أن أكون قد أديت لهما جزءاً قليلاً مما قدماه لي، لذلك أرجو الله أن آتي أنا وعملي كله يوم القيامة في صحيفة أعمالهما، ليقول الله ﷻ لهما: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف:16].

كما أتقدم بخالص الحب إلى زوجي الغالي الأستاذ محمد حسين أبو سعيد الذي سمح لي أن أكمل مسيرتي التعليمية، فكان نعم السند، ونعم المعين، ونعم المحب.

كما لا أنسى أن أشكر شمعتي حياتي أمل ونور ابنتيَّ اللتين كانتا نعم السند والمعين لي في أعمال البيت ورعاية إخوتهم طوال مراحل الدراسة، فتفوقنا جميعاً، فحفظهما الله لي، وحفظ إخوتهم أسامة وأكرم وأحمد.

وأخيراً أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذه الرسالة إلى النور، وأخص بالذكر كل من: الدكتورة مي أبو شاويش معلمتي وأُستاذتي، والدكتورة أحلام طوير التي كانت نعم المربية، ونعم المعلمة، ونعم الأخت الناصحة لي، ورفيقة دربي المهندسة رولا أبو شاويش، والغالية رضاب مقداد، والمهندس خالد أبو السعيد ابن عمتي، وزوج ابنتي محمد أبو السعيد، والدكتور محمد الأديب والدكتور أحمد الأديب أولاد خالتي، وصديقاتي: الدكتورة سماري أبو طويلة، وغاليتي معزوزة طومان، وغاليتي مها شلولة، ورفقة الماجستير: الشهيدة ياسمين ظهير، هيفاء سكافي، هالة الزق، هناء البرش، كما وأشكر كل من خصني بدعوة خالصة في ظهر الغيب حتى وصلت إلى هذا اليوم المشهود. فلكم مني جميعاً خالص الاحترام والتقدير.

فهرس المحتويات

المقدمة

المقدمة

الحمدُ لله حمداً يوافي نعمه ويُكافئ مزيده، الحمد لله على نعمة الإسلام، والقرآن، وكفى بهما من نعمة، والصلاة والسلام على رسول الله، وخاتم النبيين محمد ﷺ، أما بعد:

فإن الناظر لواقعنا يرى الظالمين قد طَغَوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، والله عز وجل قد نزَّل على الناس أصناف العذاب والابتلاء، أفراداً وجماعات، فهذا مصاب بالمرض، وهذا بالفقر، وآخر قد فقد أعزَّ الناس وأحبَّهم إليه، ونجد شعوباً وأمماً، لا تبرح الزلازل والبراكين ديارهم، وآخرين قد حلَّ القحط، والجدب أراضيهم، وآخرين فتكت الأمراض بهم، وآخرين اشتعلت ديارهم ثورات، وفتن، كقطع الليل المظلم.

وفي المقابل نجد أفراداً وجماعات، يتقلبون في النعيم، بيوتٌ فارهة، وقصورٌ شامخة، وشهواتٌ قد أسكرتهم وشغلت أيامهم ولياليهم، لا يأمرونَ بمعروفٍ، ولا ينكرون منكراً، ومع ذلك قلما تحلُّ بهم المصائب والمحن.

وعند استعراض أحوال الناس، قد نرى ما يجعلنا نظنُّ أنَّ لهذه السنن الإلهية شذوذاً، كأن نجد عصاة مستغرقين في عصيانهم ومع ذلك يتقلَّبون في النعيم، وينعمون بوافر من الصحة ورغد العيش، وفي المقابل نجد أناساً في غاية التقوى والصلاح والاستقامة، والمصائب لا تزال نازلة بهم، والأمراض والأسقام لا تفارقهم.

ويدخُلكَ العجب وأنت ترى كل ذلك، ويُداخلك الشك في حكمة الخالق سبحانه، إذا لم يكن لديك إيمان راسخ، وحسنُ ظن بالله عز وجل.

فيأتينا الأمر الإلهي بالتفكر في ظاهر النصوص، واستخلاص العبر، ومعرفة السنن، لعلنا نعقل أو نتذكر.

أسباب اختيار البحث:

1- إن قضية السنن الإلهية في الظالمين، هي واحدة من الحقائق التي غابت عن كثير من المسلمين، لذلك رأيت أنه من واجبي وواجب المسلمين أن يسدوا الثغرة في بنيان المعرفة الإسلامية، وأن يظهروا هذا العلم المكنون في القرآن الكريم، ليكون معيناً للأمة على التبصر بكيفية السلوك الصحيح في الحياة.

2- واقع المسلمين اليوم وما يعيشه الوطن العربي من ثورات، وانقسامات، وفتن، أمسى الحليم فيها حيراناً، وما يحيق بالأمة العربية المسلمة من ظلم، وقهر، وطغيان يمارسه أصحاب الظلم، والقوة، والنفوذ، والسلطان؛ دفعني للبحث في هذا الواقع وسُبل الخلاص منه.

3- الكشف عن سنة الله في الكون والإنسان من حيث الدمار، والإهلاك، نتيجة الإفساد في الأرض، من خلال نماذج من الأمم التي أهلكها الله.

4- تبصير المسلمين بأسباب النقمة، والهلاك، والعذاب، الذي يحيط بالأمة اليوم.

5- إقامة الحجة الواضحة على المسلمين في أن الانحطاط، والفتن، والحروب، التي تجتاح الأمة العربية ما هي إلا نتيجة للظلم، والبغي، والعدوان، والسكوت عن الحق، والخوف من بغي السلطان.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية البحث من الأمور الآتية:

1 - كونها تلبي ضرورة ملحة في بيان وكشف الظالمين في الأرض، بما فيه من مكر الماكرين وخداع المخادعين لهذا الدين وأهله.

2- ارتباطها بالواقع الذي نعيش فيه، حيث انتشر الظلم والفساد وفشا بين الناس، لضعف إيمانهم، وابتعادهم عن منهج ربهم.

3- كونها بيَّنت أن الظلم والطغيان لن يفلح أبداً ، وأن الله ﷻ تكفل بالرد على مكر الماكرين، وظلم الظالمين، وفساد المفسدين، وفي ذلك تحذير من الله لكل من سولت له نفسه بالتجرؤ على عباد الله وظلمهم.

4- كونها ساهمت في تقديم سبل الوقاية، والعلاج الشافي من الظلمات التي وقعت فيها الأمة المسلمة، وكيفية التخلص من تلك المعضلات التي تحيق بها، وبيان عاقبة الظلم والإفساد في الأرض في الدنيا والآخرة، وما في ذلك من دروس وعبر.

- إن معرفة السنن الإلهية واجبة من أجل التغيير والإصلاح، والارتقاء بالأمة، وإعادة مجدها الضائع.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة مشابهة لما قمت به، وإنما كانت دراسات للسنن الإلهية بشكل عام، ولم يقم أحد من الباحثين بدراسة السنن الإلهية في الظالمين والمفسدين دراسة أكاديمية، وعند البحث والتقصي وجدت ما يلي:

1- رسالة دكتوراه للباحث د. عبد الكريم زيدان بعنوان: "السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد"، تحدث فيها الباحث عن السنن الإلهية بشكل عام ذاكراً ما يعاني فيه الوطن العربي من هموم، ومشكلات، وبعض الحلول لهذه المعضلات.

2- رسالة ماجستير، مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بغزة، بعنوان: "عوامل ارتقاء الأمم وانحدارها في ضوء القرآن الكريم" مقدمة من الطالب: عودة سليمان عيد أبو مصطفى، تحدث فيها عن: تعريف الظلم، والنهي عنه، وخطر الظلم على الأمة، وذَكَرَ نماذج لأمم ظَلَمت، وانحدرت، فأهلكها الله.

3- وجدت جهوداً لبعض الكتاب، مثل كتاب: "السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم" للأستاذ: مجدي محمد عاشور، تكلم فيه ايضاً عن السنن الإلهية، وذكر الاستكبار، والطغيان .

أما بحثي هذا فلقد تعرضت فيه إلى السنن الإلهية في الظالمين، من تغييرهم وتبديلهم لعقائدهم ومبادئهم وأخلاقهم، حيث أنهم بدلوا الإيمان بالكفر، ورضوا بالباطل وساندوه، وأقاموه، وجعلوه مكان الحق، وتحدثت عن صراع أهل الحق مع أهل الباطل، صراع الصالحين مع الظالمين، وعن استدراج الله ﷻ للظالمين، وفتنتهم، وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، راجية من الله ﷻ أن أكون قد وفقت لما فيه صالح البشرية، دون أن أطيل أو أخُل بموضوع البحث.

طريقتي في الدراسة:

اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي التحليلي وفق الخطوات التالية:

1- جمع الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر السنن والمتعلقة بموضوع البحث، ووضع كل آية تحت العنوان المناسب لها، مع تفسير هذه الآيات من كتب التفسير كلما دعت الحاجة لذلك، بالإضافة إلى عزو الآيات القرآنية التي وردت في هذا البحث إلى سورها، ذاكرة اسم السورة مع رقم الآية مباشرة، وليس في الحاشية.

2- الاستدلال بالأحاديث النبوية، والآثار، التي تخدم هذا البحث من مظانها الصحيحة، وعزوها إلى مصادرها، مع تخريجها إن لم تكن في الصحيحين، ودعت الحاجة لذلك، مع ذكر حكم العلماء عليها.

3- عمل تراجم للأعلام المبهمين.

4- توثيق النصوص المنقولة في الهامش، اسم الشهرة، اسم المؤلف. اسم الكتاب، عدد المجلدات. الطبعة. ومكان النشر. وسنة النشر. الجزء والصفحة. وعندما يتكرر المرجع أكتفي باسم الشهرة والمرجع.

5- إعداد الفهارس اللازمة، وذلك لتسهيل الوصول إلى المطلوب.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وكل مبحث يحتوي عدة مطالب، والخطة كالتالي:

السنن الإلـهية في الظالمين والمفسدين في الأرض

دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية

المقدمة:

أهمية البحث وأسباب اختياره

التمهيد:

1- تعريف السنة لغة واصطلاحاً

2- أهمية دراسة السنن الإلهية

3- خصائص السنن الإلهية

4- معنى الظلم لغة واصطلاحاً

5- انواع الظلم

6- صفات الظالمين في القرآن الكريم

المبحث الأول: السنن الإلهية في تغيير الظالمين

تقديم: مفهوم التغيير وحقيقته

المطلب الأول: صور تغيير الظالمين

المطلب الثاني: موجبات التغيير

المطلب الثالث: نماذج لسنة الله في تغيير الظالمين

المبحث الثاني: السنن الإلهية في الصراع بين الصالحين والظالمين

المطلب الأول: معنى الصراع وأسبابه

المطلب الثاني: نماذج من السنن الإلهية في الصراع بين الصالحين والظالمين

المطلب الثالث: مظاهر الصراع بين الصالحين والظالمين

المطلب الرابع: آثار الصراع بين الصالحين والظالمين

المبحث الثالث: سنة الله في فتنة الظالمين واستدراجهم وإملاءهم

المطلب الأول: معنى الفتنة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: أنواع فتن الظالمين

المطلب الثالث: معنى الاستدراج والإملاء لغة واصطلاحاً

المطلب الرابع: أنواع استدراج الظالمين وإملاءهم

المطلب الخامس: علامات المستدرجين الظالمين

المطلب السادس: نماذج من سنة الله في المستدرجين الظالمين

المبحث الثالث: السنن الإلهية في عاقبة الظالمين

المطلب الأول: صور الظلم

المطلب الثاني: عاقبة الظالمين في القرآن الكريم

المطلب الثالث: أنواع السنن الإلهية في عاقبة الظالمين

المطلب الرابع: أسباب هلاك الأمم الظالمة

المطلب الخامس: نماذج من سنة الله في أخذ الظالمين

المبحث الثالث: نماذج في سنن الله تعالى في أنواع الظالمين

المطلب الأول: الطغاة

المطلب الثاني: الماكرين

المطلب الثالث: المترفين

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يلهمني السداد والتوفيق، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإن زل قلمي فأسأله سبحانه العفو والمغفرة.

التمهيد

التمهيد

أولاً: تعريف السنة لغة واصطلاحاً:

تعريف السنة لغة:

من خلال الاطلاع على معاجم اللغة العربية تبين أن للسنة معان كثيرة، وسوف اقتصر على المعاني المناسبة لعنوان بحثي هذا. وهي:

1- **السيرة والطريقة:** "سواء حسنة كانت أو قبيحة، وهي مأخوذة من السنَنَ وهي الطريق"[1].

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:26]، ﴿يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: "طرائقهم الحميدة"[2]. ومن ذلك ما جاء في الحديث: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"[3].

2- **جريان الشيء واطرّاده في سهولة:** والأصل قولهم: سنَنَت الماء على وجهي أسنه سنا، إذ ارسلته ارسالاً.

3- **العادة الثابتة المستقرة:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء:77]، فالسنة هنا تعني: "العادة الثابتة التي حكم الله بها وقضاها"[4].

تعريف السنة اصطلاحاً:

السنة لها في الاصطلاح معان متعددة بحسب الفنّ الذي ترد فيه، وبيان ذلك في معنيين:

1- ابن منظور،. لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط3. 1414هـ- 1993م. (295/6-)402. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ - 2005م. ص 1557-1559.

2- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، (8ج). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع،1420هـ - 1999م. (480/1).

3- [مسلم، القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط). (د. ت). كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، 704/2: رقم الحديث1017.

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (54/3).

1- الشريعة: جاءت السنة بمعنى مرادف للدين والشريعة عند السلف وهي: ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والهدي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: "السنة هي الشريعة وهي ما شرعه الله ورسوله من الدين"[2]، وقال أيضاً: "إن السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات"[3]، ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قوله: "من رغب عن سنتي فليس من أمتي"[4].

2- وتطلق السنة على العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة: حيث أطلق السلف مصطلح السنة على أصول الدين، أي الأمور الاعتقادية، فقالوا: "السنة هي: ما سلم من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة"[5]، وقال ابن رجب[6]: "وكثير من العلماء المتأخرين يخصّ

---

1 - ابن تيمية: هو محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر الحراني. الشيخ، الإمام، العلامة، المفتي، المفسر، الخطيب البارع، عالم حران، وخطيبها، وواعظها، ولد سنة 42هـ، وتوفي سنة 122هـ، كان صاحب فنون، وجلالة ببلده. انظر الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. سير أعلام النبلاء، (25مج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط3. مؤسسة الرسالة، 1405هـ - 1985م. (290/22).

2- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية. (د. ط)، 1416هـ - 1995م. (436/4).

3- المرجع السابق، (378/3).

4- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، (9ج). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي). (د. م)، 1422هـ- 2001م. 2/7: رقم الحديث 5063.

5- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن. كشف الكربة في وصف أهل الغربة. تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني. ط2. الفاروق الحديثة، 1424هـ - 2003م. ص26-28.

6- ابن رجب الحنبلي: هو عبد الرحمن بن احمد بن رجب بن الحسن ابن محمد بن مسعود البغدادي، الدمشقي، الحنبلي، الشهير بابن رجب، محدث، حافظ، فقيه، اصولي، مؤرخ. ولد ببغداد، وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة 744 هـ وسمع بمكة وبمصر، وتوفي بدمشق في 4 رمضان، ودفن بالباب الصغير سنة 795هـ. انظر كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني. معجم المؤلفين، (13ج). بيروت: مكتبة المثنى. (د. ط). (د. ت). (118/5).

السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم"[1].

المقصود بالسنن الإلهية:

من خلال ما سبق بيانه في معنى السنة لغة واصطلاحاً، تبيَّن للباحثة أن المقصود بالسنن الإلهية: هي تلك العادات الثابتة المستقرة، التي تجري في الكون، وفق مراد الله تعالى، ولقد عرفها بعض المعاصرين كالتالي:

"أنها تلك النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله المطلقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر، إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين"[2].

وقال أخر: "هي القوانين الحاكمة قدراً في العباد، التي تجري باطراد وثبات وعموم في حياة البشر "[3].

ومن خلال استعراضنا للمعنى الاصطلاحي للسنن الإلهية نرى أن: لله تعالى في الأفراد سنن، وفي الأمم سنن، وفي الكافرين والمنافقين سنن، وفي المسلمين والمؤمنين سنن، وفي الظالمين والماكرين سنن، سواء كانوا كافرين أو مسلمين، وجميع هذه السنن تعمل مجتمعة، لا تتخلف ولا تتبدل، يخضع لها البشر في تصرفاتهم، وأفعالهم، وسلوكهم في الحياة، ويترتب على ذلك نتائج مثل: النصر أو الهزيمة، السعادة أو الشقاوة، العز أو الذل، الرقي أو التخلف، القوة أو الضعف. قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب :62]، وقوله ايضاً: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:77].

ثانياً: أهمية دراسة السنن الإلهية:

تحتل السنن الإلهية مساحة واسعة من مفردات هذا الدين، ولا أكون مغالية إذا قلت أن فهم السنن الإلهية يشكل ركيزة أساسية من ركائز الفهم الشامل للإسلام، وتنبع أهمية دراسة هذه السنن، من كونها لها دور عظيم في تجلية معالم المستقبل وفق منظور القرآن الكريم.

1- ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، (2ج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1422هـ - 2001م. (120/2).

2 - قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي. في ظلال القرآن. (6مج). ط17. القاهرة، بيروت: دار الشروق، 1412هـ- 1991م. (479/1).

3 - الجريتلي، أبو مريم محمد. السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع. 2011/12/24م، موقع الألوكة: http://www.alukah.net/publications_competitions/0/37004/.

ففي القرآن الكريم تقرير جلي لسنن الله في الكون والنفس والحياة، يقصد من بيانها تحقيق ما يلي:

1- "تعظيم الله عز وجل، ومزيد الإيمان به، وذلك بالاطلاع على شيء من بديع حكمته، وعظيم صنعته، إذ يعرف الإنسان الذي اطلع على سنن الله تعالى في الكون والحياة، أنه لا مكان في الحياة للصدفة العمياء- كما يقال- ولا مكان في الحياة للفوضى والارتجال"[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49].

2- "أن معرفة سنن الله جزء من معرفة الدين، أو معرفة لجزء من الدين، وأن هذه المعرفة ضرورية، ومن الواجبات الدينية؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياه، حتى لا نقع في الخطأ والعثار، والغرور والأماني الكاذبة، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه"[2].

3- أن معرفة هذه السنن تجعل المؤمن يجاري هذه السنن، وينتفع بها ويستفيد منها، فإن موافقة السنن الإلهية سبب للنجاح والفلاح، وإهمال هذه السنن، أو الجهل بها؛ سبب للدمار والبوار.

4- أن معرفة الإنسان لهذه السنن تمنحه بإذنه تعالى قدرة على تفسير الأحداث، وتحليلها- خاصة الكبرى- تفسيراً شرعياً سليماً.

5- معرفة السنن والسير على هداها تحقيق لمعنى الاستخلاف في الأرض.

6- معرفة السنن والسير على هداها اجتماع للكلمة، ووحده للصف[3].

7- "تَبَيِّنَ أن كتاب الإسلام هو المرشد الأول لسنن الاجتماع والعمران، ولكن المسلمين قصروا في طور حياتهم العملية عن تفصيل ذلك بالتدوين لعدم شعورهم بالحاجة إليه، وكان حقهم في هذا العصر أن يكونوا أوسع الناس به علماً، لأن كتاب الله مؤيدٌ للحاجة بل الضرورة التي تدعو إليه"[4].

1- العودة، سلمان فهد. مطارق السنن الإلهية. موقع إسلام ويب:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=14001

2- زيدان، عبد الكريم. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد. مؤسسة الرسالة. (د. م).(د. ط). (د. ت). ص14.

3- انظر الجريتلي، أبو مريم محمد. السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، سلمان العودة، مطارق السنن الإلهية.

4- رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين. تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار. (12ج). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1421هـ- 1990م. (482/9).

ثالثاً: خصائص السنن الإلهية:

إن الله عز وجل خلق الخلق، وأعطى الأمر لكل شيء، ليسير الكل في تناغم وانسجام، وربط الأسباب بالمسببات، كي يستقر الكون، ويسير على نظام متكامل، متوازن، واذا نظرنا وتأملنا في القرآن الكريم نجد أن: هذه السنن لها خصائص، ومميزات، لا تتغير مهما تغير البشر، وهذه الخصائص واضحة التعاليم، بينة، صريحة، لا يلابسها غموض، ولا غبش، ولا لبس، فهي تهدي للتي هي أقوم، وتدل على أصل كل شيء، فهي لا تخضع لإرادة بشر، ولا تَسْتَحي من أحد، ولا تُحابي أحد.

وهذه أهم خصائص السنن الإلهية:

1- **الثبات:** أي لا تتبدل ولا تتغير، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب:62]، "فهي عبارة عن قوانين وقواعد ثابتة، قد خلقها الله سبحانه لتنظم وتحكم حركة الكون والحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتنظم قواعد التغيير، وتتحكم بالدورات الحضارية، موضحة عوامل السقوط، وعوامل النهوض الحضاري"[(1)]. قال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾[الإسراء:77]، يقول سيد قطب[(2)] في تعليقه على هذه الآية: "وهكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنته الكونية الثابتة التي لا تتبدل، فأي سكينة؟ وأية ثقة؟ وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سننه الجارية في هذا الوجود؟ وهي سنة دائمة لا تتبدل"[(3)].

2- **العموم والشمول:** "وهي حاكمة على جميع الأمم، والأفراد، والمجتمعات، دون استثناء"[(4)]، و كوننا نعيش في رقعة إسلامية، ولنا تاريخ مشترك، وانتماء معين لا يغير من واقع السنن الإلهية شيئا قط، فإن الله ﷻ يقول: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النساء:123]، إن القضية قضية عمل وجزاء، من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا والآخرة، بل حتى الرسل تنطبق عليهم تلك السنن

1- الجريتلي، أبو مريم محمد. السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع. بتصرف.

2 - سيد قطب: يعد سيد قطب مفكر جماعة الإخوان المسلمين ومؤسس الكثير من أطروحاتهم النظرية وتعتبر كتبه المرجع الأساسي لفهم الخلفيات الفكرية لهذه الجماعة. ولد في أسيوط مصر في 1906م، حكم عليه بالإعدام سنة 1966م. انظروا سيد قطب. موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/.

3- سيد قطب، في ظلال القرآن (481/8).

4- الجريتلي، أبو مريم محمد. السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع.

ويخضعون لها[1]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:65].

3- الاطّراد: والمقصود بالاطراد هنا التكرار، فأينما وجدت الظروف المناسبة، المكان، والزمان، والأشخاص، والأفكار، وُجدت هذه السنن[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "سنته تعالى مطّردة في الدينيات والطبيعيات، وقال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:43]، دليل على أن هذا من مقتضى حكمته، وأنه يقضي في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف، فإذا كان قد نصر المؤمنين لأنهم مؤمنون كان هذا موجباً لنصرهم حيث وجد هذا الوصف، بخلاف إذا ما عصوا ونقضوا إيمانهم"[3].

4- حتمية الوقوع والنفاذ: هذه الخصيصة تستنبط من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117]، يقضي بأن سننه كما هو قضاؤه متحققة لا محالة، لأنَّ السنن نوع من القضاء[4].

رابعاً: معنى الظلم:

الظلم لغة: "ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْماً، فهو ظالمٌ وظَلوم"[5]، والظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه، أَوِ التَّعَدِّي فِي حَقِّ غَيْرِه، وقيل: الظُّلْمُ: الميل عن القصد، والظَّلَمَةُ: المانعون أهل الحقوق حقوقهم، وتَظَالَم القومُ: ظَلَمَ بعضهم بعضاً[6]، "والظُّلْمَةُ: عدمُ النّور، قال تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:257]، وعبّر بها عن الجهل والشّرك والفسق، كما يعبّر بالنّور عن أضدادها"[7].

الظلم اصطلاحاً: وضع الشيء في غير موضعه، ومبارزة الرب بمخالفة شرعه، والتعدي على حقوق الغير.

1- انظر سليمان فهد العودة، مطارق السنن الإلهية.

2- انظر الجريتلي، انظر السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع.

3- ابن تيمية، جامع الرسائل، (54/1).

4- انظر خصاونة. قزق. السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل. ص 216-219.

5 - ابن حبان، البحر المحيط، مادة ظلم، (1134/1).

6 - انظر ابن منظور، لسان العرب (373/12-375). ابن فارس، مقاييس اللغة (468/3). العظيم أبادي، عون المعبود (282/4).

7- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص537.

وقال ابن رجب رحمه الله: "الظلم المطلق أخذ ما ليس له أخذه، ولا شيء منه، من مال، أو دم، أو عرض"[1].

يقول ابن حجر رحمه الله: "إن الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها؛ لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار"[2].

وقيل: "هو عبارةٌ عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل وهو الجور، والتصرّف في ملك الغير، ومجاوزة الحد"[3].

وأما الظالم فهو: "الواضع للشيء في غير موضعه"[4]،"المعتدي على غيره، صاحب الكبيرة"[5]، "المبتعد عن الطريق المستقيم"[6].

خامساً: أنواع الظلم:

قد ورد عن غير واحد من السلف: "الظلم ثلاثة دواوين: فديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً. فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فهو الشرك؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً؛ فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم. وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه"[7].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين، وأسرعها محواً، فإنه يمحى بالتوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب

1- الحنبلي، عبد الرحمن بن رجب بن الحسن. شرح حديث لبيك اللهم لبيك. تحقيق: وليد عبد الرحمن محمد آل فريان. ط1. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1417هـ- 1996م. ص13.

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (100/5).

3- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي. التعريفات الفقهية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ- 2003. ص139.

4- الطبري، جامع البيان (581/5).

5- علي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن، فتح البيان في مقاصد القرآن، (15ج). تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، بيروت: المكتبة العصرية، 1412هـ- 1992م. (248/11).

6- المراغي، تفسير المراغي (164/4).

7 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى (162/18).

المكفِّرة، ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها"[1].

وأنواع الظلم كثيرة، لكن بعضها دون بعض، وكلها شر وندامة، ومنها :

الأوّل: ظُلْمُ الإنسان لربه: من أعظم أنواع ظلم الإنسان لربه عز وجل: الكفر والشّرك والنّفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة:254]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، "فهو أعظم الظلم"[2]؛ لذلك سُئل رسول الله ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ"[3]، فهذا لا يغفره الله أبداً إلا بالتوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[النساء:48]، ولهذا كان جزاء صاحبه أن يخلد في النار يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:72].

الثاني: ظلم الإنسان لنفسه: قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:32]، ومن الظلم للنفس هو تركه واجباً من الواجبات، أو إتيانه محرماً من المحرمات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:1]، فهذا يكون بين العبد وبين ربه فقط، وهذا هو أسهل أنواع الظلم وأيسرها؛ لأن الله ﷻ غفور رحيم، وإذا قَدِمَ العبد على ربه ظالماً غير مشرك به، فإن كل ظلمه سوف يغفره الله جل وعلا إذا شاء ولا يبالي، فكله متعلق بمشيئة الله عز وجل، إن شاء غفر إن شاء عذب.

الثالث: ظلم العباد بعضهم لبعض: قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:40-42]، ويكون ظلم العباد بعضهم لبعض: إما بهتك أعراض الناس، أو بأكل

1- ابن القيم الجوزية، الوابل الطيب من الكلم الطيب . تحقيق: سيد إبراهيم. ط3. القاهرة: دار الحديث، 1420هـ- 1999م. ص19.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (336/6).

3- [البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، 18/6: رقم الحديث 4477]. [مسلم، صحيح مسلم، كتاب الغيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده، 90/1: رقم الحديث 141].

أموالهم، أو سفك دمائهم، أو بمنع حقوقهم التي وجبت عليهم، فهذا مبناه على المشاحاة والمقاصاة[1]، ولا يترك الله منه شيئاً إلا أن يعفو صاحب الحق، فإن لم يعف صاحب الحق فلا بد من أداء الحق إلى صاحبه[2]. قال رسول الله ﷺ: "إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا"[3]، وقال أيضاً ﷺ: "لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ"[4]. وعن سفيان الثوري[5]رحمه الله قال: "إن لقيت الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله تعالى، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد"[6]. وهذا النوع من الظلم يمكن تقسيمه إلى:

1- ظلم قولي: ومن صوره: التعرض للناس بالغيبة والنميمة، والسباب والشتم، والاحتقار، والتنابز بالألقاب، والسخرية والاستهزاء والقذف والاتهام بالباطل ... وغيرها.

2- ظلم فعلي: ومن صوره: القتل بغير حق، وأكل أموال الناس، ومنه ظلم الأولاد، والزوجات، والسرقة، والرشوة، والربا، والزنا، واللواط، والتجسس، والغلول، والميسر، والغش في المعاملات ... وغيرها من المظالم الفعلية[7].

1- المقاصة: من القصاص والمعنى يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض. تعليق مصطفى البغا على حديث: "إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا" البخاري، صحيح البخاري 128/3: رقم الحديث 2440..

2- انظر الغنيمان، عبد الله بن محمد. شرح فتح المجيد. دروس صوتية مفرغة. الدرس 32. المكتبة الشاملة. http://www.islamweb.net

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظالم، 128/3: رقم الحديث 2440.

4 - مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، 1997/4: رقم الحديث: 2582. حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة 13/375 ,: رقم الحديث 7996.

5- سفيان الثوري: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري، الكوفي، المجتهد، مصنف كتاب "الجامع"، ولد سنة سبع وتسعين اتفاقا، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق: سعيد بن مسروق الثوري وكان والده من أصحاب الشعبي وخيثمة بن عبد الرحمن ومن ثقات الكوفيين وعداده في صغار التابعين. روى له الجماعة الستة في دواوينهم. سير أعلام النبلاء (621/6).

6- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط3. بيروت، دمشق: دار ابن كثير، 1421هـ - 2000م. ص380.

7- انظر السقاف، الشيخ عَلوي بن عبد القادر، ومجمعة من الباحثين. صور الظلم. موسوعة الأخلاق الإسلامية، موقع الدرر السنية على الإنترنت: http://www.dorar.net/enc/akhlaq/2359

أنواع الظلمة:

يقول الراغب الأصفهاني[1]: إن الظلمة ثلاثة:

1- الظالم الأعظم: وهو المشرك الذي لا يدخل تحت شريعة اللّه تعالى، وإياه عنى بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان:13].

2- الظالم الأوسط: وهو الذي لا يلتزم حكم السلطان، أي ما وضعه السّلطان من أنظمة وقوانين، لتيسير الحياة، ولا تتعارض مع أحكام الشرع.

3- الظالم الأصغر: هو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس ولا يعطيهم منفعة، ومن خرج عن تعاطي العدل: بالطبع، وبالخُلق، والتخلق، والتصنع، والرياء، والرغبة، والرهبة، فقد انسلخ عن الإنسانية، ومتى صار أهل كل صقع على ذلك فتهارشوا، وتغالبوا، وأكل قويهم ضعيفهم، ولم يبقَ فيهم أثر قبول لمن يمنعهم ويحثهم على الفساد، ويصدهم عن سبيل الله، فقد تقدم أن عادة الله سبحانه في أمثالهم إهلاكهم، وإفناؤهم، واستئصالهم عن آخرهم[2].

سادساً: صفات الظالمين في القرآن الكريم:

إن الظالمين لهم صفات وردت معظمها في القرآن الكريم، ولقد حذرنا الله من الاتصاف بها، وإلا خسرنا الدنيا والآخرة، ومن هذه الصفات:

1- الاستبداد: فالظالم مستبد برأيه، مستبد بأفعاله، مستبد برعيته، يظن نفسه الأعلم بكل شيء، الأعلم بنفسه، وبأهله، وبمصالح رعيته، وبشؤون بلاده، فهو صاحب الرأي السديد، قال تعالى حاكياً عن فرعون الظالم: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:29].

2- محاربة المصلحين والدعاة: إن الظالم يحارب المصلحين والمخلصين والدعاة بدعوى الحفاظ على مصالح الشعب والأمة، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر:26].

1- الراغب الاصفهاني: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني). المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. الأعلام للزركلي (255/2).

2 - انظر الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. الذريعة إلى مكارم الشريعة. تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. القاهرة: دار السلام، 1428هـ - 2007م. ص 254.

3- الاستخفاف برعيته: الظالم مستخف بشعبه، مستهزئ بهم وبإمكانياتهم وقدراتهم، يستغل سطوته فيهم، ويستغل فسادهم، فيلزمهم طاعته، قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف:54].

4- دائم الوعيد والتهديد لمخالفيه: فالظالم يستخدم كل وسائل البطش والتعذيب؛ للتنكيل بخصومه وإرهابهم، دون مراعاة لحرمة أو كرامة إنسانية، قال تعالى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأعراف:124]، وقوله تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف:127]، كما أنه يَمُنُّ على المصلحين، ويستغل هفواتهم، ويتهمهم بأبشع التهم، مراعاة لمصلحته، وسعياً وراء شهواته، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الشعراء:18-19].

5- الجحود بآيات الله والإعراض عنها: الظالم جاحد بآيات الله، معرض عنها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:49]، وقال أيضاً: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ [الكهف: 57].

6- التعدي على حدود الله وشرعه: الظالم يتعدى حدود الله غير آبه بها، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:229]، كما أنه رافض لحكم الله تعالى، سواء كان قادرا على ذلك - كأن يكون قاضياً، أو ذا منصب، أو يملك القرار- أو اضمره في نفسه كمبدأ وعقيدة، قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة:45].

7- ولاؤه للكفار: الظالم ولائه للكفار، ولا يدخر جهداً في إرضائهم، وكسب ودهم وحبهم، ولو كان ذلك على حساب أقرب الناس إليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[التوبة:23].

8- الصد عن ذكر الله والدعوة لدينه: الظالم يصدُّ الناس عن ذِكر الله، ويمنعهم من الدعوة لدينه، واخلاص العبادة له، فيحرق المساجد ويغلقها ويدمرها، خوفاً على مصلحته الدنيوية

ومنصبه السياسي، وخدمة لأعداء الإسلام، قال تعالى﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:114].

9- تزيين الباطل وتكذيب الحق: الظالم ينصر الباطل ويظهره، ويزينه، ويُرغب الناس فيه، ويشوه الحق، ويزيفه، ويكرهه للناس، ويعاقب من يقوله، وينتصر له، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت:68]، والظالم كاذب، مفتر على الله، وعلى رسوله، وعلى الناس، ابتغاء مصالحه، أو نكاية بالمسلمين، أو المصلحين، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:144][1].

1- انظر قلاوون، أمين. صفات الظالمين في كتاب الله تعالى، موقع http://kalawounamine.ahlamontada.com/t208-topic

المبحث الأول

السنن الإلهية في تغيير الظالمين

تقديم: مفهوم التغيير وحقيقته:

تعريف التغيير لغة:

عند البحث في معاجم اللغة العربية تبين لي أن مادة (غيّر) تعني: "تغيَّر الشيءُ عَنْ حَالِهِ: تَحَوَّلَ. وغَيَّرَه: حَوَّله وَبَدَّلَهُ كأَنه جَعَلَهُ غَيْرَ مَا كَانَ. وفي التنزيل العزيز قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:53]. وورد في حديث الاستسقاء: "مَنْ يَكْفُرِ اللهَ يَلْقَ الغِيَرَ"[1]، أَي: "تَغَيُّر الحال وانتقالها من الصَّلاح إلى الفساد"[2].

تعريف التغيير اصطلاحاً:

التغيير هو إحداث انقلاب شامل في المفاهيم، والأساليب، والسُّلوك، لتحقيق نتائج مغايرة، وينقسم التغيير إلى قسمين:

1- **التغيير الإيجابي:** هو التحوُّل من مجمل الأوضاع السيِّئة إلى الأوضاع الحميدة، سواء كانت الأوضاع فكريَّة، أو سياسيَّة أو اقتصاديَّة، أو اجتماعيَّة، أو ثقافيَّة، أو إداريَّة.

وبمعنى آخر: هو التغيير البنَّاء الذي يقوم على هدم الأوضاع السيِّئة، تمهيداً لوضع الأسس اللأّزمة لبناء سليم، يحقِّق طموحات الفرد والمجتمع.

2- **التغيير السَّلبي:** هو ردَّة طوعيَّة أو قسريَّة، سريعة أو متدرِّجة، من أوضاع حسنة مقبولة، إلى أوضاع فاسدة رديئة، وأوضح مثال على التغير السلبي هو: ابتعاد الأمَّة الإسلاميَّة عن عقيدتها[3]

1- ابن منظور، لسان العرب (40/5). الزبيدي، مرتضى. تاج العروس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية. (د. م). (د. ط). (د. ت). (2869/13).

2- أبو السعادات الجزري، المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم. النهاية في غريب الأثر، (4ج). (د. ن). (د. م). (د. ط). (د. ت). (253/3).

3- انظر مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة "جامعة اليرموك"، إربد، الأردن، (2007/4/18م). http://islamport.com/w/amm/Web

المطلب الأول

صور تغيير الظالمين

إن الظالمين غيروا وبدلوا وارتكبوا من المحظورات صوراً وأشكالاً عدة، وردت كلها في القرآن الكريم، ولكي نبينها ونوضحها فلا بد من معرفة المواضع التي ذكر فيها التغيير في القرآن الكريم.

ذكر التغيير في أربعة مواضع، موزعة على أربع سور مدنية النزول، بالاشتقاقات التالية:

1-(يُغيِّرُنَّ): في قوله تعالى﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:119]. المقصود بالتغيير هنا: تغير دين الله وهو قول ابن عباس، وقال ابن مسعود: "هن الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات[1]خلق اللّه"[2].

2-(يُغيِّرُ): في قوله تعالى﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:11]، أجمع المفسرون أن المراد بالتغيير هنا: أن الله لا يغير ما بالناس من النعم بإنزال الانتقام إلا بأن يكون منهم المعاصي والفساد[3].

3-(يُغَيِّرُوا): وردت في سورتين في قوله تعالى﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال:53، وفي قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:11].

من خلال تتبع موارد لفظ التغيير في القرآن الكريم فقد وردت مجموعة من صور التغيير، كلها قد ارتكبها الظالمون ومن ذلك:

1- الواشرات: المرققات أسنانهن، والمتنمصات: الناتفات للشعر، المستوشمات: المتنقشات

2- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (4ج). ط3. بيروت: دار الكتاب، 1407هـ- 1986م. (567/1).

3- انظر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. مفاتيح الغيب. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ - 2000م. (20/19).

أولاً: تغيير خلق الله: قال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء:119]، جاءت هذه الآية في معرض حديثه تعالى عن غواية إبليس لعباد الله، ودعائه إياهم إلى طاعته، وتزيينه لهم الغواية، والضلال، والكفر، حتى يبعدهم عن الطريق المستقيم من خلال أمره للعباد بتغيير خلق الله.

وقد اختلف العلماء في هذا التغيير على أقوال أبرزها:

1- تغيير دين الله: لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:30]، "وهذا التغيير نوعان:

النوع الأول: تغيير فطرة الله تعالى: فمن كفر غيَّر فطرة الله، لقول رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ"(1).

النوع الثاني: "تغيير الحلال حراماً، والحرام حلالاً"(2).

2- تغيير الصفات الحسية للخلق: وذكر العلماء من ذلك: "التخنث، والترجل، وبتر العيون، وشق الآذان، والوصل، والنمص، والوشم"(3)، وعمليات التجميل كتصغير الأنف، وتكبير الشفتين، والثدي، حتى وصل الأمر إلى تحسين المظهر، وتجديد الشباب دون وجود دوافع ضرورية، أو حاجة تستلزم ذلك، مما دعا العلماء إلى دراسة هذه القضية، فحرمت هذا النوع من العمليات مستدلين بقول الله ﷻ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:119]، وبقول رسول الله ﷺ :"لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُوتَشِمَاتِ، وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ"(4).

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، (94/2): رقم الحديث 1358. مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (2047/4): رقم الحديث 2658.

2- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. جامع البيان في تأويل القرآن. ط3. بيروت: دار المعرفة، 1398هـ- 1978م. (183/5).

3- الرازي، مفاتيح الغيب (49/11-50). الوشم هو: غرز إبرة أو نحوها في الجلد حتى يسيل منه الدم ثم يحشى الموضع بكحل أو نحوه فيتلون الجلد ولا يزول بعد ذلك أبداً. والنمص: أخذ شعر الوجه بالمنقاش وهو ما يسمى بالملقط، والمتفلجة: وهي التي تبرد أسنانها لتفترق عن بعضها لأجل الجمال.

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، 147/6، رقم الحديث: 4886.

ثانياً: **تغيير النعمة:** قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[الأنفال:53][1]. قال الضحاك[2]: "ما عذب الله قوماً قط، ولا سلبهم لنعمة، ولا فرق بينهم وبين العافية، حتى كذبوا رسلهم، فلما فعلوا ذلك ألزمهم الذل وسلبهم العز "[3].

وقال ابن عطية[4] في تفسيره لهذه الآية: "أخبر الله تعالى أنه إذا أنعم على قوم نعمة، فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغييرها، وتكديرها، حتى يجيء ذلك منهم، بأن يغيروا حالهم التي تُراد وتحس منهم، فإذا فعلوا ذلك، وتلبسوا بالتكسب بالمعاصي أو الكفر الذي يوجب عقابهم، غير الله نعمته عليهم بنقمته منهم"[5].

ثالثاً: تغيير ما بأنفس القوم: قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الرعد:11]، قال قتادة[6]في هذه الآية: "وإنما يجئ التغيير من الناس، والتيسير من الله، فلا تغيروا ما بكم من نعمة الله"[1]. وقال الإمام ابن تيمية: "هذا التَّغيير نوعان:-

---

1- انظر درقاوي، عبد الحكيم (2010/1/16م). مفهوم التغيير في القرآن الكريم.

2- الضحاك: هو الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن سنان بن محارب بن فهر الفهريّ، قال البخاري: له صحبة، مات النبي ﷺ وله من العمر ثمان سنين، ك ان الضّحاك بن قيس مع معاوية بدمشق، وكان ولّاه الكوفة، ثم عزله ثم ولّاه دمشق، وحضر موت معاوية، فصلّى عليه، وبايع الناس ليزيد، فلما مات يزيد بن معاوية ثم معاوية بن يزيد دعا الضّحاك إلى نفسه. انظر ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة، (8ج). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1994م. (3/387-389).

3- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. بحر العلوم. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). (27/2).

4 - ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي. الأعلام. ط15. دار العلم للملايين، 2002م. (282/3).

5- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ-2001م. (541/2).

6- قتادة: هو قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه. ولد سنة ستين، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ. انظر سير أعلام النبلاء (270/5).

أحدهما: أن يُبْدوا ذلك فيبقى قولاً وعملاً يترتَّب عليه الذَّمُّ والعقاب.

والثَّاني: أن يغيِّروا الإيمان الذي في قلوبهم بضدِّه من الرَّيب والشَّكّ والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقُّون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور "[2].

ومما سبق نجد أن التغيير الذي قام به الظالمون ورد ذكره في القرآن والإشارة إليه هو التغيير من الإيمان إلى الكفر، ومن اليقين إلى الشك والريبة، ومن الطاعة إلى المعصية، ومن حاكمية الله إلى سلطان البشر، ومن اتباع منهج الله إلى اتباع أهواء البشر، فعندما أحدث الظالمون هذا التغيير استحقوا عقاب الله وسخطه، و تبديل ما كانوا فيه من نعمة، قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا إِلَّا يُوشَكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ"[3].

وقد ورد في الأثر: "أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية، ولا أهل بيت، يقومون على طاعة الله، فيتحولون إلى معصية الله، إلا حول الله عنهم ما يحبون إلى ما يكرهون"[4]

1- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ- 1998م. (2233/7).

2- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ- 1995م. (109/14).

3- السجستاني: أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي. سنن أبي داود. تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، (د. ط)، (د. ت). كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، 122/4: رقم الحديث 4338. قال الألباني في السلسلة الصحيحة (3353): حديث حسن صحيح.

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (444/4).

المطلب الثاني
موجبات التغيير

إن لله سنناً اجتماعية في نشأة المجتمعات الإنسانية، قوتها وضعفها، ازدهارها وانحطاطها، وهذه السنن لا تتخلف نتائجها عن مقدماتها، ولا تنفك أسبابها عن مسبباتها، فإذا أردنا أن نحدث التغيير فلا بد من مقومات، أو وجود شروط، وهي:

أولاً- العقيدة الصحيحة: لقد علمنا أن الكفر، والشرك، والظلم، هم أسباب في تحول الحال من أحسن حال إلى أسوأ حال، فالإيمان بالله تعالى يعُد شرطاً أولياً لبسط النعمة، أو بالمصطلح المعاصر "قيام الحضارة"، أو الرفاهية والرخاء، والعمل الصالح الذي يترجم هذا الإيمان إلى سلوك هو صمام أمان للحفاظ على هذه النعمة أو الحضارة(1)، وإقامة العدل بين الناس ثانياً هو من أقوى أسباب دوام نعم الله، وبقاء الأمم، وامتناع تعذيبها أو استئصالها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويخذل الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة"(2).

ثانياً- التطبيق العملي للشريعة: إن الإسلام دين عقيدة وعمل، فإذا تم الفصل بين العقيدة والعمل، وأُكتفي بأحدهما دون الآخر، حصل الخلل والفصام، وحلت المصائب، وظهرت الفرقة والنزاعات والاختلافات، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسراء:16]، بمفهوم المخالفة إن أهل هذه القرية عندما طبقوا منهج الله ﷻ اعتقادا وعملاً؛ مُكن لهم في الأرض، ودامت عيهم النعم، وعندما أعرضوا عن منهج الله، وأوامره، ونواهيه، أمر الله مترفيهم من الجبارين، والمتكبرين، والظالمين؛ ففسقوا في الأرض، فاستحقوا العذاب، فأهلكهم الله هلاك استئصال(3).

1- انظر أمحزون، محمد. علم السنن وأهميته في الآفاق والأنفس: مجلة البيان، العدد 207، ذو القعدة/ 1425هـ-2004م، ص25.

2- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (146/28).

3- انظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. التفسير الوجيز. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، 1415هـ-1994م، ص630.

أما **عناصر التغيير** فهي:

أولاً- الإنسان: "إن الإنسان محور عملية التغير، وهو اللبنة الأساسية في بناء المجتمعات، فلا بد من تربيته، وتزكيته، وتهيئته للعمل والإبداع"[1]. وذلك من خلال شحذ طاقاته الروحية، والنفسية، والعاطفية، والعقلية، حتى يمتلك رصيداً هائلاً يؤهله لإقامة المجتمع الإسلامي، الذي ينعم بالسعادة، والاستقرار، والطمأنينة، والعدل.

ثانياً- الزمن: إن أي تغيير نوعي في المجتمع، يحتاج إلى فترة زمنية كافية، حتى يكتمل، ويُؤتى ثماره يانعة سائغة[2].

فالتغيير الذي قام به النبي محمد ﷺ عندما بعثه الله نبياً إلى العالمين كان تدريجياً، فلقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، والإخلاص له، في السر والعلن، والعمل ابتغاء مرضاته، وفي غضون ذلك أعد اللبنة الأساسية التي ستحمل لواء هذا الدين، فكانوا خير صحابة على وجه الأرض، ملأوا الدنيا عدلاً، وسلاماً، وأمناً، ولم يكن ذلك في لحظة زمنية، بل استغرق ذلك ثلاث وعشرون عاماً منه ﷺ، حتى أعدَّ ذلك المجتمع الإسلامي، الذي استطاع بعد ذلك أن يفتح العالم بأسره، فوصل المد الإسلامي أطراف الأرض، من مشارقها حتى مغاربها، وقامت الحضارة الإسلامية التي لم يشهد التاريخ حضارة مثلها.

إن التغيير لا يأتي بغتةً، ولا بقرار سياسي، ولا بالإكراه أو الإجبار، ولا بحرب شعواء تأكلُ الأخضر واليابس، ولا يبدأ بقمة الهرم، بل يبدأ من أضيق دائرة، يبدأ بالفرد، ثم دائرة الأسرة، ثم دائرة الأقربين، ثم المجتمع، ثم المحيط وهكذا... [3]. ويظهر ذلك جلياً في مراحل الدعوة فقد جاء الخطاب الإلهي لسيدنا محمد ﷺ في بدء الدعوة بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر:1-6]، "فكان النداء الأول لسيدنا محمد ﷺ بترك النوم، وتطهير الثياب من أن تكون من مكسب باطل، وهجر الأصنام، وأن لا يعطي عطيةً يلتمس أفضلَ منها"[4]. ثم جاء النداء الثاني له بقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعرا:214]. ثم بعد ذلك كان الخطاب الإلهي له بأنه جاء

1- مجلة البيان، ص25.

2- انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

3- انظر السحيم، عبد الرحيم. فتاوى في الرد على الشبه وتصحيح المفاهيم. (د. م)، (د. ن)، (د. ط)، (د. ت). (244/2).

4- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (3382/10).

للعالمين بشيراً و نذيراً، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:28].

ومن خلال ما سبق نجد أن مشيئة الله في خلقه، تسير على سنن حكيمة، من سار عليها ظفر، ومن حاد عنها خسر.

المطلب الثالث

نماذج لسنة الله في تغيير الظالمين

إن المتدبر لآيات الله عز وجل في القرآن الكريم، والسنة النبوية يرى نماذجَ كثيرة على سنة الله في تغيير الظالمين، فمعظم الخطاب الرباني للبشر فيه دعوة لهم لترك الكفر، والشرك، والتحول إلى الإيمان، وترك الذنوب والمعاصي، والتحول إلى فعل الطاعات، والقضاء على الظلم، وإقامة العدل، والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، ولقد ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية كثيراً من نماذج لسنة الله في تغيير الظالمين، ولكن اكتفي بذكر بعضٍ منها:

أولا: قصة سبأ:

تناولت سورة سبأ قصة أقوام كفروا النعمة فظلموا أنفسهم، إذ استعانوا بنعم الله على معصيته، فكذبوا رسل الله، وأعرضوا عما أمروهم به، من شكر الله وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فكان عاقبتهم بأن ضيَّق الله عليهم في الرزق، وبدلهم من الرفاهية والنعماء خشونة وشدة، فكانوا أفقر الناس بعد غنى، وأذلهم بعد عز. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ:15-16-17].

"سبأ قرى في اليمن كان عددها ثلاث عشرة قرية، وكان على يمينها وشمالها بستانان"[1]، "وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم، وزروعهم، وثمارهم"[2]، "ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قطُّ، ولا ذباب، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، وإن الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه، ويخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة، ولم يتناول منها شيئا بيده"[3]، "فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبياً، تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال

1- ابن عباس، عبد الله. تفسير ابن عباس. جمعه: الفيروز أبادى، لبنان: دار الكتب العلمية، (د. ط)، (د. ت). (360/1).

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (504/6).

3- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (3165/10).

السيل"[1]، "فأغرق أموالهم، وخرب دورهم"[2]، "وبدلهم الله بجنتيهم جنتين ذواتا ثمر مر، فبدَّل الأشجار المثمرة بأشجار الأراك والطرفاء والسدر"[3]. أي "بدَّلهم بأشجار لا تصلح للأكل"[4]. فكان الجزاء من جنس العمل، فبدَّلهم بالنعمة نقمةً، وبالجنة جحيماً، وبالفرح ألماً، وبالشبع جوعاً، وبالمنحة محنةً، وكل ذلك بسبب كفرهم نعم الله، وجحودهم، وطغيانهم، وظلمهم، وتكذيبهم رسل الله.

ثانيا: قصة صاحب الجنتين:

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف:32-43].

وقصة صاحب الجنتين هي كالتالي: هما رجلان جعل الله لأحدهما بُستانين من أعناب، محفوفتين بالنخل المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر، مُقبل، في غاية الجود، والأنهار تتدفق فيهما هاهنا وهاهنا، فقال صاحب الجنتين لصاحبه وهو يجادله، ويخاصمه، ويفتخر عليه، أنا أكثر منك خدماً وحشماً وولداً، قال قتادة: "تلك والله أمنية

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (504/6).

2- الرازي، مفاتيح الغيب (202/25).

3- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. التفسير الوجيز. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، 1415هـ-1994م. ص881.

4- الزمخشري، الكشاف (576/3).

الفاجر، كثرة المال وعزة النفر"، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه بكفره بالله، وتمرده، وتكبره عن طاعته، وتجبره، وإنكاره المعاد، فقال لما رأى فيها من الزروع، والثمار، والأشجار، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، أنها لا تفنى، ولا تهلك، ولا تتلف، وذلك لقلةِ عَقْلِه، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا، وزينتها، وكفره بالآخرة، ثم أردف قائلاً: ولئن كان لي معاد، ورجعة، ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني مُحظى عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا في الدنيا، متألهاً على الله تعالى، فقال له صاحبه المؤمن واعظاً له، وزاجراً عمّا هو فيه من الكفر بالله والاغترار، كيف تكفر بالله؟ وهو الذي أوجدك بعد أن كنت عدماً، وهو خالقك وخالق كل شيء، فهل إذا دخلت جنتك فأعجبتك، حمدت الله على ما أنعم به عليك، وما أعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك[1]، أمَّا أنا فأرجو من كمال فضل ربي وجوده أن يُؤتينِ ويعطيني في الدنيا والعقبى جنَّةً خيراً وأزيد حسناً وبهاءً من جنتك التي أنت تتفضل بها علي، إذ هو القادر على أن يرسل على جنتك صواعق من السماء، فتحرقها، وتخربها، وتستأصلها، فتصبح تراباً زلقاً ملساء، لا تثبت فيها قدم، ولا تُنبت فيها نبات، ويصير ماؤها الجاري غوراً، غائراً، عميقاً، بحيث لا يمكن سقيها منه، لبعد غوره وعمقه، ولن تستطيع أنت ولن تقدر له طلباً، بالحفر، والحيل، وأنواع التدابير، ولقد أعطى الله سبحانه من فضله وسعة جوده الأخ المؤمن ما أمله تفضلاً عليه، وامتناناً، فأرسل على بستان الكافر صواعق نازلة من السماء[2]، فأهلك الله جنتيه وأفناهما، فأصبح يضرب إحدى يديه على الأخرى، نادماً، متحسراً على ما أنفق في عمارتها وإصلاحها من الأموال، ثم تمنى عند مشاهدته لهلاك جنته، بأنه لم يشرك بالله، حتى تسلم جنته من الهلاك، ولكن لم تكن له فرقة وجماعة يلتجئ إليها، وينتصر بها[3]. هكذا النعم اذا لم يحمد الله عليها، تذهب ولا تعود.

ثالثا: قصة الأقرع والأبرص والأعمى:

إنها قصة ثلاثة نفر، ابتلاهم الله بالمرض والسقم، فأراد الله عز وجل أن يختبرهم ويمتحنهم، ليرى هل يحمدوه ويشكروا فضله، أما يعرضوا ويستكبروا، فعن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن أَبِي عَمْرَةَ، أن أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا،

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (5/157-158).

2- انظر النجواني، نعمة الله بن محمود. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية. ط1. مصر، الغورية: دار ركابي للنشر، 1419هـ - 1999م. (1/380-381).

3- انظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. فتح القدير. ط1. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ-1993م. (3/341).

فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، – أَوْ قَالَ: البَقَرُ، هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الأَبْرَصَ، وَالأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ، وَقَالَ الآخَرُ: البَقَرُ – ، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ"[1]، والشاهد في الحديث قول الأبرص والأقرع: "لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ" فإن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله تعالى، وينيب إليه، ويدعوه، ثم اذا خوله نعمة منه، طغى، وبغى، وقال: إنما أوتيته لأن الله يعلم استحقاقي له، ولولا أن لي عند الله خصيصة لما خولني هذا[2]، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر:49، وفي الحديث "التحذير من كفران النعم، والترغيب في شكرها، والاعتراف بها، وحمد الله عليها، وفيه فضل الصدقة، والحث على الرفق بالضعفاء، وإكرامهم، وتبليغهم مآربهم، وفيه الزجر عن البخل لأنه

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 171/4: رقم الحديث 3464.

2- انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (105/7).

حَمَلَ صاحبه على الكذب، وعلى جحد نعمة الله تعالى"[1]. وفي الحديث دليل على أن شكر الله على النعم، والاعتراف بفضله ومنه وكرمه هي أسباب لبقاء النعم، قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم:7].

رابعاً: ظلم الظالمين في الواقع المعاصر:

عند الحديث عن واقعنا المعاصر يجب الوقوف عليه بصدق، وأمانة، حتى تتحقق الدروس المستفادة من سنة تغيير الظالمين.

ففي المجال السياسي: لقد نحى الظالمون شرع الله جانباً، وعطلوا حدود الله، فالحاكمية لم تعد خالصة لله، بل للبشر، ولم يعد يُعمل بالقرآن، بل هي قوانين وضعية فرضها شرذمة من الناس الظلمة وفق مصالحهم، وأهوائهم، وشهواتهم، ووُجد حكام وزعماء يعملون تحقيقاً لأهداف ومآرب أعداء الدين، فظهر الفساد، والطغيان السياسي، بينما نجد أنَّ أي صحوة أو جماعة إسلامية تظهر، تُحارب، وتُطارد، ويُعتقل دعاتها ورجالها المخلصون، وتوجه لهم ابشع التهم، وأقذع السخريات.

في المجال الاقتصادي: إنَّ الاقتصاد الاسلامي قائم على الربا بكل أشكاله وأنواعه، وكبرى الشركات التجارية في الوطن العربي أجنبية غربية. الموارد والثروات الطبيعية كالبترول والغاز تصدر إلى الغرب بأزهد الأثمان ثم نستوردها بعد ذلك بأغلى الأسعار. وشركات التأمين قائمة على الاستغلال والجشع. وأقيمت الملاهي، والمسارح، ودور السينما لامتصاص الأموال عن طريق الجنس، والرقص، والغناء، والأفلام الخليعة.

لقد أصبحت البلاد الإسلامية أسواقاً تجارية لمنتجات الغرب الرأسمالي، أو الشرق الشيوعي، دون التخطيط والعمل الجاد من أجل إقامة المصانع الكبرى الوطنية، وأصبحت كثير من البلدان الإسلامية لا تستطيع العيش إلا باستيراد القمح الأمريكي والمنتجات الأوربية، كما أصبحت هذه البلدان غارقة في الديون الربوية بصورة مذهلة تثقل كاهل الوطن والمواطن[2].

1- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل. فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. (د. ط)، (د. ت). (503/6).

2- انظر الرقب، صالح حسين. واقعنا المعاصر والغزو الفكري. طبعة جديدة. فلسطين: غزة، 1431هـ- 2010م. ص127.

في مجال التربية والتعليم: إلغاء التعليم الديني من المناهج الدراسية، إلا ما يوافق أطماع الغرب من الدعوة إلى الحرية في اختيار الدين، والمساواة بين الذكر والأنثى في كل شيء، والمناداة بالحريات الشخصية، وملء المناهج بالأفكار الغربية اللادينية، وتشويه تاريخ الاسلام والمسلمين، ووصفهم بالتخلف والرجعية، وبناء جيل لا يؤمن بقضايا أمته، ولا يحمل فكراً مستنيراً، ولا مسؤولية، ولا قضية، مبهور بالغرب، لا يفكر إلا بالهجرة، سعياً وراء المال والجاه والنساء.

في المجال الأخلاقي: حدث تفكك أسري في كثير من البلاد الإسلامية نتيجة قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والطمع، والجشع، والرشاوي، وظهر الاختلاط بين الجنسيين، والسفور، والتبرج، والزنى، واللواط، والسحاق، والترويج لهذه الأمراض والمفاسد من خلال وسائل الإعلام المختلفة السمعية والمرئية، وأوجدت فضائيات لا تنشر إلا الرذيلة، ووجد إعلام قائم على سلخ المسلم من هويته الدينية.

إن الحقيقة المرة والمؤلمة أن الأمة غيَّرت وبدَّلت في كل المجالات، فكانت سنة الله، بأن انتقلت الأمة من بعد عزة إلى ذلة، ومن بعد قوة إلى ضعف، ومن بعد مجد إلى هوان، ولكن الله وعدنا اذا غيرنا ما بأنفسنا أن يُغيِّر هذه الحال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:11]، فيجب علينا ترك الكفر والشرك والبدع، وترك الفرقة والاختلاف والتنازع، وهجر الذنوب والمعاصي، والقضاء على الظلم والجور مع القريب والبعيد، مع العدو والصديق، والعودة إلى شرع الله وتحكيمه في كل شؤون الحياة، وهذا لا يكون بالأماني والأحلام، إنما بالعمل الجاد الدؤوب، والنية الخالصة، والسلوك المستقيم(1)، فإذا فعلنا ذلك كان وعداً وحقاً على الله أن يجعلنا سادة الدنيا وأعزتها، وأن ننعم بالسعادة، والطمأنينة، والهناء، والرخاء، والرفاهية. قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المائدة:44، وقال أيضاً: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:45]، وبيّن تعالى أن الحكم بغير ما أنزل الله حكم الجاهلين، وأن الإعراض عن حكم الله تعالى سبب لحلول عقابه، وبأسه الذي لا يُرَّد عن القوم الظالمين، يقول سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ

1- انظر الجريتلي، أبو مريم. السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع.

أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ
حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:49-50].

المبحث الثاني

السنن الإلهية في الصراع بين الصالحين والظالمين وصراع الحق والباطل

المطلب الأول

معنى الصراع وأسبابه

معنى الصراع لغة: "مصدر صارعَ، خصومة ومنافسة، نزاع، مشادَّة"[(1)].

معنى الصراع الاصطلاحي: "حالة من الاختلاف أو عدم الاتفاق بين جماعات، أو مبادئ، أو أفكار متعارضة، أو متناقضة"[(2)].

وقيل: "عبارة عن نزاع مباشر ومقصود بين أفراد أو جماعات من أجل هدف واحد، وتظهر الرغبة لدى أحد أطراف النزاع في إلحاق الهزيمة بالطرف الآخر بغض النظر عن الوصول إلى الهدف"[(3)].

مفهوم الصراع بين الصالحين والظالمين: هو غلبة أهل الحق من الصالحين على أهل الباطل من الظالمين، بالبراهين، والحجج، التي لا تدع مجالاً لذي لب في ظهور أهل الحق على أهل الباطل، ومدافعتهم لهم بالشرائع الإلهية، التي أنزلها الحق جلَّ وعلا في كتبه على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[(4)].

إن قصة الصراع بين أهل الحق من الصالحين وأهل الباطل من الظالمين قديمة جديدة، إنها تتجدد في كل عصر، وهذه القضية ترتبط بالوجود الإنساني نفسه، ومن طلب نهاية لها فقط طلب المستحيل، ما دام الإنسان حياً، متحركاً على ظهر الأرض، ولقد لفت القرآن الكريم نظرنا إلى هذه الحقيقة الكونية فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40][(5)].

1- معجم اللغة العربية، (1289/2).

2- بدوي، منير محمود. مفهوم الصراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع. مجلة "دراسات مستقبلية"، العدد الثالث، يوليو 1997م، مركز دراسات المستقبل جامعة أسيوط- مصر. ص37.

3- الخرب، محمد بن عبد الله بن حمد. الصراعات الشخصية وانعكاساتها على الأمن الوظيفي. رسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة الرياض- السعودية. 1427هـ-2006م. ص48.

4- انظر أبو العلا، عادل محمد صالح. الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأنعام. رسالة دكتوراه. ط1. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، 1416هـ - 1995م. ص751.

5- انظر الجليند، محمد السيد. الوحي والإنسان. القاهرة: دار قباء. (د. ط)، (د. ت). ص29.

إن قوى الشر والضلال تعمل في هذه الأرض، والمعركة مستمرة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والصراع قائم بين قوى الإيمان وقوى الظلم والطغيان منذ أن خلق الله الإنسان. والشر جامح والباطل مسلح، وهو يبطش غير متحرج، ويضرب غير متورع، ويملك أن يفتن الناس عن الخير إن اهتدوا إليه، وعن الحق إن تفتحت قلوبهم له، فلا بد للإيمان، والخير، والحق، من قوة تحميها من البطش، وتقيها من الفتنة، وتحرسها من الأشواك والسموم. فالقوة المادية التي يملكها الباطل قد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وتزيغ الفطر. وللصبر حد وللاحتمال أمد، وللطاقة البشرية مدى تنتهي إليه، لذلك أَذِنَّ الله عز وجل للمؤمنين بالدفاع عن أنفسهم، والإعداد لمواجهة العدو بكل ما أُوتوا من قوة ومن عتاد[1].

وهذا هو شأن المجتمعات البشرية، أن يظهر فيها الخلافات، والنزاعات، والصراعات، ذلك أن الناس خُلقوا مختلفين، تختلف أهواؤهم، وشهواتهم، ورغباتهم، ومقاصدهم، وغاياتهم، فإن كل ما في الوجود إما حق، وإما باطل، ومسألة الحياد في أمر الحق والباطل غير وارد، وعندما يقول إنسان: أنا محايد بين أهل الحق وأهل الباطل، يصنف في دين الله وشرعه في قائمة أهل الباطل، لقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:32][2].

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم لا يعجزه أن يقف على حقيقة مفادها أن الصراع بين الحق والباطل هو سنة أقام الله عليها هذه الحياة، وأن الحياة لا يمكن أن تكون خيراً مطلق، بحيث تخلو من الشر، وبالمقابل لا يمكن أن تكون شر مطلق تخلو من الخير، وفيها من يقوم بالحق. والآيات القرآنية الكريمة التي تشير إلى هذه الحقيقة كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ الرعد:17، وقال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ وقال أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد:3] [3].

1-انظر قطب، في ظلال القرآن (2424/4)، بتصرف.

2- انظر العودة، سليمان فهد. الصراع بين الحق والباطل، موقع صيد الفوائد. http://www.saaid.net/alsafinh/12.htm.

3- انظر القرآن وصراع الحق والباطل، مقال. موقع إسلام ويب. http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&id=160812

والحق والباطل بينهما صراع منذ أن خلق الله الإنسان، قال عز وجل: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ طه:117، فمنذ اللحظة الاولى التي خُلق فيها آدم عليه السلام أُبتلي بكيد الشيطان، وبدأ الصراع معه، ومازال الشيطان يكيد لآدم حتى أخرجه من جنة الخلد وأهبطه إلى الأرض فانتقل ميدان الصراع من السماء إلى الارض، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الأعراف:24. وبعد هبوط آدم عليه السلام ظلت أجيال من الناس على النور والهدى والإيمان حتى استطاع الشيطان أن يؤثر فيهم فأغواهم، فانحرفوا عن التوحيد، واندرست معالمه؛ فبعث الله رسله مبشرين ومنذرين، فحدث الصراع بين الأنبياء وأقوامهم الظالمين[1].

أسباب الصراع بين الأنبياء وأقوامهم الظالمين:

لم يخلق الله عز وجل الخلق كله مؤمنين، كما لم يخلقهم جميعاً كفاراً ملحدين، لذا وُجِدَ إيمان وكفر، خير وشر، حق وباطل، عدل وظلم، حتى تتحقق سنة التدافع في الأرض، وإلا لفقدت الحياة حلاوتها، وانعدمت لذتها، وإن دفع الباطل بالحق هو من أعظم الميادين وأوسعه لطلب الجنة.

وعند الحديث عن أسباب الصراع، لا بد من الحديث عن أسباب الصراع بين الأنبياء عليهم السلام وأقوامهم:-

أولاً: كونهم بشراً مثلهم: لقد طعن أقوام الأنبياء في نبوة أنبيائهم ثلاثة مطاعن: الطعنة الأولى: أنهم بشر مثلهم، يأكلون ويشربون، ويتزوجون ويتناسلون، مثلهم مثل غيرهم من البشر، والطعنة الثانية: أنه لم يتبع الرسل إلا أراذل الناس وأسافلهم، وأدناهم عقلاً وجاهاً وسعة ومالاً، والطعنة الثالثة: أنهم لا يرون لهم زيادة عليهم في العقل والمال والجاه والرياسة، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود:27].

ثانياً: كبرُ الملأ واستعلاؤهم: قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:27]، يقول الشهيد سيد قطب: "هذه تهمة كذلك توجه دائماً من الملأ العالين لجموع المؤمنين.. أنها لا تتروى ولا تفكر في اتباع الدعوات. ومن ثم فهي متهمة في اتباعها واندفاعها، ولا يليق بالكبراء أن ينهجوا نهجها، ولا أن يسلكوا طريقها. فإذا كان الأراذل يؤمنون،

1- انظر العودة، الصراع بين الحق والباطل، مقال سابق.

فما يليق إذن بالكبراء أن يؤمنوا إيمان الأراذل ولا أن يدعوا الأراذل يؤمنون"[1]، إن هؤلاء القوم يقيسون الأمور بمقياس خاطئ فصاحب الفضل من يملك المال، وصاحب الفهم من يملك الجاه، وصاحب المعرفة من يملك السلطة والأمر، إن هذا المقياس وهذا الفهم الخطأ يسير عليه كبراء القوم وكفارهم من زمن نوح عليه السلام إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثاً: تكذيب أنبيائهم وأتباعهم المؤمنين: من التهم التي تُقذف في وجوه الأنبياء وأتباعهم، اتهامهم بالكذب والبهتان على الله، ذلك عندما تسقط من أيدي الملأ الكافرين الحجج والبراهين والأدلة، قال تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود:27].

رابعاً: الملائكة في نظرهم أولى بالرسالة: "إن هؤلاء الظالمين المكذبين بآيات الله، العادلون به الأنداد والآلهة، مهما جئتهم من الآيات البينات والمعجزات الخارقات يا محمد سيقولون لك هَلّا نزل عليك ملك من السماء يُصَّدقك على ما جئت به، ويشهد لك بحقيقة ما تدَّعي من أنَّ الله أرسلك إلينا!"[2] قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام:8][3].

خامساً: دعواهم أن ما جاء به الأنبياء لم يسمعوا به في أباءهم الأولين: وإذا قيل لهم اعملوا بما أنزل الله في القرآن من تحليل ما أحل الله وتحريم ما حرم الله. قالُوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، أولو كان آباءهم جهالاً ؟ فكأنه نهاهم عن التقليد وأمرهم بالتمسك بالحجة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170].

سادساً: اتباع الأهواء والشهوات: من المعلوم **أن** اتباع الأهواء والشهوات تحول بين المرء واتباعه للحق الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام وإن اتباع الهوى يؤدي إلى الفرقة والاختلاف والنزاع، قال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:3]. قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "إنّ أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل، واتباع الهوى : فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق"[4].

1- قطب، في ظلال القرآن (1872/4).

2- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (266/11).

3- انظر الصراع بين الحق والباطل، ص184-189.

4- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي. شعب الإيمان. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423هـ - 2003م. (173/13).

سابعاً: اتباع الحكام الجبابرة الظالمين: إن قضية اتباع الحكام الجبابرة الظالمين والخوف منهم ومن سلطانهم موغلة جذورها في القدم، ولعل المثال البارز في هذا الباب هو فرعون، الذي لم يعتبر نفسه حاكماً وملكاً فقط، بل اعتبر نفسه إلهاً يأمر ويُشرع، وأن جميع الناس عبيدٌ له، وأنه هو الذي يهديهم إلى الرشد وإلى الطريق المستقيم، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر:29 ولكن دائماً أبداً تكون عاقبة الجبابرة والمتكبرين والظالمين الخسران في الدنيا و الأخرة، ولا يقتصر هذا الخسران على الجبابرة الظالمين فقط بل ينال أتباعهم وأعوانهم فيلقون أسوأ مصير وأشنع ميتة. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ هود:59-60.

ما أشبه أصحاب العقيدة والدعاة اليوم مع من يدعونهم من الحكام والوجهاء وأصحاب النفوذ بما كان عليه الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، اليوم معظم شعوب الأرض لا تدرك، لا تعي، لا تفهم، وأصحاب المال والنفوذ والسلطان هم أصحاب الفضل، والفهم، والإدراك، والمعرفة، فذو المال أفضل، وذو الجاه أفهم، وذو السلطان أعرف[1]، ويقال عند كل داعٍ إلى الله، وشرعه، وتطبيق منهجه، أنه رجعيٌّ متخلف، أو إرهابي متشدد، يجب قتله وإفنائه، قبل أن يمتد خطره، ويستفحل شره في البلاد، وأصبح كلُّ داعٍ إلى الحرية، والكرامة، واحترام إنسانية الإنسان، في غياهب السجون مذلولاً، مقهوراً، تمتهن كرامته وإنسانيته وحقوقه باسم الدفاع عن حقوق الإنسان، والذي يطالب برحيل رئيس، أو وزير، أو مسؤول متهمٍ بالقتل، والفساد، وابتزاز الأموال، تُقام لأجله الحروب، وتُخرب البلاد، ويُشرد العباد، ويُجند الإعلام للقول بأن هناك مؤامرات حِيكت في الظلام، تتربص بالبلاد، وبالرئيس، وبذي السلطان، ولقد أقسم صاحب الأمر على القضاء عليها في التو والحال، فَتُقصفُ المنازل فوق رؤوس العباد، ويُهجر أصحاب الأرض والأوطان، وما أُستغرق بنيانه سنواتٍ طِوال، يُهدم في ثوان، ثم يُطلُ أعوان الشيطان أنِ الحمد لله قضينا على الإرهاب، ومن أراد البلاد والسلطان بسوء الحال.

أسباب الصراع بين الناس بعضهم مع بعض:

أولاً: عداوة إبليس لبني آدم وتوعده بإضلالهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا: قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن

1- انظر قطب، في ظلا ل القرآن (1872/4).

شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾الأعراف:19. فهذا عدو الله إبليس يتوعد بني آدم، فيقسم أنه سيصد الناس عن دين الإسلام، ويزين لهم الدنيا، ويدعوهم إليها، ويُشهي لهم المعاصي، ويشككهم في الأخرة، فيخبرهم أنه لا بعث، ولا حساب، ولا جنة، ولا نار، وأما الحق فيشككهم فيه، وأما الباطل فيخففه عليهم، ويرغبهم فيه[1]، بل إن من غايات إبليس إيقاع البشرية في النزاعات الداخلية والخارجية، وإشعال الحروب والعداوات بين المؤمنين، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ المائدة:91.

وفي إطار الصراع الشامل بين الخير والشر، ومعسكر الإيمان ومعسكر الكفر، وبين الصالحين والظالمين، يستعمل الشيطان في سبيل هزيمة المؤمنين أساليب متعددة منها؛ نشر الخوف والذعر فيما بين المؤمنين، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:175]، قال مجاهد: "يخوفكم بأوليائه وأولياؤه الشياطين، يخوفهم بالفقر"[2]، والخوف إذا استبد بالإنسان يفقده كل قدرة على المبادرة، ويشل تفكيره، ويجعله ضمن مخططات الغير، فلا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً.

ولم يكتفِ إبليس بذلك بل قام على نشر الإشاعات الكاذبة والأخبار المحبطة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:83]، فيه دلالة على أن نشر الإشاعات الكاذبة ما هي إلا من فعل الشيطان وكيده من أجل تخذيل المؤمنين وإضعافهم، فيعدهم بالنصر على المؤمنين، ويمنيهم بالغنى والرفاهية والثراء، قال تعالى:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النساء:120][3].

ثانياً: كشف العورات وما يجر ذلك من الفواحش: فإن كشف العورات أساس كل فتنة، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا

1- انظر السمرقندي، بحر العلوم (506/1). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (394/3-395).

2- ابن جبر، أبو الحجاج مجاهد. تفسير مجاهد. تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، 1410هـ- 1989م. (262/1).

3- انظر طرق الشيطان الرجيم في إضلال العبيد. موقع اسلام ويب.
114905http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&id=

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف:27. كانت قريش ابتدعت لنفسها حقوقاً على بقية العرب الذين يفدون لحج البيت الحرام، ذلك أنهم هم وحدهم لهم حق الطواف في ثيابهم، وأما بقية العرب فلا تطوف في ثياب لبستها من قبل، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها، إلا إذا أعارتهم قريش ثياباً أطلقوا عليها –ثياب الحمس– ومن أعاره أحمسي ثوباً طاف فيه، ومن معه ثوب جديد طاف فيه. ثم يلقيه فلا يتملكه أحد! ومن لم يجد ثوباً جديداً، ولا أعاره أحمسي ثوباً طاف عرياناً! وربما كانت امرأة فتطوف عريانة، فتجعل على فرجها شيئاً ليستره بعض الستر.. وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل. وكان هذا شيئاً قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، واتبعوا فيه آباءهم[1]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:28. هذه جاهلية قريش تعالوا نقارنها بجاهلية اليوم: هناك دعوات محمومة تنادي بالعري والتعري، فالتعري الجسدي أصبح في وقتنا الحاضر دليلاً على التقدم والحضارة والرقي، فهناك مخططات صهيونية لضرب العالم الإسلامي من الداخل، عن طريق تحرير المرأة من حجابها وزيها الشرعي؛ لتصبح متعة للمارة والنظارة في الشوارع والأسواق، حتى أصبحت المرأة مادة الإغراء الوحيدة، في الأفلام السينمائية، والصحف، والمجلات، والإعلانات التجارية، هذا بالإضافة إلى مسابقات الجمال، وغيرها من مسابقات الطرب والغناء التي شُغل العالم الإسلامي والعربي بها، التي تدعو إلى الاختلاط، والتبرج، والاهتمام بكل ما هو دنيء، وليس بذي قيمة، وسلخ الإنسان المسلم والعربي من إنسانيته، فلا يفكر إلا في كيفية إشباع رغبته وشهوته.

ثالثاً: المعاصي وما تجلبه على بني آدم من الشؤم وخسران الدنيا والآخرة: إن المتأمل في حال الأمة يرى العجب العجاب، فما تركت من ذنب أو معصية إلا واقترفتها الأمة، فلقد انتشر الشرك، والفسوق، والعصيان قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:103]، وموالاة الكفار والركون إليهم، ومفارقة الجماعة وشق عصا الطاعة، وحمل السلاح على المسلمين وقتلهم ظلماً وعدواناً، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ

1- انظر الرازي، التفسير الكبير (228/14)، قطب، في ظلال القرآن (1277/3).

يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ"[1].

ومن الذنوب والمعاصي التي ابتليت بها الأمة انتشار السحر والعرافة والكهانة، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً"[2]، واتخاذ المعازف والقينات قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان:6]، قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ قال: "هو والله الغناء"[3]، وشرب الخمور ولبس الحرير قال رسول الله ﷺ: "لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ – يَعْنِي الفَقِيرَ – لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"[4]، وانتشار الكذب، والخيانة، والفجور، وضياع الأمانة، والرويبضة يتحكم في أمر الناس، قال رسول الله ﷺ: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ"، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ"[5]. إلى غير ذلك من الأمراض التي ابتليت بها الأمة الإسلامية من فساد مالي وإداري، وانتشار البنوك الربوية، والسرقة، والزنى، واللواط، وانتشار الأمراض الجنسية التي لم تسمع بها البشرية من قبل، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ العنكبوت:28.

1- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، 1476/3: رقم الحديث 1848. أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، 326/13: رقم الحديث 7944.

2- مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، 1751/4: رقم الحديث 2230.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (330/6).

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، (107/7): رقم الحديث 5590.

5- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجة، (5ج). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله. ط1. دار الرسالة العالمية، 1430 هـ – 2009م. أبواب الفتن، باب شدة الزمان، 162/5: رقم الحديث 4036. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الألباني في صحيح الجامع 3650: حديث صحيح.

رابعاً: النزاع والاختلاف والفرقة: وحدة صف المسلمين واجتماع كلمتهم من أهم الواجبات التي أمرنا الله بها، كما أنه جل في علاه حذرنا من الفرقة والتنازع والاختلاف قال تعالى ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال:46، وقال أيضاً: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران:103، في هذه الآية يذكر الله ﷻ عباده المسلمين بنعمته عليهم بتأليف قلوبهم، وتوحيد صفوفهم تحت راية الإسلام، بعد أن كانوا متفرقين ومختلفين ومتنازعين، فكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها بنور الإسلام[1]

ولقد أخبر النبي ﷺ عن حال المجتمع المسلم عندما يسوده الحب والرحمة والائتلاف، قال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"[3].

والذي ينظر إلى الأمة الإسلامية اليوم يرى كيف أن أوصالها مقطعة، ويجد الفرقة والتنازع واضحاً في واقع المسلمين، أصبحنا شيعاً وأحزاباً يذيق بعضنا بأس بعض، فسفكنا دماءنا وشردنا إخواننا، وأكل القوي منا الضعيف فاستحقينا ما نحن فيه من العذاب والهوان، وصدق فينا قول الله عز وجل:﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران:105، في وقت أحوج ما نكون فيه يداً واحدة، وقلباً واحداً على من أراد بنا شراً من أعداء هذه الأمة، لقد تداعت علينا الأمم وأصبحنا لقمة سائغة، سهلة، لأننا تركنا ديننا ولم نتبع أوامر الله ورسوله، ولهثنا وراء شهواتنا وعرض من الدنيا زائل، وظلم بعضنا بعضاً، قال رسول الله ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا". قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ

1- انظر قطب، في ظلال القرآن (432/1).

2- مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، 1999/4: رقم الحديث 2586. ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ، 323/30: رقم الحديث 18373.

3- المرجع السابق، نفس الصفحة، رقم الحديث: 2585.

غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ". قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"[1]. ومن حديث رسول الله ﷺ يتبين لنا أن سبب الاختلاف والفرقة والوهن، هو حب الدنيا والحرص عليها، والطمع فيها، وإن التنافس عليها هو الذي فرق بين الأب والابن، والزوج والزوجة، والأخ وأخيه، بل أوصلهم ذلك إلى القتل، وسفك الدماء، وغيرها من المصائب العظيمة.

خامساً: ظهور البدع واختلاطها بالسنن: مما لا شك فيه أن التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما فيه النجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام:153، عن ابن عباس[2] قوله في تفسير هذه الآية: "أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله ونحو هذا"[3]. قال مُجَاهِدٌ[4]: "السبل هي البدع والشبهات والضلالات"[5]. وقد أوضح ذلك رسول الله ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه: قال: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللهِ"، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ – قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ – عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن ﴾[الأنعام:153[6]. مما سبق نجد أن من

1- حنبل، مسند الأمام أحمد، مسند الأنصار، من حديث ثوبان، 82/37: رقم الحديث 22397. قال شعيب الأرنؤوط في مسند الإمام أحمد بأحكام الأرناؤوط. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). 133/22: رقم الحديث 22450 : الحديث إسناده حسن.

2- ابن عباس: هو حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي، الهاشمي، المكي، الأمير، ولد بشعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين. سير أعلام النبلاء، (332/3).

3- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (438/11).

4- مجاهد: هو مجاهد بن جبير وهو مولى قيس بن السائب بن أبي السائب، وكان السائب شريك النبي ﷺ، ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث. مات مجاهد وهو ساجد، سنة ثنتين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (454/4-455).

5- تفسير مجاهد، ص331.

6- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، 207/7: رقم الحديث 4142. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، مسند الدارمي

أعرض عن الكتاب والسنة انحرف عن الطريق المستقيم، وغرق في ضلال البدعة فلا هَدى ولا اهتدى.

ولعل من أهم أسباب ظهور البدعة ما يلي:

1- الجهل بأحكام الدين: إن سوء فهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وعدم معرفة أقوال السلف هما السبب الرئيسي في ظهور البدع، فكلما امتد الزمن وطال، وبعد الناس عن آثار الرسالة، قل العلم، وفشى الجهل، كما أخبر بذلك النبي بقوله: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[1]، قال أبو حاتم: "في قوله ﷺ: "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي" عند ذكر الاختلاف الذي يكون في أمته، بيان واضح أن من واظب على السنن، وقال بها، ولم يعرج على غيرها من الآراء، من الفرق الناجية في القيامة، جعلنا الله منهم بمنه"[2]. وعنه ﷺ أيضاً قوله: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[3].

إن محاربة البدعة ومقاومتها لا يكون إلا بالعلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء ظهرت البدعة وانتشرت ونشط أهلها.

2- اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الجاثية:23.

المعروف بسنن الدارمي. تحقيق: نبيل هاشم الغمري. ط1. بيروت: دار البشائر، 1434هـ - 2013م. كتاب العلم، باب في كراهة أخذ الرأي، قال شعيب الأرنؤوط في مسند الإمام أحمد بأحكام الأرناؤوط 292/1: رقم الحديث 4142: الحديث اسناده حسن.

1- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، (18ج). حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408هـ - 1988م. باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمراً وزجراً، ذكر وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ، 179/1: رقم الحديث 5. قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم 95/1، ووافقه الذهبي. قال الألباني في صحيح الجامع 1353: حديث صحيح.

2- المرجع السابق نفسه.

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، 31/1: رقم الحديث100. مسلم: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، 2058/4: رقم الحديث 2673.

إن البدعة هي نسيج الهوى، وإن اتباع الهوى أصل كل شر، وأساس أي انحراف عن الصراط المستقيم، فما من فتنة وقعت إلا كان من ورائها أهواء الأنفس، قال ابن القيم : "إن الهوَى ما خالط شيئًا إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء، وإن وقع في الزهد، أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإن وقع في الحكم، أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق، وإن وقع في القسمة، خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور، وإن وقع في الولاية والعزل، أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين، حيث يولي بهواه، ويعزل بهواه، وإن وقع في العبادة، خرجت عن أن تكون طاعة وقربة، فما قارن شيئا إلا أفسده"[1].

3- التعصب للآراء والرجال: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة:170. هذا هو شأن المتعصبين في كل زمان ومكان، إذا دعوا إلى كتاب الله وسنة نبيه احتجوا بآبائهم، وأجدادهم، ومشايخهم، ورؤساءهم، وأسيادهم، ومذاهبهم.

من أخطر العصبيات التعصب في الدعوة مبررةً باسم الدين؛ فتجد أكثر الدعوات الإسلامية المعاصرة تعتمد على الفكر، والثقافة، والحركة، أكثر من اعتمادها على العلوم الشرعية والعلماء.

4- التشبه بالكفار: قال تعالى حكاية عن بني إسرائيل: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف:138. قال رسول الله ﷺ: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ"[2]. لقد أخبر الصادق المصدوق عن ما يجري في واقعنا اليوم من اتباعنا لليهود والنصارى في المأكل، والمشرب، والملبس، والأعياد، والاجازات. حتى صار في اعتقاد الكثير

1- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. روضة المحبين ونزهة المشتاقين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ- 1983م. ص474.

2- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﷺ: "لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" 103/9: رقم الحديث 7320. مسلم: صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، 2054/4: رقم الحديث 2669.

من شبابنا أن أكثر الناس تمدناً وحضارة وتقدماً هو من تشبه بالغرب، وسار على نهج حياتهم في كل شؤونه.

سادساً: غربة الحق واستعلاء الباطل: إن أهل السنة غرباء في زمن تكالبت عليهم الأعداء من أهل البدع، لقد أصبح الحق في بلادنا غريباً، قال رسول الله ﷺ: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"[1]. وعنه ﷺ قال: "طوبى للغرباء" قلنا: وما الغرباء؟ قال: "قوم صالحون قليل، في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم"[2]. وفي هذا دلالة على قلة عددهم، وقلة المطيعين لهم، وكثرة مخالفيهم، والعاصين لهم. قال ابن رجب: "وهؤلاء الغرباء قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السنة، وهو أعلى القسمين وأفضلها"[3].

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي[4]: "إني أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ، إن نزعت فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بالدنيا، يحب التعظيم والرياسة، وإن نزعت إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته، مجذوماً، صريعاً، عدوه إبليس قد صعد به إلى أعلى سطح في العبادة، وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها، وسائر ذلك من الرعاع فقبيح، أعوج، وذئاب مختلسة، وسباع ضارية، وثعالب جارية. هذا وصف عيون مثلك في زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة"[5].

فكيف لو أدرك هذا زماننا، حيث مُنعت الصلاة، وضُيعت الأمانة، وفشا الربا، واسُتحل الكذب، واسُتخف بالدماء، واسُتعليَ في البنيان، وبِيعَ الدين بعرض من الدنيا، وشُربت الخمور، وعُطلت الحدود، وقُطّعت الأرحام، واسُتحلت المعازف والقينات، وظهر الجور، وكثر الطلاق،

1- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين، 130/1: رقم الحديث 232.

2- الطبراني: المعجم الأوسط 14/9: حديث رقم 8986، ابن حنبل: مسند أحمد بن حنبل 86/8: حديث رقم 7072. قال الأرناؤوط: حسن لغيره.

3- ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. مجموع رسائل الحافظ. تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1424هـ- 2003م. (320/1).

4- أحمد بن عاصم الأنطاكي: هو الإمام، القدوة، واعظ دمشق، الزاهد، جاسوس القلوب، يخرج كل الشك من القلب. انظر سير أعلام النبلاء (409/11-410).

5- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (10ج). بيروت: دار الكتاب العربي، دار الكتب العربية، 1409هـ- 1988م. (286/9).

وكُذب الصادق وصُدّق الكاذب، وخُوّنَ الأمين وأُتمن الخائن، وصار الحفاة العراة ملوكاً، وتشبه الرجال بالنساء وتشبهت النساء بالرجال، وعُمرت المساجد وزُخرفت وخُربت القلوب واتلفت، وكثرت الجيوش واسُتعبدت العباد والبلاد، ولَعَنَ أخر هذه الأمة أولها، فماذا ننتظر؟ إلا خسفاً أو مسخاً أو قذفاً.

سابعاً: كثرة الأموال: إن المال نعمة من الله عز وجل، وهو عصب الحياة وشريانها الدافق، وهو زينة الحياة الدنيا وبهجتها، قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الكهف:46، والناس حياله مقسومون إلى قسمين: قسم يخدمهم المال، وقسم يخدمون المال. أما من يخدمهم المال فهؤلاء لم يُطغهم المال، ولم يفتتنوا به، بل كان عوناً لهم على طاعة الله ورضاه، كسبوه في حلال وأنفقوه في حلال، وكان المال في أيديهم وليس في قلوبهم، لم يستحوذ عليهم ولم يأسرهم، فالمال هنا نعمة وأي نعمة، نعم المال الصالح للرجل الصالح. وأما القسم الثاني: من يخدم المال: فهؤلاء عبيد له، خادمون له، تعبوا في جمعه وحفظه، فأنساهم ذكر الله، وتمكن من سويداء قلوبهم، فعاشوا في شقاء وتعاسة وهم لا يعلمون، قال رسول الله ﷺ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ"[1]. وأقسم الحسن البصري قائلاً: "مَا أَعَزَّ أَحَدٌ الدِّرْهَمَ إِلَّا أَذَلَّهُ اللهُ"[2][3].

إن المال فتنة، وما أعظمها من فتنة، ولقد ابتليت أمة سيدنا محمد ﷺ بهذه الفتنة، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ"[4]، إن المال فاض في أيدي المسلمين، فهل شكروا الله على هذه النعمة؟ لا، لقد طغوا، وبغوا، وفجروا، وظلموا، وكفروا بنعم الله عليهم، لقد أودعت أموال العرب في بنوك الغرب، "وقد بلغ مقدار هذه الأموال تريليون دولار، تقبع في

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، 34/4: رقم الحديث 2887. القزويني: سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب في المكثرين، 248/5: رقم الحديث 4135.

2- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (152/2).

3- انظر قصة قارون: موقع سماء الإسلام 1429/6/16هـ.

http://islamsky.net/speechesDetail.php?id=25

4- حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، حديث كعب بن عياض، 15/29: رقم الحديث 17471. الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، 569/4، رقم الحديث: 2336، قال الترمذي: حديث صحيح غريب، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة 2216: حديث صحيح.

مصارف نيويورك وسويسرا"[1]، إن هذه الأموال المودعة في بنوك أوربا وأمريكا لا يمكن أن تسترجع، بالرغم من أنها مسجلة باسم مودعيها، ويستطيعون نظرياً أن يستردوها، ولكن الغرب عملياً لا يستطيع أن يرد عُشرَ معشارها، لأنَّ اقتصاده المتأزم يعتمد عليها ولا يحتمل إعادتها، ودعك من الهدر الخيالي لثروات تبدّد في صفقات سلاح لا هدف ولا جدوى منها غير عملية الشراء لذاتها، ولدفع عجلة الاقتصاد في أميركا وأوروبا، كما لصفقات متعدّدة الأشكال كالطائرات الخاصة واليخوت والسيارات، وما لم يسمع به أحد من الاستهلاك ما فوق الرفاه[2]. ولم يكتفِ العرب والمسلمون بأن أودعوا أموالهم البنوك السويسرية، بل بذّروا ما بقي معهم على القنوات الفضائية التي لا تنشر إلا الفسوق والرذيلة، وكل ما هو ماجن، أو على المسارح، أو الأفلام السينمائية، أو بيوت الدعارة، وأخيراً وجد العرب باباً أخر لإنفاق هذه الأموال ألا وهو الإرهاب، فبدعوة محاربة الإرهاب يُشترى السلاح لضرب الشعوب وسحقها لأنها أرادت أن تعيد للأمة مجدها.

1- محمد، مهاتير: كلمة رئيس وزراء ماليزيا، المؤتمر العاشر للاستثمار وأسواق المال العربية، بيروت، (2 /6/ 2004م). موقع عربي.http://arabic.cri.cn/ 1/2004/06/25/64@19382htm.

2- انظر شفيق، منير. الاموال العربية في الغرب لماذا؟ 2013/1/11م. موقع: الجزيرة نت. http://www.aljazeera.net/

المطلب الثاني

نماذج من السنن الإلهية في الصراع بين الصالحين والظالمين

إن الكون كله مبني على دفع الله الناس بعضهم ببعض. وإن بين الخير والشر، والعدل والظلم صراع دائم، والشر نفسه لا يمكن أن ينتصر مهما بلغت قوته وجبروته، لذلك سنأتي على بعض الأمثلة في التدافع منها:

أولا: الصراع بين ابني آدم:

إنه أول صراع في تاريخ البشرية، إنه صراع الأخوة، انتهى بأبشع جريمة عرفتها الإنسانية ألا وهي القتل، وقد جاءت تلك القصة لتبين أن اعتداء البشر على بعضهم البعض، وظلمهم لبعضهم البعض، متأصل فيهم، وقع في العهد الأول، ومازال مستمراً إلى وقتنا
الحاضر، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ
بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ
رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ
٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي
ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ
سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: 27-31].

لقد جُبل الإنسان على حب الكمال، وما يتبعه من حسد الناقص لمن يفوقه في الفضائل والأعمال ، وكون الحاسد يبغي إن قدر، ما لم يَزَعْه الدين أو يمنعه القدر، وهو لا يبغي ولا يقتل إلا وهو يظن أن ذلك خير له وأنفع[1]، فقد قصّ الله علينا قصة ابني آدم مبيناً لنا عاقبة الحسد والبغي والظلم، فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذي أُخلص فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل، ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة[2]. ذلك أن الله تعالى شرع لآدم عليه السلام، أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج أنثى البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت

1- انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار (281/6).

2- انظر ابن كثير، تفسير ابن كثير (81/3).

هابيل دميمة، وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقِّربا قرباناً، فمن تُقبل منه فهي له، فقَّرب هابيل وكان صاحب غنم، كبشاً هو أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها، طيبةٌ بها نفسه، وقرب قابيل وكان صاحب حرث أشر حرثه وأسوئها، غير طيبة بها نفسه، فتُقبل من صاحب الغنم ولم يُتقبل من صاحب الحرث، فقال قابيل لهابيل: لأقتلنك فأستريح منك، فتحَّين الفرصة المناسبة فقتله، فوالله إن هابيل كان أشد الرجلين وأقواهم ولكن منعه الورع. فلما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يُدفن، فبعث الله غرابين اقتتلا أمامه، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثا عليه. فلما رآه قال: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ فدفن أخاه، فعلاه الله بندم بعد خسران[1].

إن هذه القصة نموذج صارخ لطبيعة الشر، والبغي، والعدوان، والظلم الذي لا مبرر له سوى الحسد، والحقد، واللهث وراء شهوات النفس وحظوظها، صراع بين باطل أراد أن ينتصر ولو بارتكاب جريمة نكراء، فيها اعتداء على حرمة الدم؟ وأي دم؟ إنه دم الإنسان لأخيه الإنسان...وفي المقابل يُقدم لنا نموذجاً رائعاً لطبيعة الخير، والحب، والسماحة والطيبة، التي تنبع من الإيمان الصادق، وتقوى الله، فينأى بنفسه أن يمس دم أخيه، ولو كلفه ذلك أن تزهق نفسه؛ طمعاً بما عند الله من المغفرة والثواب، إنه ذلك الصراع القديم بين الحق والباطل[2].

ثانياً: الصراع بين لوط وقومه:

إن انحراف قوم لوط انحراف لم تعرفه البشرية من قبل، إنه انحراف الفطرة، لقد كانت سنة الله عز وجل أن خلق الزوجين الذكر والأنثى، وجعل كل واحدٍ منهما مكملاً للأخر، ووفق هذه السنة جعل طريقة لاتصالهما، حفاظاً على امتداد النسل البشري، وخلق لهما شهوة عميقة، ولذة صادقة تستقيم وهذه الفطرة، ولكن قوم لوط تجاوزوا ذلك حتى وصلوا حد الإسراف، فإذا هم يريقونها ويبعثرونها في غير موضع الإخصاب، فهي مجرد شهوة شاذة، فهو الشذوذ إذن والانحراف والفساد الفطري، قبل أن يكون فساد الأخلاق.. ولا فرق في الحقيقة، فالأخلاق الإسلامية هي الأخلاق الفطرية، بلا انحراف ولا فساد[3]. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (3/82-90).

2- انظر القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل (دراسة قرآنية): ورقة مقدمة إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، فلسطين، غزة: الجامعة الإسلامية، (1-3/4/2007م).

3- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، (3/1315).

﴿ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٨٢ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾

الأعراف:80-84. إنه نبي الله لوط عليه السلام، ابن أخي نبينا إبراهيم عليه السلام، بعثه الله نبياً إلى قرى، في أرض فلسطين المباركة، وَكُنَّ خَمْسًا: صيْغَةَ وَصَعْرَةَ وَعَمْرَةَ وَدُومَا وَسَدُومَ وَهِيَ الْقَرْيَةُ العظمى"[1]، "وسدوم كانت أحسن بلاد الله وأكثرها مياهاً وأشجاراً وحبوباً وثماراً"[2]، ولقد كان من واجبهم أن يشكروا الله على ما أنعم به عليهم من النعم والخيرات، ولكنهم قوم كافرون ظالمون، جحدوا نعمة ربهم، وبارزوه بالكفر، والعصيان، وتكذيب الرسل، والإتيان بالفاحشة، تلك الفاحشة التي شاعت فيهم، ولم يعملها قوم قط قبلهم، فلقد اكتفى الرجال بالرجال، قال عمرو بن دينار[3]: "مَا نَزَا ذَكَرٌ عَلَى ذَكَرٍ حَتَّى كَانَ قَوْمُ لُوطٍ"[4]. و كذلك النساء استغنى بعضهن ببعض، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل سدوم، وقال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي[5]: "لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، قَصَّ عَلَيْنَا

1- ابن جرير، تفسير الطبري (443/15).

2- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد ص202، دار صادر- بيروت، (د. ط)، (د. ت).

3- عمرو بن دينار: من كبار التابعين. وهو الإمام الكبير، الحافظ، أبو محمد الجمحي مولاهم، المكي، الأثرم، أحد الأعلام، وشيخ الحرم في زمانه. ولد: في إمرة معاوية، سمع من: ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وأنس بن مالك، وعبد الله بن جعفر، وأبي الطفيل، وغيرهم من الصحابة. انظر سير اعلام النبلاء، (300/5-301).

4- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد. سنن الدارمي. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط1. المملكة العربية السعودية: دار المغني، 1412هـ - 2000م، 735/1: رقم الحديث 1179. قال الدارمي وابن وهب: اسناده صحيح، عبد الجبار، صهيب: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (115/14) و (427/20)، ، 1435هـ- 2014م.

5- هشام بن عبد الملك: هو الخليفة، أبو الوليد القرشي، الأموي، الدمشقي. ولد بعد السبعين، واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد، ثم من بعده لولد يزيد، وهو الوليد، استخلف وله أربع وخمسون سنة. وكان حريصاً جماعاً للمال، عاقلاً، حازماً، سائساً، فيه ظلم مع عدل. انظر سير أعلام النبلاء، (351/5-352).

خَبَرَ لُوطٍ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّ ذَكَرًا يَعْلُو ذَكَرًا"[1]. ولم يكتفوا بذلك بل كلما مر عليهم نبينا لوط عليه السلام ينهاهم عن فعل ذلك، وينذرهم، ويتوعدهم، قالوا: أخرجوه وانفوه هو وبناته من بين ظهرانيكم، إنهم أناس يتطهرون، على سبيل السخرية والتهكم، قال قتادة: "عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم"[2]، فكان عقابهم أن جبريل عليه السلام اقتلعها بجناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير، وصياح الديكة، ثم عكسها فردَّ أعلاها أسفلها وأرسلها إلى الأرض، وتبعتهم الحجارة مع هذا فأهلكت من كان منهم في سفر، أو خارجاً إلى البقاع، وقالت امرأة لوط حين سمعت الرجَّة وا قوماه، والتفتت، فأصابتها صخرة فقتلتها[3].

إن جريمة فعل قوم لوط من أعظم الجرائم، وأقبح الذنوب، وأكبر الكبائر، إن هذ الفعل يدل على انتكاس الفطرة، وعمى القلب، وضعف العقل، وقلة الديانة، ولهذا عاقب الله قوم لوط عقوبة شديدة، لم يعاقب بها أمة غيرهم، وما ذاك إلا لشناعتها وبشاعتها وفحشها المتناهي، فإن الله عذبهم بأنواع من العذاب، فجمع لهم بين الرفع والقلب والقذف، فرفع الله قرى اللواطة، ثم قلبها عليهم، ثم أُتبعوا بالحجارة، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾[هود:82][4]. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ"[5]. وقد أجمع الصحابة على قتل من فعل فعل

1- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم. تحقيق: عبد المعطي قلعجي. ط1. المنصورة: دار الوفاء، 1412هـ - 1991م. (666/2).

2- الطبري، جامع البيان (550/12).

3- ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي. البحر المحيط في التفسير، (10مج). تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. (د. ط). 1412هـ- 1992م. (103/5).

4- انظر الراجحي، عبد العزيز. كتاب الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). ص35.

5- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك: سنن الترمذي، (5ج). تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5). ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م. أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللوطي، 57/4: رقم الحديث 1456. ابن ماجه: سنن ابن ماجه، أ[واب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط، (856/2): رقم الحديث 2561. الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع: المستدرك على الصحيحين، (4ج). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية – بيروت، 1411هـ – 1990م. 395/4: رقم الحديث 8047. قال الحاكم في مستدركه (395/4): صحيح. قال الألباني في صحيح الجامع 6588: حديث صحيح.

قوم لوط ، لكن اختلفوا في طريقة قتله، فمنهم من ذهب إلى أنه يُحرق بالنار، ومنهم من قال يُرمى به من أعلى شاهق ويتبع بالحجارة، ومنهم من قال: يُرجم بالحجارة حتى يموت. قال ابن القيم[1]: "ولما كانت مفسدة اللواط من أعظم المفاسد، كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات"[2].

إن الصراع بين فطرة فطر الله الناس عليها، وبين شذوذ لم تعرف البشرية مثله، يجب أن ينتهي لصالح الحق، فإن الله يُحق الحق ويَمحق الباطل. إن من يعمل عمل قوم لوط يُعجل له العذاب في الدنيا قبل الآخرة، فهم ظالمون مطرودون من رحمة الله، قال رسول الله ﷺ: "مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ"[3]، ونتيجة لهذه اللعنة فهم يعيشون حالة نفسية مدمرة، كما أنهم تُسلط عليهم الأمراض والأوجاع، قال رسول الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا"[4]، لقد صدقت يا رسول الله اكتشف العلم الحديث أمراضاً كثيرة نتيجة؛ لممارسة هذه الفاحشة مثل: نقص المناعة المكتسبة الإيدز، والهربس[5]، والسيلان وهو أكثر الأمراض الجنسية انتشاراً في العالم، وينتج عن هذا

1- ابن القيم الجوزية: هو مُحَمَّد بْن أَبِي بَكْر بْن أيوب بْن سَعْد بْن جريز الزرعي الدمشقي، الفقيه الأصولي، المفسر النحوي، العارف. ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة. وتفنن فِي علوم الإسلام. وَكَانَ عارفا بالتفسير لا يجارى فِيهِ، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى. والحَدِيث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق فِي ذَلِكَ، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وَلَهُ فِيهَا اليد الطولى. انظر الحنبلي، ابن رجب. ذيل طبقات الحنابلة، (5ج). تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان – الرياض، 1425هـ – 2005م. (171-170/5).

2- الجوزية، ابن القيم. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء. ط1. المغرب: دار المعرفة –1418هـ – 1997م، ص168.

3 – حنبل: مسند الإمام أحمد بأحكام شعيب الأرناؤوط 246/2: رقم الحديث 2916. الترمذي، سنن الترمذي 57/4: رقم الحديث 1456، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. قال الألباني في صحيح الجامع 1552: حديث صحيح.

4- ابن ماجه: سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، 1332/2: رقم الحديث: 4019. ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب الحدود، باب الزنى وحده، 259/10. قال الألباني في السلسلة الصحيحة 106: حديث صحيح.

5- الهربس: هو إصابة فيروسية متكررة بسيطة تصيب الجلد، حيث تصاب الاعضاء التناسلية والأرداف ومنطقة الشرج بالتقرحات، ينتشر هذا المرض في الدول الإباحية بشكل مرعب، وتبلغ إصابة الشاذين جنسياً بهذا المرض أضعاف ما هي عليه عند الزناة، ولا يوجد له علاج يقطع شأفته نهائياً. انظر الصراع بين الحق والباطل، موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة، مرض هربس، ص315.

المرض خروج صديد كثيف من مجرى البول، بالإضافة إلى حرقة وارتفاع في درجة الحرارة، وإذا أهمل علاجه قد يسبب التهاب المفاصل، والتهاب المخ(السحايا)، والعقم، والزهري، ويطلق عليه المقلد العظيم لأنه يشترك مع الأمراض الأخرى في كثير من الأعراض، لذلك يصعب تشخيصه، وفي حالة ما إذا ترك مرض الزهري دون علاج، فإنه يمكن أن يلحق الضرر بالقلب، والشريان الأبهر، والدماغ، و العيون، والعظام، وفي بعض الحالات، قد تكون هذه الآثار قاتلة. إلى غير ذلك من الأمراض، والأورام، والسرطانات الخبيثة؛ إضافة إلى ما يسببه اللواط من أمراض نفسية، وعصبية[1]، وبلغت نسبة الأفراد الذين مارسوا نشاطاً جنسياً شاذاً في العالم خلال حياتهم من 2% إلى 10 %[2].

ثالثاً: الصراع بين موسى وفرعون:

وردت قصة موسى عليه السلام مع فرعون الظالم في القرآن الكريم في أكثر من أربع وعشرين سورة، بعضها على وجه التفصيل، والآخر بشيء من الإجمال، وتمثل هذه القصة نموذجاً ظاهراً وصريحاً للصراع بين أهل الحق من الصالحين وأهل الباطل من الظالمين، الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، والباطل الذي تجسد في جبروت الظالم فرعون، الذي أصبح مثلاً يُضرب لكل صاحب باطل ظالم متكبر عنيد[3]، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ هود:96، لقد جاء سيدنا موسى عليه السلام برسالة التوحيد، رسالة يُخرج بها البشرية من الظلمات إلى النور، فيهديهم صراط الله المستقيم، الصراط القائم على العبودية لله وحده، والدينونة لربوبيته وحده، والتخلص من ربوبيات العبيد، والاستعلاء على حاكمية العبيد، ومناهج العبيد في السياسة والحكم وفي الاقتصاد والاجتماع، وفي الخلق والسلوك، وفي العادات والتقاليد.. وذلك فوق صيانة هذا المنهج للطاقة البشرية أن تبذل في تأليه العبيد، والطبل والزمر للطواغيت!!![4]، ولكنهم مع كل ذلك رفضوا دعوة موسى، وعصوا أمر الله، واتبعوا أمر فرعون

1- انظر مرض السيلان والزهري. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org/wiki/

2- انظر المصدر السابق، مثلية جنسية.

3- انظر القوة الإيمانية ودورها في حسم الصراع بين الحق والباطل(دراسة قرآنية). بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية غزة، في الفترة: 2-3-2007/4م.

4- انظر قطب، في ظلال القرآن (2085/4).

رغم ما فيه من حماقة، وجهالة، وشطط[1]، ذلك أن هذا الطاغي المتجبر، والمدعي لنفسه بالألوهية والربوبية والذي قال﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص:38]، والمفاخر بنفسه أنه المتفرد بمعرفة طريق الحق والصواب، ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:29]، والمخوف لقومه من موسى أن يفتنهم عن دينه، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:26]، إن كان كسب بعض الجولات في هذا الصراع إلا أن الجولة النهائية كانت للحق على الباطل، وللإيمان على الكفر، وللعدل على الظلم. وقد عبر القرآن عن هذه النتيجة في أكثر من آية، وبأساليب متنوعة؛ مقراً حقيقة انتصار موسى على فرعون ، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف:118-119]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف:37].

إن فرعون لعالٍ في الأرض جبار عنيد ظالم مشتغل بغير الحق، وإنه لمن المسرفين في جميع أموره وشئونه وأحواله، واستمراره على الباطل[2]، وإنَّ موسى عليه السلام متواضعٌ، عادلٌ، مناصرٌ للحق، محاربٌ للباطل، وقد جرت سنة الله تعالى في الأرض أن يدفع الباطل بالحق، وأن ينصر رسله ولو بعد حين.

1- انظر المرجع السابق (1924/4).

2- انظر ابن كثير، قصص الانبياء. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ط1. القاهرة: مطبعة دار التأليف، 1388هـ - 1968م. (76/2).

المطلب الثالث

مظاهر الصراع بين الصالحين والظالمين

إن الصراع بين الصالحين والظالمين ليس وليد اليوم، بل هو ممتد في عمق التاريخ منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، فهو مقارن لخلق أبينا آدم عليه السلام، فقد حَسده إبليس وتَوعده هو وذريته أن يَفتنه، ويُضله، ويُشقيه، ويبعده عن الطريق المستقيم، فقال لرب العالمين: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:82].

ولقد اتخذ الصراع على مدار العصور أشكالاً وصوراً عديدة، ولم يقتصر على صراعات فردية أو جماعية، بل تجاوز ذلك كله، حتى وصل الأمر إلى صراعات دولية، فنشبت حروب طاحنة دارت رحاها، بين دول كبرى على مدار التاريخ، كان أهل الباطل من الظالمين دائماً هم من يوقدون جذوة نار الحرب، والعداوة، والبغضاء، ليطمسوا نور الحق، والمحبة، والهداية.

ولقد نشب أول صراع بين الصالحين والظالمين هو:

أولاً: الصراع بين الشيطان وآدم وذريته: إن أول ظالم وُجد في الكون هو إبليس عليه من الله ما يستحق، فإن العداء بين الإنسان وإبليس عداء بعيد الجذور، يعود تاريخه إلى اليوم الذي خلق الله فيه آدم بيديه، قبل أن ينفخ فيه من روحه، فأخذ إبليس يطيف به، فعن رسول الله ﷺ قال: "لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ"[1]، فلما رآه الشيطان وعلم أنه خالٍ من الداخل، عرف أنه لا يستطيع أن يحبس نفسه، ويملكها عن الشهوات[2]، فلما نفخ الله فيه الروح، أمر الملائكة بالسجود له، عند تلك اللحظة أُعلن الصراع بين آدم وإبليس.

"إن إبليس هو الذي يخطط للمعركة مع بني الإنسان ويقودها، ومن قاعدته يرسل البعوث والسرايا في الاتجاهات المختلفة، ويعقد مجالس يناقش جنوده وجيوشه فيما صنعوه، ويثني على الذين أحسنوا وأجادوا في الإضلال وفتنة الناس"[3]، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ إِبْلِيسَ

1- مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك، 2016/4: رقم الحديث 2611. ابن حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، 88/12: رقم الحديث 13391.

2- انظر القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي. إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، (8ج). تحقيق: د. يحيى اسماعيل. ط1. مصر: دار الوفاء 1419هـ - 1998م. (86/8).

3- الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله. عالم الجن والشياطين. ط4. الكويت: مكتبة الفلاح، 1404هـ - 1984م. ص63.

يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ"[1]، والشيطان له خبرة طويلة في إضلال وغواية بني آدم، فهو يجيد وضع الخطط والمكائد، وهو دؤوب على القيام بالشر الذي نذر نفسه له، لا يكل ولا يمل، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتِ الْأَرْوَاحُ فِيهِمْ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي"[2]، وربنا لا يزال بالعفو والمغفرة معروفاً، فهذا اللعين يُضل ويُغوي، وربنا يتوب ويغفر.

أوجه الصراع بين آدم والشيطان:

1- **رفض الشيطان السجود لآدم:** كان إبليس يتعبد الله مع الملائكة، فلما أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود شمله الأمر، ولكنه تعاظم في نفسه واستكبر، وأبى السجود لآدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:34]، وقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:12]، فتح أبونا آدم عينيه فوجد أعظم تكريم، يجد ملائكة كراماً له ساجدين، ووجد عدواً يتربص به ويتهدده هو وذريته بالهلاك، فإن إبليس نظر في نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم ، فرآى في نفسه أنه أفضل من آدم عليه السلام، لأنه خُلق من نار، وآدم خُلق من طين، قال الحسن البصري: "قاس إبليس وهو أول من قاس"[3].

2- **العمل على إخراج آدم من الجنة:** قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117]، كان ذلك من رعاية وعناية الله عز وجل بآدم عليه السلام أن حذره من عدوه إبليس وغدره، أن يخرجه من الجنة إلى الأرض التي كلها تعب،

1- مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً، 2167/4: رقم الحديث 2813.

2- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، 80/15: رقم الحديث 11262، قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 104: حديث صحيح.

3- الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري. ذم الكلام وأهله. تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1418هـ -1998م. (200/2).

وشقاء، وكد، وشرود، وضلال، وقلق، وحيرة، ولهفة، وانتظار، وألم، وفقدان[1]، قال تعالى:﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه:118]، فإن الجنة لا جوع، ولا عُري، ولا عطش، ولا حر فيها، لأن هذه الأشياء هي متاعب الإنسان الأولى[2].

3- **وسوسة الشيطان لآدم بالحياة الأبدية والملك الطويل:** إنها النفس البشرية والضعف البشري تجاه الرغبة في البقاء، والرغبة في السلطان، ومن هذه الثغرة نفذ إليه الشيطان فقال: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه:119]، فهذه هي نقاط ضعف الإنسان الحياة الطويلة، والملك الطويل، ومن هاتين النافذتين دخل الشيطان إلى آدم، ثم أقسم الشيطان لهما بالله أنه ناصح ومحب لهما، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف:20-21]، فوقع في المحظور، ونسي العهد الذي بينه وبين ربه، فقال له ﷻ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه123]، وبذلك أعلنت الخصومة في الثقلين، لا ليقف الأمر عند آدم، بل ليمتد إلى ذريته من بعده[3].

ثانياً: الصراع بين ذرية آدم والشيطان: طُرِد الشيطان من الجنة، بسبب استكباره، ولكنه أخذ وعداً من الله بإبقائه حياً إلى يوم القيامة، ليتمكن من غواية ذرية آدم، فقطع على نفسه عهداً بإضلالهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:14-17]، لكن عناية الله ﷻ ورحمته بعباده قد حذر بني آدم من الشيطان في آيات كثيرة من القرآن الكريم؛ وذلك: لعظيم فتنته، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:27]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:6]، وقوله: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:119]، وعداوة الشيطان باقية لا تزول إلى يوم

1- انظر قطب، في ظلال القرآن (2354/4).

2- انظر تفسير ابن أبي حاتم (2438/7). قطب، في ظلال القرآن (2354/4).

3- انظر قطب، في ظلال القرآن (2354/4-2355).

القيامة، لأنه يرى أن طرده، ولعنه، وإخراجه من الجنة، بسبب آدم، لا باستكباره، وعدم امتثاله لأوامر الله، فلا بد من الانتقام، من آدم وذريته من بعده[1]، قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:62]، ومعنى (أحتنكنه): "القول الأول: لأستأصلنهم بالإغواء، والقول الثاني: لأقودنهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحبلها"[2].

أوجه الصراع بين بني آدم والشيطان:

1- قدرته على التزيين والإغواء: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:39]، لما أُعطي إبليس النظرة إلى اليوم الموعود أقسم بأن يحبب المعاصي إلى بني آدم، ويرغبهم فيها، ويؤزهم إليها، ويزعجهم إزعاجاً[3]، وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:63]، إن الشيطان قد زيَّن القبائح في أعين الأمم السابقة، فكان مصيرهم إلى النار [4].

2- الكذب والمخادعة: لقد استخدم الشيطان أسلوب الكذب، والخيانة، والخديعة، من أجل إضلال بني آدم، فهو يزين لهم المعاصي، ويعدهم الأماني، ويُسَّوف لهم التوبة ويؤخرها[5]، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:120]، كما أنه ينهاهم عن الإنفاق في مرضاة الله، ويأمرهم بالمعاصي، والمآثم، والمحارم، ومخالفة الخَلَّاق[6]، وقال ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة :268].

1- انظر الأشقر، عالم الجن والشياطين، ص53-54.
2-الرازي، مفاتيح الغيب (366/21).
3- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (535/4).
4- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (230/20).
5- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (415/2).
6- تفسير ابن كثير، (700/1)، بتصرف.

3- **الوسوسة:** بداية الوسوسة الشيطانية خواطر، وبمجرد أن تكون خواطر فلا استقرار لها إذا اطرَّدت، فإن لم تطّرد استقرت، وإذا استقرت تمكنت، وإذا تمكنت أثرت، ومما يدل على أن أول الوسوسة خواطر لا استقرار لها قول الرسول ﷺ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيَدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ"[1]، قال ابن القيم الجوزية: "وَأعلم أَن الخاطرات والوساوس تُؤَدِّي متعلقاتها إِلَى الْفِكر، فيأخذها الْفِكر، فيؤديها إِلَى التَّذَكُّر، فيأخذها الذّكر، فيؤديها إِلَى الْإِرَادَة، فتأخذها الْإِرَادَة، فتؤديها إِلَى الْجَوَارِح وَالْعَمَل، فتستحكم، فَتَصِير عَادَة، فردّها من مبادئها أسهل من قطعهَا بعد قوتها وتمامها"[2]، وقال ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا﴾ [الأعراف:201]، إن إصابة الشيطان غير مكينة، فعند ابتداء إلمام الخواطر الشيطانية بالنفس يجب الفزع إلى الله ﷻ، لأن تلك الخواطر إذا أُمهلت لم تلبث أن تصير عزماً، ثم عملاً[3].

كما أن الوسوسة أصل كل شر، وهي مبدأ الكفر، والشرك، والمعاصي[4]، قال ابن تيمية : "فإن الوسواس أصل كل كفر، وفسوق، وعصيان، فهو أصل الشر كله، فمتى وقيَ الإنسان شره وقيَ عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس، ووقي عذاب الله في الدنيا والآخرة"[5].

4- **تهوين المعصية:** "إن العبد لا يزال يرتكب الذنب، حتّى يهون عليه، ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذنب كلّما صغُر في عين العبد عظُم عند الله"[6]، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: "إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى

1- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس، (10/4): رقم الحديث 2097. السجستاني: سنن أبي داود، كتاب النوم، باب في رد الوسوسة، (329/4): رقم الحديث 5112، قال الألباني: حديث صحيح في كتاب الإيمان لابن تيمية. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط4. بيروت: المكتب الإسلامي،1413هـ- 1993م، ص102.

2- الفوائد: ابن القيم، ص174.

3- انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (233/9).

4- انظر الإمام، أبو نصر محمد بن عبد الله. إنقاذ المسلمين من وسوسة الجن والشياطين. اليمن: دار الحديث بمعبر، ص4-5.

5- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (518/17).

6- ابن القيم، الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. تحقيق: مُحَمَّد أجمل الإصْلَاحي، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد بجدة، ط1/1429هـ، ص144.

ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فطار"[1]، ومن كان قلبه معقوداً بالمعصية، مُصِراً عليها، عازماً على مواقعتها متى أمكنَتْه، فإنه ينسلخ من القلب استقباحُها، فتصير له عادةً، فلا يَستقبح من نفسه رؤيةَ الناس له، ولا كلامَهم فيه، حتى أن أحدهم يفتخر بالمعصية، ويُحدث بها من لم يعلم أنه عملها، فهؤلاء ضرب من الناس لا يُعافون، وتُسد عليهم طرق التوبة[2]، هؤلاء هم المجاهرون، وقد قال رسول الله ﷺ فيهم: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ"[3].

5- تعسير التوبة على المسلم ثم التأييس من رحمة الله: مسلك آخر يسلكه الشيطان لإضلال الإنسان، التقنيط من رحمة الله ﷻ، فهو لا يريد أن يكون عند الناس إيمان، أو ثقة بالله، أو تفاؤل برحمة الله، أو يمتلئون حماسةً، وإقبالاً على فعل الخيرات، وترك المنكرات، بل يريد منهم أن يكونوا متشائمين، قانطين من رحمة الله، خائفين، لا ثقة عندهم بخالقهم، ولا حتى بأنفسهم، فقد ينتهز الشيطان حالة الندم المرير الذي يملأ قلب التائب مع لومه الشديد لنفسه، لكي يوقعه في اليأس، كأن خطاياه بلا غفران...، وهذا عكس ما أمرنا به الله ﷻ، فقد نهى الله عز وجل عن القنوط واليأس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:87]. وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: 56]. فاليائس كافر، والقانط ضال ضلال الكفر[4]. وعن سفيان بن عيينه[5]أنه قال: "وأكبر الكبائر: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله،

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، 67/8: رقم الحديث 6308.

2- انظر ابن القيم، الداء والدواء، ص141-142.

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب ستر المؤمن على نفسه، 20/8: رقم الحديث 6069.

4- الراجحي، عبد العزيز. شرح العقيدة الطحاوية: محاضرة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بمسجد ابن تيمية.

5 - سفيان بن عيينه: هو مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، المكي. مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومائة. وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. سير أعلام النبلاء (454/8-455).

والأمن من مكر الله"[1]، "فإن القنوط أشد اليأس، ويعجب الرب عزَّ وجلَّ من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد"[2].

ويترتب على اليأس من رحمة الله عدة أمور منها:

أ- **الجهل بالله سبحانه وتعالى:** "القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور:

أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه.

وثانيها: أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد إليه.

وثالثها: أن يجهل كونه تعالى منزهاً عن البخل، والحاجة. والجهل بكلِّ هذه الأمور سبب للضلال"[3].

قال الرازي[4] في لفتة قوية لما سبق: "واعلم أن اليأس من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال، أو غير عالم بجميع المعلومات، أو ليس بكريم، بل هو بخيل، وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول أحد هذه الثلاثة، وكل واحد منها كفر، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافراً"[5].

فيجب على العبد أن يكون واثقاً بأن الله لا يُقَدِّر له إلا كل خير، وأن الخُطوب لو اجتمعت عليه فذلك له منفعة، لأن الله يعلم ما ينفع هذا العبد وما لا ينفعه، وما كان ليصيبه ما كان ليخطئه، وما أخطأه ما كان ليصيبه، فليُحسن العبد الظنَّ بالله، وليبتعد عن اليأس والقنوط، فإن في ذلك فساد قلبه.

1- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (298/7).

2- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. شرح العقيدة الواسطية، (2ج). تحقيق: سعد بن فواز الصميل. ط6. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1421هـ- 2000م. (27/2).

3- الرازي، تفسير الفخر الرازي (152/19).

4- الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي، العلامة الكبير، ذو الفنون، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين. كان يتوقد ذكاء، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر. مات سنة ست وست مائة. انظر سير أعلام النبلاء (500/21-501).

5- الرازي، تفسير الرازي (501/18).

ب- الغلو في الخوف من الله سبحانه وتعالى: قال الطحاوي[1] رحمه الله: "والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، فيجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط"[2].

إن الخوف المرفوض هو الذي يوقع العبد في اليأس من رحمة الله وعفوه، والخوف المحمود ما حجز العبد عن الوقوع في المعاصي والذنوب، فيعيش العبد بين الخوف والرجاء، محسناً الظن بباريه، فينال عندها سعادة الدنيا والآخرة، قال أبو علي الروذباري[3]رحمه الله: "الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في الموت"[4]، لذلك قيل: "لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا"[5]، وقد مدح الله ﷻ أهل الخوف والرجاء فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر:9]، وبقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:16].

ج- يوقع العبد في براثن سوء الظن برب العالمين: إن سوء الظن بالله عز وجل من أكبر الكبائر، ومن أشنع الذنوب وأشدها وعيداً، قال ابن القيم: "ولم يجيء في القرآن وعيد أعظم من

1- الطحاوي: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، الإمام العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، صاحب التصانيف، ولد في سنة تسع وثلاثين ومائتين. وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً، لم يخلف مثله، مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. انظر سير أعلام النبلاء (27/15-29).

2- الحنفي، ابن أبي العز. شرح العقيدة الطحاوية. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي. ط10. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ - 1997م. (456/2)

3- أبو علي الروذباري: هو الحسين بن محمد بن علي بن حاتم، الروذباري، الطوسي، الإمام المسند، وحدث ب "سنن أبي داود" بنيسابور، وعقد له مجلس في الجامع، ثم مرض، ورد إلى وطنه بالطابران، فتوفي في ربيع الأول سنة ثلاث وأربع مائة.

حدث عنه الحاكم وهو من أقرانه، وأبو بكر البيهقي، وأبو الفتح نصر بن علي الطوسي، وفاطمة بنت أبي على الدقاق، وعدد كثير نيف على الثمانين.

4- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، 1323هـ- 1902م. (268/9).

5- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. شعب الإيمان. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. السعودية: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند1423 هـ - 2003 م. (328/2).

وعيد من ظن به ظن السوء"[1]، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:6].

"إن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، وسوء الظن به ينافي التوحيد"[2]، يقول ابن القيم في تفسير الآية السابقة: "فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسولَه، وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتمَّ أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله، وهذا هو ظَنُّ السَّوء الذي ظَنَّهُ المنافقون والمشركون، وإنما كان هذا ظَنَّ السَّوء، لأنه ظَنُّ غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق"[3].

وسوء الظن هو أثر من اليأس من روح الله، الذي هو خصال الكافرين، وهو أسوأ من القنوط من رحمة الله التي هي سبب خسارة الخاسرين، ذلك أن سوء الظن برب العالمين يأس، وقنوط، وزيادة، فالذي يسيء الظن بالله ﷻ يُجِّوز؟ على الله أشياء لا تليق بكرمه وجوده[4].
وهي صفة كل مُبطل ومبتدع، قال تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: 23]، قال ابن القيم: "كلُّ مبطل وكافر ومبتدع مقهور مستذل، فهو يظن بربه هذا الظن وأنه أولى بالنصر والظفر والعلو من خصومه، فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق، ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به،

1- ابن القيم الجوزية، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ط1. المملكة العربية السعودية، الرياض: دار العاصمة، 1408هـ 1987م. (1356/4).

2- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد. ط4. دار ابن الجوزي، 1420هـ - 1999م، ص92.

3- الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، (5ج). ط27. ، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ -1994م. (205/3).

4- انظر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري، (2ج). الزواجر عن اقتراف الكبائر. ط1. دار الفكر، 1407هـ - 1987م. (150/1).

ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامناً كمون النار في الزناد"[1].

د- دنو الهمة وترك العمل، والاستسلام للواقع، وعدم الرغبة في التغيير: إن اليأس من الإصلاح والتغيير يعاني منه كثير من الناس، فمن عاين الفتن، والمحن، والنوازل التي تعاني منها الأمة العربية والإسلامية، من فرقة واختلاف وتناحر، يأس من الإصلاح، واستسلم للواقع، ولم يُفكر في إحداث أي تغيير، وهذا شأن كثير من الناس ممن أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، تجده ييأس من إصلاح نفسه التي بين جنبيه، فكيف سيصلح مجتمعاً بأسره، وهذا كله مظهر من مظاهر دنو الهمة، وصغر النفس، والعجز عن مواجهة الواقع وتغييره.

قال ابن حجر الهيتمي[2]: "القانط آيس من نَفْعِ الأعمال ومن لازِمِ ذلك تركها"[3].

هـ- تعلق القلب بغير الله: من يتعلق قلبه بغير الله فإنه يشقى في الدنيا والآخرة؛ لأن لا سعادة للقلوب إلا بذكر الله، والاطمئنان إليه، قال تعالى ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:28]، ومن تعلق قلبه بعَرَضٍ من الدنيا فهو شقي، تعيس، قال رسول الله ﷺ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ..."[4].

"فكل مَن أحب شيئًا غير الله عُذِّبَ به ثلاث مرات في هذه الدار، فهو يُعذب به قبل حصوله حتى يحصُل عليه، فإذا حَصَل عليه عذِّب به حال حصولِه بالخوف من سلبه وفواتِه، فإذا سُلِبه اشتدَّ عليه عذابُهُ، بالإضافة إلى ما فاته من الأجر العظيم باشتغاله بضده، وألم البعد عن الله، والندامة والحسرة في الدنيا والآخرة"[5].

من علَّق قلبه بغير الله، وكِّل إلى ما تمناه قلبه واشتهاه، حتى أصبح ذلك شغله الشاغل، فضَعُف إيمانه، ووجد لذته في حطام الدنيا، فنسي الآخرة، فإذا أصبح هذا حاله خِيف عليه من سوء الحال، وسوء الختام.

1- ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (211/3).

2- الهيتمي: هو احمد بن محمد بن حجر الهيتمي، فقيه مشارك في انواع من العلوم، ولد في محلة ابي الهيتم من اقليم الغربية بمصر في رجب، وتوفي بمكة سنة 973هـ. معجم المؤلفين (152/2).

3- ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر (122/1).

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، 34/4: رقم الحديث 2887، 34/4. القزويني: سنن ابن ماجه، أبواب الزهد، باب في المكثرين، 248/5: رقم الحديث 4135.

5- ابن القيم الجوزية، الداء والدواء (185/1).

6- **الإيذاء النفسي والبدني:** لا يكتفي الشيطان بالوسوسة والتزيين والكذب والخداع، بل تعدى الأمر أكثر من ذلك، فإن للشيطان قدرة على الإيذاء النفسي والبدني فمن ذلك:

أ- **الرؤيا المحزنة:** أن يأتي الشيطان للإنسان في منامه، فَيُريه ما يُزعجه، ويُخوفه، ويُحزنه، ويُؤلمه، قال رسول الله ﷺ: "الرُّؤْيَا ثَلاَثٌ: حَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ، وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ"[(1)]،

ب- **إحراق المنازل:** قد يقوم بإحراق المنازل وإشعال النار فيها، بواسطة بعض الحيوانات، عن ابن عباس قال: جَاءَتْ فَأْرَةٌ فَأَخَذَتْ تَجُرُّ الْفَتِيلَةَ فَجَاءَتْ بِهَا فَأَلْقَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْخُمْرَةِ الَّتِي كَانَ قَاعِدًا عَلَيْهَا فَأَحْرَقَتْ مِنْهَا مِثْلَ مَوْضِعِ الدِّرْهَمِ فَقَالَ: "إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ عَلَى هَذَا فَتُحْرِقَكُمْ"[(2)].

ج- **التخبُّط عند الموت:** إن الشيطان يتخبط الإنسان عند موته، ومعنى الخبط: "الضرب الشديد"[(3)]، وقيل: "التخبُّط: الإفساد، والمراد إفساد العقل والدين"[(4)]، وقيل: "تخبَّط الشَّيطانُ فلاناً: مسّه وأفسده، وأَوْقعه في الاضطراب، وأصابه بشيء من الجنون والخبل"[(5)]،قال تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:275]، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من تخبط الشيطان، فيقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا"[(6)]،

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، 37/9: رقم الحديث 7017.

2- السجستاني: سنن أبي داود، أبواب النوم، باب في إطفاء النار بالليل، 363/4: رقم الحديث: 5247. ابن حبان: صحيح ابن حيان، كتاب الزينة والتطيب، باب آداب النوم، 327/12: رقم الحديث 5519، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 1426: حديث صحيح.

3- ابن منظور، لسان العرب (280/7). الزبيدي، تاج العروس (277/19).

4- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، (14ج). ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1995م. (287/1).

5- معجم اللغة العربية المعاصرة (611/1).

6- السجستاني: سنن أبي داود، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، 92/2: رقم الحديث: 1552. النسائي: سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهدم والتردي، 239/7: رقم الحديث 7917، قال الألباني في صحيح أبي داود – الأم، (7ج). تحقيق: الألباني. ط1. مؤسسة غراس، 1423هـ – 2002 م. (275/5): حديث صحيح.

قال الخطابي[1]: "استعاذته أن يستولي عليه الشيطان عند مفارقة الدنيا، فيضله، ويحول بينه وبين التوبة، أو يعوقه عن إصلاح شأنه، والخروج من مظلمة تكون قبله، أو يؤيسه من رحمة الله، أو يتكره الموت، ويتأسف على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من الفناء، والنقلة إلى الدار الآخرة، فيختم له بالسوء، ويلقى الله وهو ساخط عليه، وقد رُوي أن الشيطان لا يكون في حال أشد على ابن آدم منه في حال الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه"[2].

د- **النخس عند الولادة:** كما أنه يؤذي الوليد عند ولادته، قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ، غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ"[3]، أي: في المشيمة التي يكون فيها الولد، وقال القرطبي[4]: "إن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها"[5].

هـ- **مشاركته الإنسان طعامه وشرابه:** إن الشيطان يشارك ابن آدم المأكل والمشرب والمسكن، قال رسول الله ﷺ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ"[6]، لذلك أمرنا رسول الله ﷺ بذكر اسم الله عند دخول البيت، وعند الطعام والشراب، حتى يجنبنا الله الشيطان، بل أوصانا رسول الله ﷺ أن نذكر اسم الله عند فعل كل شيء، حتى لا يكون للشيطان سلطاناً علينا، حتى عند مقاربة الزوج

1- الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، صاحب التصانيف. ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة. ومات سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة. انظر سير أعلام النبلاء (23/17-27).

2- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود. ط1. سوريا، حلب: المطبعة العلمية،1351هـ - 1932م. (296/1).

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، 125/4: رقم الحديث 3286.

4- القرطبي: هو الخزرجي محمد بن عبد الحق بن أحمد، الإمام، الفقيه، مع (الموطأ) وغيره من: محمد بن فرج الطلاعي، وعني بالفقه. توفي سنة ستين وخمس مائة. انظر سير أعلام النبلاء (420/20-421).

5- تفسير القرطبي (68/4).

6- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، 1598/3: رقم الحديث 2018. القزويني: سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا دخل بيته، 1279/2: رقم الحديث 3887.

زوجته، قال رسول الله ﷺ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ"(1).

ز- **السرقة**: إن سرقة الجن للأشياء أمر محتمل، فلقد ثبت سرقة الشيطان لتمر الصدقة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُود"، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ"، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: "مَا هِيَ"، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ"، قَالَ: لاَ، قَالَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ"(2)، وقد يقوم الجن أيضاً بسرقة بعض الأشياء وإلقائها في مكان آخر من باب العبث والأذى، قال ابن تيمية

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، 40/1: رقم الحديث 141. مسلم: صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، 1058/2: رقم الحديث 1434.

2- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، 101/3: رقم الحديث 2311.

رحمه الله: "فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان، ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك، وإن لم يكن فيه منفعة لهم"(1).

ط- القتل: عن مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا فَقَالَ: "اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ" ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ"(2). وفي هذا الحديث دليل على أن الجن يتشكل بصور الحيات، وأن له القدرة على القتل، لذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن نستأذن الحيات ثلاثاً إذا رأيناها في البيوت، لئلا تكون الحيات جناً مسلمين.

ط- المس: أما الأذية الكبرى التي ينالها الإنسان في بدنه من الشيطان هي المس (الصرع)(3)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة"(4)، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:275]، فقد يمس الشيطان الإنسان مساً كلياً، عندها يسكن الجني دماغ الإنسان، أو جزئياً فيتحكم بجزء من جسد الإنسان كاللسان والعين والذراع، فيفقد الإنسان قدرته على التحكم بالعضو، أو يمسه مساً دائماً حيث يسكن الجني جسد المريض

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (83/13).

2- مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، 1756/4: رقم الحديث 2236. النسائي: سنن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا رأى حية في مسكنه، 356/9: رقم الحديث 10742.

3- انظر عمر الأشقر، عالم الجن والشياطين ، ص59-62.

4- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (276/24).

بصفة دائمة، قد تصل إلى سنوات، أو يمسه مساً عارضاً وهذا أخف أنواع المس، لا يستغرق إلا لحظات[1].

وأما أسباب صرع الجن للإنس فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، وقد يكون وهو كثير أو الأكثر عن بغض ومجازاة، مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم، إما ببول على بعضهم، وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنسي لا يعرف ذلك، فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منهم وشر[2]، وقد يكون غضب شديد، أو فرح شديد، أو كثرة المعاصي والانكباب على الشهوات، أو الغفلة، ...

ي- **عبادة الشيطان:** ولم يقف الأمر عند ذلك من أذى نفسي وبدني يفعله الشيطان ببني آدم، بل تعدى ذلك إلى أن أمره بعبادته والسجود له، فظهرت في أمريكا وإيرلندا وبريطانيا جماعة أطلقت على نفسها "عبدة الشيطان"، وكان اليهودي "أنطون ليفي" أول من أسس كنيسة رسمية لعبدة الشيطان سنة 1966م، في سان فرانسسكو بأمريكا، وهي فرقة ترتدي السواد، ترسم على ملابسها صورة للشيطان، ولهؤلاء معتقدات يعتقدونها مثل: أن الكون أزلي، والإنسان صورة مصغرة منه، وهم يدَّعون أن الحياة التي نعيشها "حياة الجسد والدم" ما هي إلا سلسلة لا تنتهي من حلقات الحياة، ولعبدة الشيطان مراتب يترقون فيها، ويرون أن الترقي لا يكون من المنزلة الأحط إلى المنزلة الأعلى إلا عن طريق إشباع المنزلة الأحط، برغباتها، وشهواتها، حتى الشاذ منها، فلا شيء اسمه خطيئة، ولا شيء اسمه شر ومنكر، فكل ما يحقق شهوات النفس ورغباتها هو مطلوب عند عبدة الشيطان حتى يحصل لهم الترقي في درجاتهم المزعومة، وأما نظرتهم إلى معبودهم "الشيطان"، فهم يرون أن الشيطان يمثل الحكمة، ويمثل الحياة الواقعية، لا حياة الخيال والأوهام، ويمثل كل الخطايا والسيئات التي تقود إلى الإشباع الجسدي والفكري، والشيطان يمثل كذلك الانتقام لا التسامح، لذلك فهم يتخلقون بأخلاقه، ويقصدون سلوك طريقه، فمن وصاياهم مثلاً:

- تدمير كل من يحاول مضايقتك بلا رحمة (الانتقام).
- المبادرة الجنسية طالما سنحت الظروف، وخاصة مع المحارم (الاشباع الجنسي).
- الاعتراف الكامل بالسحر، والإيمان المطلق بالطقوس السحرية.

1- انظر حنيدق، محمد حسن. العلاج بالقرآن. ط2. الأردن، عمان: دار البيت العتيق، 1431هـ- 2010م. ص44.

2- انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى (19/39-40).

ومن أفكارهم المساواة بين المتضادات من الحب والبغض، والخير والشر، والماديات والروحانيات، والألم والسرور، والحزن والفرح ..... وعلى عابد الشيطان أن يستميت لكي يحقق هذا التوازن بين تلك المتضادات[1]، ولهم طقوس يمارسونها يتقربون إليها من الشيطان، مثل: تناول المخدرات، وممارسة الجنس، وتعلم السحر الأسود وهو: "سحر يمارس لأغراض شريرة وهو أقوى أنواع السحر"[2]، وتدنيس الكتب الدينية، أو قراءَتها معكوسة، وتقديم القرابين والذبائح، التي لها صفات معينة كاللون الأسود، أو العيوب الخَلقية، وفي العديد من المرات تم التضحية بالبشر...[3]، فهؤلاء لم يتركوا باباً للفسق والفجور إلا وسلكوه.

هذه بعض أوجه الصراع بين الشيطان وبني آدم، فالشيطان لا يفتأ يكيد لبني آدم حتى يوردهم المهالك، فهو يتربص بالإنسان من لحظة مولده حتى آخر رمق له في الحياة، فهو منبع الشرور والآثام، وهو رافع راية الكفر والعصيان والظلم، فلنستعذ بالله منه في كل وقت وحين، ولنعتصم بحبل الله المتين، عندها فقط ننجو من كيده، ونسعد في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- الصراع بين الأنبياء وأقوامهم الكافرين: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:112]، وقال أيضاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:31]، إنها سنة الله في عباده المؤمنين الصالحين، أن يرسل للأنبياء وأتباعهم أعداء من بني جلدتهم، يناصبونهم العداء، ويكيلون إليهم كل أصناف العذاب، ولله الحكمة البالغة في ذلك، فسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام بارزه قومه بالعداء، وكل ذنبه أنه ذكرهم بآيات الله، فقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:71]، أما سيدنا هود عليه السلام عندما دعا قومه لعبادة الله عز وجل، وإخلاص العمل له، حيث اتهموه بالكذب والسفاهة والجنون، قال

1- انظر الشحود، علي بن نايف. عبدة الشيطان المعاصرون- التعريف والأفكار، موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، (17/48).

2- معجم اللغة العربية المعاصرة (1041/2).

3- انظر الرقب، واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص186-189. شيطانية، ويكيبديا الموسوعة الحرة. عماد، عبدة الشيطان(3): طقوس الإبليسيون وتفاصيل ممارساتهم العجيبة، 2009/12/3م، موقع كابوس: 9http://www.kabbos.com/index.php?darck=

تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف:66]، ولكنه أجابهم جواب المشفق عليهم، الطامع بإيمانهم، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:67]، أما سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، فقد لقي من فرعون الظالم أشد الإعراض والعداوة والعذاب، فقد قتَّل أطفال بني إسرائيل، واستباح أموالهم وأعراضهم، ووصل الأمر به أن أراد أن يقتل موسى ومن معه فقال الله عز وجل حكاية عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:26]، أما سيدنا محمد ﷺ فلم يسلم أيضاً من عداوة قريش، ولا من بطشهم، فقد عذَّبوا أصحابه، كبلال وياسر وسمية، وأدْمَوا قدميه الشريفتين، وشَجُّوا وجهه، وكسروا رباعيته، وأتمروا لقتله ليلة الهجرة ﷺ.

إن بروز المجرمين الظالمين لحرب الأنبياء والدعوات، يقوي عودها، ويهذبها ويقويها، ويميز الدعوات الحقة من الدعاوى الزائفة، ويمحص القائمين عليها، ويطرد الزائفين، فلا تبقى إلا الثلة المؤمنة القوية الصالحة، التي لا تبتغي إلا وجه الله ﷻ، ولو كانت الدعوات سهلة ميسورة، ليس لها من يعاديها ويقف في وجهها، لاختلطت دعوات الحق ودعاوى الباطل، ووقعت البلبلة والفتنة.

وفي غمرة الصراع بين الرسل وأتباعهم، والمجرمين الكافرين الظالمين المعاندين ومن والاهم، نرى أن كثرة الناس تبقى متفرجة على هذا الصراع، حتى إذا كثرت تضحيات وآلام الرسل وأتباعهم، وهم ثابتون على دعوتهم لا يتزعزعون، ماضون في طريقهم، عندئذ تتقدم الكثرة المتفرجة لترى ما هو هذا العنصر الغالي الثمين الذي يرجح على كل ملذات الحياة، بل يرجح على الحياة ذاتها عند الرسل وأتباعهم، حتى تحمَّلوا كل تلك التضحيات وتلك الآلام؟ عندئذ يدخل المتفرجون أفواجاً في هذه العقيدة بعد طول التفرج بالصراع! من أجل هذا كله جعل الله لكل نبي عدواً من المجرمين الظالمين[1].

رابعاً- الصراع بين دواعي الحق ودواعي الشر في النفس البشرية: إن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو يتكون من جزء مادي، وهو المخلوق من الطين، وجزء روحي، وهو الذي نفخ الله فيه من روحه، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص:71-72]، كما أنه مزدوج الاستعدادات، فهو مزود باستعدادات

1- انظر قطب، في ظلال القرآن (5/2561-2562).

متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:7-8]، هكذا صاغها الخالق جل وعلا، من النور والظلام، من نفحات السماء، ومن تراب الأرض، وآتاها الله القدرة على الاتجاه نحو اليمين أو الشمال، نحو الخير أو الشر، نحو الإيمان أو الكفر[1]، لذلك أقسم الله عز وجل بهذه النفس، فهو أحكم أمرها، ومنحها من القوى والغرائز التي تستكمل بها الحياة، فقد خلق الله لها عقلاً تميز بين الخير والشر، وذلك من تمام الخلق، وأقدرها على فعل المعصية التي تهلكها، كما أقدرها على فعل الخيرات الذي ينجيها، ويقيها مصارع السوء، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:9-10]، قد فاز وربح من زكى نفسه وأعلاها، وخاب وخسر من دساها وجعلها في عداد نفوس الحيوانات، فإن الإنسان يرتفع ويعلو بالنفس عن مزالق الشهوات إذا حكم العقل، وينحط إلى درجة الحيوان إذا استولت عليه شهواته ومعاصيه[2]، والنفس في صراع دائم بين دواعي الخير ودواعي الشر، فمن غلب خيره شره سعد وفاز، ومن غلب شره خيره شقي وخسر.

خامساً- الصراع بين الإسلام واليهودية: قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:82]، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أحوال اليهود، حيث أخبر سبحانه أن اليهود في غاية العداوة للمسلمين، وجعلهم قرناء للمشركين في شدة العداوة، بل إنهم في عداوتهم للمسلمين أشد من المشركين، ذلك أنه قدَّم ذكرهم على ذكر المشركين، لأن مذهب اليهود أنه يجب عليهم إيصال الشر إلى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان، فإن قدروا على القتل فذاك، وإلا فبغصب المال، أو بالسرقة، أو بنوع من المكر والكيد والحيلة، لأن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا[3]، "ومن شدة حبهم للدنيا وتعلقهم بها، فإنّ أحدهم لا يريد مغادرتها ويتمنّى أن يعمّر فيها مئات السنين، وذلك خوفًا من

1- انظر الخطيب، عبد الكريم يونس. التفسير القرآني للقرآن، (16ج). القاهرة: دار الفكر العربي، (1585/16).

2- انظر الحجازي، محمد محمود. التفسير الواضح. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد، 1413هـ- 1992م، (869/3).

3- انظر الرازي، مفاتح الغيب (4159/12).

سوء المصير الذي ينتظره"[1]، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:96]، "وتنكير حياة: للتحقير، أي: أنهم أحرص الناس على أحقر حياة، وأقل لبث في الدنيا"[2]، لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة، وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة، فمنذ خمسة عشر قرناً من الزمان واليهود يشنون حرباً مريرة على الإسلام، وعلى رسول الإسلام محمد ﷺ، وقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التي تفتقت عنها عبقرية المكر والدهاء اليهودية، فتاريخهم حافل بالمكر والخديعة والكيد والظلم للإسلام، فهم الذين ألبوا أحزاب المشركين على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة، فالذي جمع بين اليهود من بني قريظة وغيرهم وبين قريش في مكة، وبين القبائل الأخرى في الجزيرة هما الظالمان: حيَّ بن أخطب، وسلام بن مشكم اليهوديان، واللذان أشعلا نار الفتنة، بدءاً بمقتل عثمان رضي الله عنه، وما تلى ذلك من النكبات هو الظالم عبد الله بن سبأ اليهودي، والذي كان وراء الحركة الباطنية القرمطية التي أقضت مضاجع المسلمين كان وراءها ميمون القدَّاح اليهودي، والذي كان وراء إثارة النعرات القومية في دولة الخلافة العثمانية التي انتهت بإلغاء الخلافة الإسلامية هو الظالم مصطفى كمال أتاتورك اليهودي، والذي كان وراء النزعة المادية الإلحادية هو الظالم كارل ماركس اليهودي، والذي كان وراء النزعة الحيوانية الجنسية الظالم فرويد اليهودي، وكذلك نجد وراء معظم النظريات الهدامة في علم الاجتماع التي قوَّضت الأسرة الظالم إيميل دركايم اليهودي، وكان وراء الإباحية الظالم جان بول سارتر اليهودي، وأما الذي أعلن الحرب على طلائع البعث الإسلامي في كل مكان على وجه الأرض يهودي، حتى انتهى بهم المطاف أن يكونوا في العصر الأخير هم الذين يقودون المعركة مع الإسلام في كل شبر على وجه الأرض، ويشنونها حرباً صليبية صهيونية على كل جذر من جذور هذا الدين[3].

1- الزميلي، زكريا إبراهيم. والصيفي، رمضان يوسف. صفات اليهود كما يصورها القرآن الكريم. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية). غزة. المجلد الثامن عشر. العدد الثاني. يونيو 2010، ص122.

2- الشوكاني، فتح القدير (135/1).

3- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (960/2-961). وانظر العفاني، سيد بن حسين. شذا الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ أحمد ياسين، (2مج). غزة: مكتبة أفاق. (54/2).

يقول ابن كثير[1]رحمه الله: "إن كفر اليهود عناد، وجحود، ومباهتة للحق، وغَمْط للناس، وتَنَقص بحملة العلم. ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسحروه، وألَّبوا عليه أشباههم من المشركين –عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة"[2].

إن اليهود لم يتركوا باباً للطعن في الإسلام والولوج إليه إلا ولجوه، وما تركوا وسيلة لتشكيك المسلم بعقيدته إلا وسلكوها، وما تركوا طريقاً للرذيلة والفاحشة إلا وأغرقوا شباب المسلمين فيها، وما ذلك إلا للشر الذي جبلوا عليه، والحقد الدفين في قلوبهم، ولن يخمد اليهود ويتصاغروا إلا بعودة المسلمين إلى إسلامهم الحق.

سادساً- الصراع بين الإسلام والنصرانية: لقد حذر الله ﷻ نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كيد النصارى، كما حذره كيد يهود، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:120]، إن العلاقة بين الشرق والغرب علاقة تصادم وتدافع، كانت نتيجتها حروب وصراعات، تصير الغلبة فيها مرة للشرق ومرة للغرب، وبقي الشرق شرقاً والغرب غرباً، إلى أن جاء الدين الإسلامي وتحول الصراع إلى صراع ديني، حتى وإن غلب عليه العنصر السياسي أو الاقتصادي أحياناً[3]، فقد التقى المسلمون والنصارى في عدة معارك لم يشهد التاريخ مثلها، كان النصر فيها للمسلمين؛ رغم قلة عددهم وعتادهم، ومن أشهر تلك المعارك:

1- غزة مؤتة(8هـ-629م): هي من أعظم معارك المسلمين، جرت في جمادى الأول من العام الثامن للهجرة الموافق أغسطس 629م، بين جيش المسلمين وجيش الروم والغساسنة، بلغ

1- ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير الإمام، الفقيه، المحدث الأوحد، البارع ، عماد الدين البصروي الشافعي، فقيه متقن، ومحدث متقن، ومفسر نقال، وله تصانيف مفيدة، يدري الفقه، ويفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم، سمع مني، وله حفظ ومعرفة. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. معجم المحدثين. ط1. الطائف: مكتبة الصديق، 1408هـ- 1988م. ص41.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (150/3).

3- انظر مظاهر الاحتكاك بين الإسلام والغرب، موقع منتديات ستار تايمز، 2010/9/2م. http://www.startimes.com/?t=25130231

عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وبلغ عدد الروم مائة ألف، استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وقتل من النصارى ثلاثون ألفاً[1].

2- معركة اليرموك(13هـ-634م): إنها واحدة من أعظم معارك الإسلام، وأقوى صدام بين الدولة الإسلامية العادلة والدولة الرومية أو البيزنطية النصرانية الظالمة، والمعركة التي أنهت الوجود الروماني في أرض الشام الطاهرة، وغيرت موازين القوى في العالم القديم، بلغ تعداد جيش المسلمين 36000مقاتل، وتعداد الروم 240000 مقاتل.

3- وادي لكه(92هـ-711م): ويطلق عليها اسم سهل البرباط، كانت في يوم الأحد 28 رمضان سنة 92هـ ودارت أحداثها على ضفاف نهر وادي لكة، واستمرت المعركة الطاحنة قرابة ثمانية أيام، وانتهت بانتصار المسلمين بقيادة طارق بن زياد، وهزيمة ساحقة للقوط الغربيين الذين فروا من أرض المعركة، كان عدد المسلمين 12000، وعدد الإسبانيين يزيد عن 100000 مقاتل[2].

4- بلاط الشهداء(114هـ-732م): التقى المسلمون بقيادة عبد الرحمن الغافقي مع جيش النصارى الفرنسي بقيادة الظالم شارل مارتل الذي يلقّب بالمطرقة، لأنه كان شديداً على أعدائه، وكان من أقوى حكام فرنسا على الإطلاق، في مدينة بواتييه، حيث كان تعداد جيش النصارى400 ألف مقاتل، بينما عدد جيش المسلمين 50 ألف مقاتل، والتقى الجيشان في موقعة من أشرس المواقع الإسلامية على الإطلاق، دارت الموقعة بينهما عشرة أيام كاملة، وكانت في بداية الموقعة الغلبة للمسلمين على قلة عددهم، لكن النصارى في آخر الموقعة فطنوا إلى كمية الغنائم الضخمة المحملة خلف الجيش الإسلامي، فالتفوا حول الجيش وهاجموا الغنائم، وبدئوا يسلبون غنائم المسلمين، فارتبك المسلمون وأسرعوا ليحموا الغنائم الكثيرة؛ لأن حب الغنائم دخل في قلوبهم، بالإضافة أنهم اغتروا بعددهم وعدتهم. يقول النصارى في رواياتهم: أنه لو هزم

1- انظر ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. الكامل في التاريخ:، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ - 1996م، (111/2). وابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (337/3).

2- انظر السرجاني، راغب. وادي لكة وثبة الإسلام إلى أوربا. موقع قصة الإسلام، 2011/1/12م. http://islamstory.com/ar/

الفرنسيون في موقعة بواتييه لفتحت أوروبا جميعاً، ولَدُرس القرآن في جامعات أوربا[1]. "إن هذه الهزيمة أوقفت تقدم المسلمين نحو أوربا"[2].

5- ملاذ كرد(463هـ-1071): تعد هذه المعركة هي بداية النهاية للإمبراطورية البيزنطية الشرقية التي كانت تتسيَّد العالم في ذلك الوقت، وبداية صعود الدولة السلجوقية الوليدة التي تولاها السلطان "ألب أرسلان" الصالح، جهَّز الإمبراطور البيزنطي "رومانوس" جيشاً ضخماً يتكون من ثلاثمائة ألف مقاتل من الروم، والروس، والكرج، والأرمن، والخزر، والفرنجة، والبلغاريِّين، ومن نتائج هذه المعركة أن توسعت الدولة السلجوقية، حتى توغلوا في قلب آسيا الصغرى، وفتحوا قونيَّة وآق، ووصلوا إلى كوتاهية، وأسَّسوا فرعاً لدولة السلاجقة في هذه المنطقة عُرف باسم سلاجقة الروم، ظلَّ حكَّامه يتناوبون الحكمَ أكثر من قرنين من الزَّمان بعد انتصار السلاجقة في ملاذ كرد، وأصبحَت هذه المنطقة جزءًا من بلاد المسلمين إلى يومنا هذا.

أمَّا "ألب أرسلان" الصالح فكانت أيامه كانت مِن أعدل الأيام وأحسنها، وأكثرها رخاءً على المسلمين، وأن الله يسَّر على يديه فتوح بلاد الروم حتى جاء حفيد من أحفاده من بعده بعدة قرون، وهو محمد الفاتح، ليفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وينهي وجودهم تماماً[3].

6- معركة حطين(583هـ-1187م): استطاع صلاح الدين الأيوبي في هذه المعركة أن يهزم جيوش الصليبين الثلاثة، أمير أنطاكية غي دي لوزينيان، وريمون الثالث أمير طرابلس، ورينو دي شاتيون أمير حصن الكرك، وأن يفتح بيت المقدس، ويحرره من دنس الصليبين، ورده إلى حضن الدولة الإسلامية[4].

1- انظر السرجاني، راغب. الأندلس من الفتح إلى السقوط. موقع قصة الإسلام.
http://islamstory.com/ar/%

2- البهي، محمد. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام. القاهرة: مطبعة الأزهر. (د. ط). (د. ت). ص8.

3- انظر أبو الفضل، محمود ثروت. معركة ملاذ كرد: يوم أسر المسلمون إمبراطور الروم، 2015/7/11م، موقع الألوكة، http://www.alukah.net/culture/0/89121/

4- انظر ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية. تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1415هـ - 1994م. (1/126-127).
وانظر معركة حطين: د. راغب السرجاني، 2011/3/15م. موقع قصة الإسلام، http://islamstory.com/ar/

7- معركة الدونونية (672هـ-1276م): هناك وفي مكان خارج غرناطة وبالقرب من قرطبة يلتقي المسلمون مع النصارى، وعلى رأسهم واحد من أكبر قواد مملكة قشتالة، يدعى دون نونيو دي لارى (الذي سميت الموقعة باسمه، فعُرفت بموقعة الدونونيّة)، وكان على رأس جيوش المسلمين المنصور المريني رحمه الله، وكان عدد قواته لا يتجاوز عشرة آلاف مقاتل، فحقق المسلمون انتصاراً باهراً وعظيماً، وقُتل من النصارى ستة آلاف مقاتل، وتم أسر سبعة آلاف وثمانمائة آخرين، وقُتل دون نونيو قائد قشتالة في هذه الموقعة، وقد غنم المسلمون غنائم لا تحصى(1)، كان للمعركة تأثير كبير في تاريخ الأندلس الإسلامي، إذ إنها أوقفت الزحف النصراني في الأراضي الإسلامية، وقد أخرت سقوط غرناطة مدة قرنين من الزمان(2)(3)،

لقد سمعنا عن بعض هذه المعارك، والبعض الأخر لم نسمع به قط، وهذا عمل مقصود، يريدون من ورائه أن نجهل تاريخنا وأمجادنا التليدة، لقد استطاع المسلمون الصالحون الأوائل رغم قلة عددهم وعتادهم أن يدحروا جيوش النصارى الصليبين الظالمين على مدار التاريخ، وفي كل مرة يكون النصر حليفهم، فتمتلأ قلوب النصارى حنقاً وحقداً، فيجيشون الجيوش ويرصون الصفوف، ليعيدوا الكرة تلو الكرة، غازين بلاد المسلمين، ليعيدوا ماضيهم، ويفتخروا بأمجادهم، وما المعارك الصليبية إلا محاولات أخرى لاستعادة ما ضاع منهم.

عندما انتشر الاسلام شرقاً وغرباً وبسرعة هائلة، وأصبح يهدد الروم في عقر دارهم، وبعد أن فتح المسلمون الأندلس وصقلية، وصار لهم أساطيل بحرية قوية تهدد دولتهم، أعدت أوربا المسيحية عدتها، فوضعت الخطط الدفاعية على المدى القريب، والهجومية على المدى البعيد، فكانت الحروب الصليبية، وكان الصراع الدامي الطويل بين الإسلام والمسيحية، الإسلام بعدله والمسيحية بظلمها.

الحروب الصليبية: ونستطيع أن نقسم هذه الحروب إلى عدة مراحل:

المرحلة الأولى: شنت الكنيسة على العالم الإسلامي حربها عام 489هـ-1095م، وانتهت بعد قرنين من الزمان 690هـ-1291م، واتخذت من الصليب راية لها.

1- انظر السرجاني، راغب. معركة الدونونية. موقع وزارة الدفاع. جمهورية السودان، 2012/5/30م، http://mod.gov.sd/index.php/section-blog/

2- انظر معركة الدونونية يوم من أيام الأندلس المجيدة، موقع الاتحاد العالمي لأمناء النسب الشريف على منهاج أهل السنة والجماعة، 2011/9/20م، http://www.ansabcom.com/vb/t56980.html#.V1fp9DV97IU

3- انظر حميد، عمر. أعظم 10معارك للمسلمين كان تعدادهم أقل من نصف عدد العدو، 2014/12/27م، http://www.topsarabia.com

ترجع البدايات الأولى لهذه الحرب إلى زمن الظالم البابا سليفستر الثاني، الذي فكر في إشهار الحرب الصليبية عام 999م، ولكنه لم يجد إصغاءً من لدن الرهبان والملوك، ولكن ريثما ترجمت هذه الفكرة إلى واقع زمن الظالم البابا أوربان الثاني عام 1095م، حين توفرت لها الظروف المناسبة، والأشخاص المناسبون، من أمثال الظالم بطرس الناسك الذي عاد من زيارة له إلى بيت المقدس، وأوحى إلى البابا خرافة زيارة السيد المسيح له في المنام، وإعلامه بأن الوقت قد حان لإعلان الحرب المقدسة ضد الإسلام والمسلمين في الشرق.

ولم يحتج البابا ورجال الكنيسة ورجال الإقطاع والملوك للبحث عن أسباب لإعلان الحرب، فقد أشاعوا بأن المسلمين يعتدون على الحجاج المسيحين المتوجهين إلى بيت المقدس، فصوروا المسلمين بأبشع صورة، واختلقوا القصص الغريبة عن أوضاع المسلمين، وعن حقدهم وعدائهم للمسيحية، وللمسيح بشكل خاص، مما ألهب مشاعر الخاصة والعامة، فأعلنوها حرباً مقدسة لإنقاذ قبر السيد المسيح من قبضة المسلمين[1].

اجتمعت أوربا كلها على الإسلام والمسلمين، في وقت لم يكن المسلمون فيه على وفاق ووحدة، فالعالم الإسلامي كان يعاني من أسباب الضعف والانحلال والتفكك، فدولة السلاجقة ذهبت قوتهم، وتمزقت لدويلات صغيرة متحاربة، وكان الفاطميون قد استقلوا بالمغرب، وأما العباسيون فقد استقلوا بالمشرق، وقام الشيعة الإسماعيليون بنشر أفكارهم وعقائدهم الضالة، وتعاون الإسماعيليون مع الصليبيين، فقاموا باغتيال كثير من القادة المسلمين الفاتحين، والسلاطين المشهورين[2]، ولولا هذه التجزئة والفرقة والضعف ما كان للمسيحين الجرأة أن يتحركوا في البر أو البحر؛ لأنهم خبروا قوة المسلمين، وبأسهم في القتال، يدفعهم حبهم للجهاد، وإعلاء راية الحق والدين عالياً.

وعلى الرغم من كل تلك الحشود الهائلة التي بلغت ثلاثمائة ألف رجل، وعلى الرغم من أن عدد الحملات الصليبية بلغ السبع على فترات متقاربة، ومع كل ما اقترفه الصليبيون من جرائم وقتل وتدمير، فإنهم لم ينعموا بالهدوء والاستقرار طوال قرنين من الزمان لبثوها في ديار الإسلام، فلقد قيض الله لدينه وعباده من ينافح عنهما، فكان الصالح صلاح الدين الأيوبي الذي استطاع أن يهزمهم هزيمة نكراء، وانتهت هذه المرحلة من الصراع بين الإسلام والغرب، لتبدأ مرحلة جديدة بتصور جديد وأسلحة جديدة[3].

1- انظر صالح لرقب، واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص18.

2- انظر المرجع السابق، ص21-22.

3- انظر مظاهر الاحتكاك بين الإسلام والغرب.

المرحلة الثانية: الاستعمار الأوربي القديم: كانت حركة الكشوفات الجغرافية في القرن الخامس عشر الميلادي أهم نتيجة للنهضة الاوربية، وكان هدف الأوربيين من هذه الكشوفات تحقيق أمرين:

1- تطويق العالم الإسلامي، تمهيداً لضربه من الداخل.

2- البحث عن طريق تجاري لا يمر بديار المسلمين.

وقد ساعد الأوربيين في اكتشافاتهم هذه: الأسطرلاب، والبوصلة، والخرائط الجغرافية، ومعرفة كروية الأرض، والعلوم الملاحية التي تعلموها من المسلمين، واستعانوا بالتجار اليهود الذين عملوا جواسيس ضد المسلمين، حتى أن بعضهم أظهر إسلامه، فقامت بعثة من البرتغاليين واليهود متنكرين، بركوب سفن إلى كُلٍ من السويس ثم عدن ثم الهند، ثم عادوا إلى القاهرة ومنها أبحروا إلى البرتغال، بعد أن التقوا ببعثة أخرى جاءت لنفس الهدف، وهم يحملون خرائط جغرافية عربية عن المحيط الهادي، ومعلومات ملاحية، ومعلومات تفصيلية عن التيارات البحرية، والرياح الموسمية، بالإضافة إلى بيانات تفصيلية عن التجارة الشرقية، من حيث حجمها، وفئاتها، وما إلى ذلك، وقدمت هاتان البعثتان المعلومات إلى السلطات الحاكمة الظالمة في لشبونة، فكانت لهم نعم المعين في حربهم الشرسة على بلاد المسلمين، عندها اكتشفوا رأس الرجاء الصالح، واستطاعوا بدايةً غزو إفريقيا، وأقاموا الحصون والقلاع على السواحل الإفريقية والآسيوية، لبسط سيطرتهم التجارية والعسكرية، وهزموا أسطولاً إسلامياً كبيراً، واستطاعوا محاصرة العالم الإسلامي، حتى أن قائدهم الظالم (فاسكو دجاما) قال: "الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق"[1]. وأما القائد الظالم (البو كيرك) فقد قال في يومياته: "كان هدفنا الوصول إلى الأراضي المقدسة للمسلمين، واقتحام المسجد النبوي، وأخذ رفاة النبي محمد رهينة لنساوم عليه العرب، من أجل استرداد القدس"[2]، وقال ملك البرتغال عمانويل الأول معلناً أهداف الحملات البرتغالية: "إن الغرض من اكتشاف الطريق البحري إلى الهند هو نشر النصرانية والحصول على ثروات الشرق"[3]

أما الظالمان فرديناند وإيزابيلا فقد نجحا في القضاء على آخر معقل للمسلمين في غرناطة، وكانا يمنيان نفسيهما ببعث عهد الحروب الصليبية وإنفاذ حملة لاستعادة بيت

1- قطب، محمد، واقعنا المعاصر، ص213.

2- موير، السير وليم. دولة المماليك في مصر. تحقيق: محمد سرور الحريري. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1435هـ- 2014م، ص41.

3- المرجع السابق. الصفحة نفسها.

المقدس، ولكن أمانيهما ذهبت أدراج الرياح؛ فقد قيض الله السلطان سليم العثماني للتصدي لهؤلاء المعتدين، فضم الشام، ثم مصر، وامتدت الدولة العثمانية شرقاً وغرباً، ترد كيد الصليبين، واستطاعت منعهم من مهاجمة قلب العالم الإسلامي، وديار المسلمين، فوقف الأوربيون سنوات طوال موقف الدفاع أمام الدولة العثمانية[1].

المرحلة الثالثة: الاستعمار الأوربي الحديث: كانت الثورة الصناعية من أهم أسباب هذا الاستعمار، إذ احتاج الغربيون إلى المواد الخام لتشغيل مصانعهم، وإلى الأسواق من أجل تصريف منتجاتهم، فكان العالم الإسلامي هدفاً من أهداف هذا الاستعمار، فكان احتلال فرنسا للجزائر سنة 1246هـ-1830م، وتونس سنة 1299هـ-1881م، ومراكش سنة 1330هـ-1912م، وللشام سنة 1338هـ-1920م، وكان احتلال بريطانيا سنة 1274هـ-1857م للهند إيذاناً بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى التي قامت في مستهل القرن السادس عشر، واحتلالها لمصر سنة 1300هـ-1882م، والعراق سنة 1332هـ-1914م، وفلسطين سنة 1337هـ-1918م، كما وقعت ليبيا تحت الاستعمار الإيطالي في أكتوبر 1911م، ولم يكن توزيع العالم الإسلامي بين فرنسا وبريطانيا وليد الصدفة، فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين الدولتين سنة 1322هـ-1904م عن جانب من السياسة الغربية الصليبية التي تتمثل في تقطيع أوصال العالم الإسلامي[2]، كما قال اللورد اللنبي بعد أن دخلت قواته فلسطين عام 1337هـ: "الآن انتهت الحروب الصليبية باستيلاء النصارى على القدس في القرن العشرين"[3].

ولكن هذا الاستعمار الحديث علم أن القوة العسكرية واحتلال الأرض لن يُجدي نفعاً، وسُيكلفهم باهظاً، لذلك قاموا بعدة إجراءات لتطويع هذه البلدان لإرادتهم أكثر من استيطانها، وحكمها، من خلال ما يلي:

1- حكمها من الخارج عن طريق عملاء الاستعمار، أو اتفاقيات الحماية، والوصاية ونحو ذلك.

2- الاستحواذ على ثرواتها، ومقدراتها، عن طريق تشغيل شركات المستعمر في أراضيها، وربط عملتها بعملة الدولة التي استعمرتها، فضلاً عن القروض، والمساعدات، وإقامة المشاريع، وتوقيع المعاهدات التي هي في صالح المستعمرين.

1- انظر المصري، جميل عبد الله محمد. حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة. العبيكان، 1409هـ-1988م ، ص79-85.

2- انظر الرقب، واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص25.

3- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص85.

3- التبعية السياسية والثقافية للمستعمر.

وقد سلك المستعمرون في سبيل تحقيق ذلك طرقاً عدة منها:

أ- تقطيع العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة، عقب إسقاط الخلافة العثمانية.

ب- تجفيف منابع العلم بأحكام الإسلام وشريعته، وإضعاف دور العلماء والدعاة باحتوائهم، وتصفية من تأبَّى على سياسة الاحتواء.

ج- ممارسة التنصير، وتبديل ثقافة الأمة بثقافة أخرى ليست لها[1].

رحل المستعمر عن ديار المسلمين، ولكن تأثيره الثقافي ما زال باقياً، من خلال الجامعات الغربية، كالجامعة الأمريكية، والمدارس الغربية، والمؤسسات الاجتماعية، ونادوا بتحرير المرأة، وإخراجها للعمل، وأطلقوا دعوات باسم القومية العربية، وطالبوا بفصل الدين عن الدولة، فبدأوا بإفريقيا كعادتهم، فعزلوها عن الكيان الإسلامي، فحطموا مراكز الثقافة الإسلامية، وسعوا إلى دمج شمال إفريقيا في الميدان الحضاري الأوربي المسيحي، وأنشأوا المدارس التبشيرية، واعتمد المبشرون الغربيون على الأعمال الاجتماعية لتنصير بعض المسلمين مستغلين فقرهم وعَوَزَهم.

المرحلة الرابعة: في الخمسينيات من القرن العشرين، قررت الولايات المتحدة الظالمة أن ترث النفوذين البريطاني والفرنسي في المنطقة، لتحقق نفس الأهداف التي كان يحققها هذان النفوذان، فقد مارست الولايات المتحدة في مهارة ما يسمى بلعبة الأمم تحقيقاً لأهدافها، وكان أهم أساليبها في ذلك الانقلابات العسكرية التي تصنع عن طريقها البطل أو الزعيم الذي تتعلق به آمال الأمة المسلمة، فيمتص بذلك ما يمور في باطنها، وما كان يمكن أن يؤدي إلى ثورة في غير صالحها، ويقوم الزعيم المصطنع بتضييع موارد الوطن، وتوجيه الشعوب لتنحرف عن أهدافها الوطنية، وبالتالي تتحقق مصالح الغرب الصليبي.

وفي السابع والعشرين من شهر نوفمبر من عام 1995م، عقد مؤتمر في برشلونة بإسبانيا، حضرته خمس عشرة دولة أوربية واثنتا عشرة دولة متوسطية من بينها ثماني دول عربية بالإضافة إلى تركيا وقبرص ومالطة ودولة العدو الصهيوني، وهذا الموعد يوافق ذكرى مرور تسعمائة سنة على بدء الحروب الصليبية، ففي مثل هذا اليوم أطلق الظالم بابا النصارى "أوربان الثاني" دعوته لبدء الحملات الصليبية على البلدان الإسلامية الواقعة شرق البحر

1- انظر الحقيل، إبراهيم بن محمد. التنصير لم يكن غائباً (2-2) قصة العلاقة بين النصرانية والإسلام. مجلة البيان. http://books.islam-db.com/book/

الأبيض المتوسط بغرض الاستيلاء على بيت المقدس، ومما قيل في ذلك المؤتمر ما صرح به الظالم "ويلي كلاوس" حيث قال: "إن الخطر الأصولي الإسلامي هو من أهم التحديات التي تواجه الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، ومن واجبنا أن نتعاون مع الدول التي تواجه ذلك النوع من الصعوبات"[1].

ألم يشبع النصارى من دماء المسلمين؟ ...

لا، لم يشبعوا بعد من دماء المسلمين، فها هي صيحاتهم تتعالى من جديد تنادي بحرب صليبية أخرى، لقد جاء الصرب وافتتحوا حملات جديدة، حتى قال وزير إعلامهم بالحرف الواحد في إعلان شهير له: "إن الصرب في معاركهم في البلقان إنما يمثلون طليعة الحرب الصليبية الأخيرة لاستئصال شأفة الإسلام"، وقال رئيس وزراء بريطانيا: "إن الهدف النهائي لنا هو تقسيم البوسنة، ومنع قيام الدولة الإسلامية في أوربا، وهو الأمر الذي لا يمكن أن نسمح به أبداً"[2].

ها هي الحروب الصليبية عادت بثوب جديد، بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية الظالمة، زعيمة الصليبية المعاصرة، قائدة العنف والإرهاب، فاحتلت العراق وأفغانستان، وهي السبب في ما جرى في البوسنة والهرسك، وكانت وراء ما يجري في الوطن العربي من أحداث ونكبات، وحروب داخلية وطائفية، وفقر ومجاعة، في كلٍ من اليمن وتونس وليبيا وسوريا، حتى أن بوش قال في خطابه يوم التاسع والعشرين من يناير 2002م أمام الاتحاد المسيحي اليهودي: "إنني آمل أن أكون قد حافظت على إرث آل بوش حياً بمحاربة العرب والمسلمين كل عشر سنوات، لضمان استمرار الفوضى في بلادهم"[3]، إنهم يعدون العدة لرسم شرق أوسطي جديد، وها هي محاولاتهم كلها تكللت بالنجاح، بسبب تخاذل العرب، وضعفهم، وتفرقهم، ومساعدة الحكام العرب لهم، وتقديم كل المعونات المادية والنفطية، وتسخيرها لهم ولأهدافهم.

ماذا يريد النصارى من المسلمين؟ ...

الجواب في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة:109]، وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:120]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟

1- انظر واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص25-26.

2- المرجع السابق، ص27، وانظر الأحمد، ناصر بن محمد. تاريخ الحروب الصليبية. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). ص1.

3- انظر واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص31.

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة:217]، وقال تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة:2].

يجيب عن هذا السؤال أحمد ديدات فيقول: "هذا عهد أبدي، أينما تذهب ستجد نفس الموقف، إلى أي مدى كنا نحاول أن نهدي ونسترضي هؤلاء الناس؟ إنهم لن يكونوا راضين عنكم حتى تتبعوهم، حتى يجعلوكم مسيحيين، يريدون تحويلكم من مسلمين إلى مسيحيين، فحتى استعبادكم لن يرضيهم، هم غير راضين حتى عن تحويلكم، لا شيء يرضيهم، يريدون تعميدكم، ووضعكم في الماء، وإدخالكم مسلمين وإخراجكم نصارى"[1].

وفي خطاب للبابا شنودة لشعب الكنيسة في مصر قال: يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية، إذ إن الخطة التبشيرية التي وضعت على أساس اتفق عليه للمرحلة القادمة، وهي زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به، فإن الهدف زعزعة المسلمين عن دينهم، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم، وصِدق محمد، وإذا أفلحنا في تنفيذ ذلك، فإننا نكون قد نجحنا في إزاحة هذه الفئة من طريقنا، وإن لم تكن هذه الفئات مستقبلاً معنا فلن تكون علينا، غير أنه ينبغي أن يراعى في تنفيذ هذا المخطط التبشيري أن يتم بطريقة هادئة، لبقة، وذكية، حتى لا يكون ذلك سبباً في إثارة حفيظة المسلمين، أو يقظتهم[2].

هذا هو الهدف الأساسي الذي يسعى إليه النصارى الصليبيون المسيحيون، وهو القضاء على الإسلام برمته، وجعل الناس مسيحيين، فإن لم يستطيعوا فيجب أن يكونوا لهم تَبَعاً، يؤيدونهم في كل ما يفعلون، ويُسَخِّرون جميع ما يملكون لخدمتهم، فإن فعلوا ذلك فسيحصلون على رضاهم ولن يرضوا.

سابعاً- **علانية الصراع:** منذ أن بزغ فجر الإسلام، وانبثق نور الإيمان، وهو يلقى من أعداء الإسلام صنوفاً من التحديات، وألواناً من الهجمات، تمثل الصراع بين الحق والباطل، بين الصالحين والظالمين، في معركة دائمة، طويلة مستمرة، متنوعة الصور والأساليب، ترمي إلى الظهور حيناً، وإلى الخفاءِ أحياناً أخرى، ساخنة تارةً، وباردة أخرى، عسكرية مرة، وفكرية وخُلقية مرات شتى، بمكر وعداء دفين، يريدون القضاء على الإسلام وأهله، وتمزيق وحدتهم، واستئصال

1- شاهد ديدات، أحمد. ماذا يريد النصارى من المسلمين؟ فيديو على يوتيوب.
https://www.youtube.com/watch?v=OC44f3vZsMs

2- انظر الميداني، عبد الرحمن حنبكه. أجنحة المكر الثلاث. ط8. دمشق: دار القلم، 1420هـ - 2000م، ص37.

شأفتهم، وتدمير قوتهم، وإزالة دولتهم، وإلغاء هويتهم، والاستيلاء على مُقَدراتهم. ولن يهدأ لهم بالٌ، ولن يقر لهم قرار، مادام للإسلام كيان، وما دامت للمسلمين قوة ومنعة، حتى يُطفئوا هذا النور ويقضوا على أهله، ويستبيحوا بيضته(1)، اسمعوا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:217]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:120]،﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:32]، فما ترك أعداء الإسلام الظالمين من وسيلة لضرب المسلمين في عقر دارهم إلا واتبعوها، فمن تحريض وتهييج، ثم إذكاء لنار العداوة في القلوب، إلى إشعال جمر الغضب على أمة الإسلام، وزرع الخوف من المسلمين بأنهم الخطر الداهم، والعدو الغاشم، حتى تتوحد الصفوف في العداء نحوهم، وتتوجه القوى المادية والمعنوية بالكيد لهم، لكن الصورة الحية المتحركة اليوم، تبين لنا كيف يعمل أهل الكفر في صفوفهم، ويَؤُزُّونَ أصحابهم أزاً، ويدفعونهم دفعاً، ويستخرجون منهم العون والتأييد المادي والمعنوي، فإذا بهم يجوبون الآفاق، لتشوية صورة الإسلام، حتى ينشأ العداء في القلوب، وتتوجه القوى لحرب أمة الإسلام(2).

ثامناً– **وجود روابط وثيقة يتناصر بها أعداء الرسل:** قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:112]، أي: وَكَذلِكَ جعلنا لك يا أكمل الرسل عدواً يعاديك، كما جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ من الأنبياء الماضين عَدُوًّا كذلك يعاديهم ويخاصمهم، ويريد مقتهم وهلاكهم، بحيث ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ أي: "أباطيله وأراجيفه غُرُوراً وتغريراً لضعفاء الأنام، حتى يُقدموهم على مخاصمة الأنبياء ومعاداتهم"(3)، فأعداء الرسل أعداء الإسلام الظالمون يتناصرون، ويصبحون صفاً واحداً عندما يواجهون الإسلام على الرغم من الخلاف والعداوة فيما بينهم، فاليهود والنصارى على مرِّ العصور بينهم من العداوة والبغضاء

1– انظر السديس، عبد الرحمن. المخدرات والمسكرات آفة العصر، موقع إسلام ويب.
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=28147

2 - انظر بادحدح، علي بن عمر بن أحمد. التهييج والتحريض ضد المسلمين: دروس صوتية قام بتفريغها للمكتبة الإسلامية.

3– النخجواني، نعمة الله بن محمود ويعرف بالشيخ علوان. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، (2ج). ط1. مصر: دار ركابي، 1419هـ–1999م. (230/1).

والخلاف والصراع ما الله به عليم، ولكن عند محاربة الإسلام وأهله يكونون حزباً واحداً، ويداً واحدة، قال تعالى: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [المائدة:51]، يُسخِّرون كل ما يملكون ضد الإسلام وأهله، إنَّ تكالب اليهود والنصارى وغيرهم من الطوائف على الإسلام والمسلمين ليس جديداً كما نتصور، غير أنه اتخذ شكلاً جديداً، وأسلوباً جديداً، وبعداً جديداً، وأسلحة جديدة، إنها حرب تشوه الحق وتلبسه لبوس الباطل، وتزخرف الباطل وتجّمله، وتلبِّسه لبوس الحق، لذلك نجد اليوم حملات إعلامية هائلة تُشن اليوم لزعزعة عقائد المسلمين، وتشكيكهم بدينهم، فاليوم يُطلق على كل من تمسك بدينه أصولي، أو متشدد، أو متطرف، أو إرهابي....وغير ذلك من العبارات التي تتناقلها وسائل الإعلام العالمية والعربية، يلبِّسون بها على الناس الحق بالباطل(1).

ولم يقف الأمر عند ذلك، فما ترك أعداء الإسلام الظالمون من وسيلة يخترقون بها صفوف الشباب المسلم إلا واستخدموها، من تغريب للمناهج التعليمية، حتى أصبحت تلك المناهج وسائل للهدم والتخريب، وإثارة للغريزة والجنس، ومسابقات الغناء التي ملئت شاشات التلفزة، وما الأفلام والمسلسلات التي لا هدف لها إلا سلخ المسلم من دينه، وعقيدته، وهويته، لقد تيقن الاستعمار أن القوة العسكرية لن تجدي في استعباد الشعوب؛ فلجأوا إلى طريق آخر ألا وهو غزو العقول بالأفكار المسمومة، وهذا يؤكد على أن الكلمة من أخطر ميادين الصراع بين الأنبياء ودعاة الحق وأعدائهم، بالإضافة أن كلمة الباطل لها تأثير كبير، وسحر عجيب، ذلك أن أهلها يزينونها ويزخرفونها بعبارات طنانة، وكلمات رنانة، والذين ينخدعون بتلك الأشياء قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [الانعام:113]، إذن هذه الأفكار الهدامة لا تروج ولا تنتشر إلا إذا صادفت عقولاً خاوية، وقلوباً مضطربة، ونفوساً مهزومة، لذلك يجب على دعاة الإسلام وحملة راية التوحيد أن يُسّخروا جهودهم، وأموالهم، وأوقاتهم، وأجهزة الإعلام بكافة أشكالها مرئية ومسموعة ومقروءة، للدعوة إلى الحق والدفاع عنه، ونشر الفضيلة والقيم والأخلاق، فالكلمة الطيبة تؤتي أُكلها ولو بعد حين، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن

1- انظر العودة، سلمان فهد. الصراع بين الحق والباطل. موقع صيد الفوائد.
http://www.saaid.net/alsafinh/12.htm

﴿قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:14]، فالكلمة الطيبة تقارع الكلمة الخبيثة، ولابد أن تقال في كل محفل وميدان، وبكل وسيلة حتى تفعل هذه الكلمة الطيبة فعلها.

تاسعاً- مجادلة الذين كفروا بالباطل: إن من أبرز مظاهر الصراع بين الحق والباطل، بين الصالحين والظالمين، الصراعُ بالكلمة، والمناظرة، والجدل، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف:56]، أخبر الله سبحانه وتعالى أن أهل الكفار يجادلون بالباطل، ليضعفوا الحق الذي جاءت به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم، واتخذوا الحجج والبراهين، والمعجزات التي بعث بها الرسل، وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب سخرياً، وهذا أشد التكذيب[1]. وقال تعالى أيضاً: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:4-5]، أي: ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان إلا الذين كفروا، الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه، الظالمون لأنفسهم ولغيرهم، فلا يغُرك ما هم فيه من نعيم الدنيا وزينتها، إنما هو متاع قليل ثم مأواهم النار وبئس المصير. ثم يقول الله ﷻ مسلياً لنبيه محمد ﷺ بأن له أسوة حسنة لمن سلف من الأنبياء، فإنه قد كذبهم أممهم وخالفوهم، وحرصوا على قتلهم بكل ممكن، وجادلوا بالشبه ليردوا الحق الواضح الجلي[2]. ولكن الله لهؤلاء بالمرصاد، يفضحهم، ويفند شبههم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:30]، يقول تعالى ذكره: أحسب هؤلاء المنافقون الظالمون الذين في قلوبهم شكّ في دينهم، وضعف في يقينهم، فهم حيارى في معرفة الحقّ، أن لن يُخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين، فيبديه لهم ويظهره، حتى يعرفوا نفاقهم، وحيرتهم في دينهم، ولو نشاء يا محمد لعرّفناك هؤلاء المنافقين حتى تعرفهم، فلتعرفهم بعلامات النفاق الظاهرة منهم في فحوى كلامهم وظاهر أفعالهم[3].

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (172/5).

2- انظر المرجع السابق، (129/7).

3- انظر الطبري، جامع البيان (184/22).

إن الصراع بين الحق والباطل، بين الصالحين والظالمين، يبدأ أولاً بالكلمة، ثم ينتقل بعد ذلك إلى ميادين أخرى، يبدأ بالمدافعة والمجاهدة الفكرية، والدعوية، والعقدية، ويصل إلى ميادين الحرب والقتال، ومهما علا الباطل وظهر، فإنه حتماً سيزول أمام قوة الحق ووضوحه ونوره، لذلك قال العارفون: دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة[1].

1- انظر المدافعة والتوسط بين الحق والباطل، ملتقى الخطباء، 27-10-1430هـ.
http://vb.khutabaa.com/showthread.php?

المطلب الرابع

آثار الصراع بين الصالحين والظالمين

علاقة الصالحين بالظالمين علاقة مقابلة وتضاد، وصراع واحتدام، فالصالح يُريد إزالة الظلم، والظالم يتشبّث للبقاء والدفاع عن مصالحه ومكاسبه غير المشروعة.

والظلم ليس ظاهرة فرديّة محدودة، بل هو منظومة اجتماعية متجذِّرة، تبدأ من أعلى سلطة وتمتد إلى سائر مرافق المجتمع، وفيها الآلاف من المنتفعين، وهؤلاء بيدهم القوّة والسلطة وأدوات الكبت والفتك التي يستعملونها لإسكات الصوت الحُر الناقد وللقضاء على دعوات الإصلاح، وإذا ما اشتدّت المواجهة وأحس الظالمون بالخطر يُهدِّد عروشهم ومصالحهم، فإنّهم لا يتوانون في استعمال أبشع أنواع الظلم، من قتل وتشريد، وقمع وتهجير.. أليس القتل من أبرز عناوين البغي؟ وأليس الظلم من أكثر صوره شيوعاً؟

وهكذا نجد عبر التاريخ: صراعاً أبدياً بين الظالمين والفاسدين والكافرين من جهة، وبين عباد الله الصالحين والمُصلحين من جهة أخرى[1]، **أدى ذلك إلى ظهور آثار لهذا الصراع منها:**

1- التكالب على الأمة الإسلامية: قال رسول الله ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ". قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"[2]، فلم يدخر أعداء الإسلام من وسيلة للكيد للإسلام والمسلمين إلا وسلكوها، فقد بلغ دعاةُ الباطل الظالمين ما لم يبلغوه في أي عصر مضى، واستخدموا من الوسائل ما يفطِّر قلوب أهل الحق الصالحين، فمن ذلك جمع الأموال وانفاقها في هزيمة الأمة المسلمة عسكرياً، واقتصادياً، وفكرياً، ونفسياً، وعلمياً، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال:36]، وفي هذا الوقت يمارس الإعلام الغربي لوناً قذراً من ألوان الإرهاب الفكري، بوصم الإسلام والمسلمين بالأصولية، والإرهاب والتطرف، والوحشية والبربرية والظلم، والجمود والتخلف والرجعية، إلى

1- انظر الأمين، إحسان. سنة الصراع بين الإصلاح والفساد. مقال بتاريخ: 2012/6/10م. موقع البلاغ: http://www.balagh.com/pages/tex.php?tid=270

2- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، من حديث ثوبان، 82/37: رقم الحديث 22397، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، 111/4: رقم الحديث 4297، قال الألباني في السلسلة الصحيحة لصحيحة 956: حديث صحيح.

آخر هذه التهم المعلبة الجاهزة، لتهيئة الرأي العالمي لضرب المسلمين في عقر دارهم، وما ضرب أفغانستان والشيشان والعراق والسودان، ومجازر البوسنه وبورما، وما يحدث في فلسطين وسوريا ومعظم الدول العربية إلا دليل على ذلك الحقد الدفين.

2- تفكيك البنية الاجتماعية للمسلمين: بعد فشل الغزو العسكري لبلاد المسلمين، استخدم أعداء الأمة غزواً أخر أشد فتكاً بالأمة، وأعظم خطراً، ألا إنه الغزو الفكري، فلقد حرص العدو على تمزيق النسيج الاجتماعي للمسلمين من خلال الولوج إلى الأسرة المسلمة وتمزيقها من الداخل، وانصب التركيز على المرأة، فلم تعد المرأة تخطيء، وتعصي ربها، وتنحرف عن جادة الصواب زمناً قد يطول ويقصر، ثم تعود إلى جادة الصواب والحق، فتتوب وتستغفر، وتتدارك ما فاتها من خيرات نتيجة عصيانها لخالقها، لا بل تعدى الأمر ذلك إلى ضرب عقيدة المرأة، بأن تتحلل من أوامر ربها، وترفض كل ما جاء به الشرع من صيانة لشرفها، وعفتها، ومكانتها، بدعوى تقليد المرأة الغربية في كل شئونها، لاهثةً وراء دعوات طنانة عن الحرية، والاستقلال، والسعادة، فتخلت عن المسؤولية العظمى التي خُلقت لأجلها ألا وهي إنشاء البيت المسلم، وإعداد الشباب المخلص، وإقامة مجتمع يتمتع بالقوة، والتماسك، والصلابة، فاستطاعت يد الباطل أن تخرجها من بيتها بكل الوسائل والطرق، فجعلوا منها سلعة رخيصة في كل ميدان ومحفل، فلم تعد تأبه بأي شيء، فتفككت الأسرة، وضاع الأولاد بضياعها، وانهارت الأمة بعد قوة، وذُلت بعد عز، فاستطاعوا أن يضربوا النسيج الأول، والبنية التحتية في المجتمع، ألا وهي الأسرة فمزقوا المجتمع بأسره.

3- تأجيج العداوات والعصبيات: لم يكتف أعداء الدين الظلمة بتفكيك الأسرة، وإخراج المرأة من بيتها، بل امتد خطرهم إلى أن أججوا نيران الجاهلية والعصبية الأولى، وإذكاء الفتن الطائفية في بلاد المسلمين والعرب، متبعين بذلك قاعدة "فرق تسد" لضرب عقيدة المسلمين الصحيحة، فأخذوا يمزقون العالم الإسلامي كما يشاؤون، فأحدثوا فرقاً جديدة تدَّعي الانتماء إلى الإسلام، وطرقاً تعتمد على الضلالات والخرافات، ليشككوا المسلم بدينه، وفي الوقت نفسه حاربوا الإسلام الحقيقي ودُعاته، وشوهوا صورته وصورتهم، ونعتوهم بأبشع وأقبح الصفات، ليخلقوا واقعاً يسهل الإمساك بزمامه، وواقعاً يسهل عليهم تفجيره كلما أرادوا، وواقعاً يسهل عليهم إيجاد موطئ قدم لهم فيه، ونافذة للتدخل في شؤون بلاد المسلمين دقيقها وجليلها.

إن الإسلام حذر من هذه العصبيات ورفضها، فهو سبحانه جل في علاه سمى عباده تسمية واحدة فقال ﷻ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:78]، واعتبر كل تفرقة بين المسلمين على أساس المذهب أو الفرقة أو البلد أو العرق، فعلاً قبيحاً مرفوضاً، وهو من باب

العصبية والجاهلية المنتنة التي حذرنا رسول الله ﷺ، منها فقال عليه الصلاة والسلام: "مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ"[1]، كما أن الله عز وجل أمرنا للخروج من كل ذلك بالاعتصام بالكتاب والسنة، والاجتماع على كلمة الحق، ونبذ كل فرقة واختلاف، فقال ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: 103].

4- الفتن: فتن كثيرة تموج كموج البحر، يحتاج المسلم إلى وعي، وعلم، وإيمان كبير، وتمسك بحبل الله كي يُعصم من شرورها ومُضلاتها التي تصيب الأفراد والمجتمعات، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال:25]، قال ابن كثير رحمه الله: "يحذر الله تعالى عباده المؤمنين ﴿فتنة﴾ أي: اختباراً ومحنة، يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر بالذنب، بل يعمهما، حيث لم تدفع وترفع"[2].

والصراع بين الحق والباطل مظنة وجود الخلاف والشقاق والافتراق بين الناس الصالحين والظالمين، مما يترتب عليه كثير من الفتن، قال ابن عاشور[3] رحمه الله: "وحاصل معنى الفتنة يرجع إلى اضطراب الآراء، واختلاف السير، وحلول الخوف والحذر في نفوس الناس"[4].

وليس كل اختلاف وفرقة ونزاع بين الناس يقال عنه فتنة يجب اعتزاله والنوء عنه والفرار منه؛ خاصة في صراع الحق والباطل، بل الفتنة التي يجب اعتزالها والبعد عنها هي الفتنة التي يختلط فيها الأمر، حتى لا يعرف فيها المحق من المبطل، قال ابن حجر[5]رحمه

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ المنافقون: 6، 154/6: رقم الحديث 4905. مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، 1998/4: رقم الحديث 2584.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (32/4).

3- ابن عاشور: هو العلامة المفسر محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطاهر، ولد في تونس سنة1296هـ، برز في عدد من العلوم ونبغ فيها، كعلم الشريعة واللغة والأدب، وكان متقنا للُّغة الفرنسية، وعضواً مراسَلاً في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء ، والإفتاء ، وتم تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة، ألف عشرات الكتب في التفسير، والحديث، والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم. صالح المنجد، موقع الإسلام سؤال وجواب.

4- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، (30ج). تونس: الدار التونسية. (د. ط). 1405هـ- 1984م (316/9).

5- ابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني القاهري الشافعي المعروف بابن حجر وهو لقب لبعض آبائه الحافظ الكبير الشهير الإمام المنفرد بمعرفة

الله: "والمراد بالفتنة: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، حيث لا يعلم المحق من المبطل"[1]. أما اذا ظهر الحق وعُرف الجانب الذي معه الحق والجانب الذي يتمسك بالباطل، لم تصبح فتنة؛ بل صراع بين الحق والباطل، ولو اعتزل الناس كل صراع بدعوى أنه فتنة لما أُقيم حق ولا أُزهق باطل، وعن الطبري[2]رحمه الله قوله: "لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه، بلزُوم المنازل، وكسر السيوف، لما أُقيم حد، ولا أُبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرَّمات، من أخذ الأموال، وسفك الدَّماء، وسبي الحريم، بأن يحاربوهم، ويكُف المسلمون أيديهم عنهم، بأن يقولوا: هذه فتنة، وقد نهُينا عن القتال فيها، وهذا مُخالف للأمر بالأخذ على أيدِي السُّفهاء"[3][4].

5- **ثبات الحق ورسوخه وانتصاره وطيشان الباطل وزواله:** قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:109]، يقارن الله عز وجل بين من يؤسس دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق، الذي هو تقوى الله ورضوانه، وبين من يؤسس دينه على قاعدة هي من أضعف القواعد، وأقلها بقاءً، وهو الباطل، هل يستويان؟؟؟ فالأول أوصله بنيانه إلى رضى الله وجنته، والثاني أوصله بنيانه إلى طرف جهنم، فما لبث إلا أن سقط في قعرها[5]، ولا أبلغ من هذا المثال وأدلَّ منه على حقيقة الباطل وكنه أمره.

الحديث وعلله في الأزمنة المتأخرة. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (2ج). بيروت: دار المعرفة. (د. ط). (د. ت).

1- ابن حجر، فتح الباري (13/31).

2- الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. سير أعلام النبلاء (267/14).

3- المرجع السابق، (121/32).

4- انظر الشريف، محمد بن شاكر. الفتن في صراع الحق والباطل. مجلة البيان. العدد 315. أكتوبر 2013م، http://www.albayan.co.uk/text.aspx?id=3106

5- انظر الرازي، مفاتح الغيب (149/16).

يقول صاحب الظلال: "ليطمئن دعاة الحق على مصير دعوتهم، في مواجهة دعوات الكيد والكفر والنفاق! وليطمئن البناة على أساس من التقوى كلما واجهوا البناة على الكيد والضرار!"[1].

قال صاحب المنار في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ...﴾ [التوبة:109]، "المراد بالمثل هنا بيان ثبات الحق الذي هو دين الإسلام وقوته، ودوامه، وسعادة أهله به، وذكره بأثره وثمرته في عمل أهله، وجماعها التقوى، وبجزائهم عليه وأعلاه رضوان الله تعالى، وبيان ضعف الباطل واضمحلاله، ووهيه، وقرب زواله، وخيبة صاحبه، وسرعة انقطاع آماله"[2].

إن الحق ثابت، راسخ، واضح، وأهله في نعيم، واستقرار، وسكينة، واطمئنان. وإن الباطل خبيث، مقطوع الجذور، لا ثبات له، ولا استقرار، وأهله مضمحلون، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:18].

ولكن يبقى سؤال، لماذا يتفوق أهل الباطل على أهل الحق أحياناً؟

إن الحق هو الإسلام، وأنه دين الله، الذي يعلو ولا يُعلى عليه، وهو الدين الكامل، والشريعة المُثلى، ولكن المشكلة تكمن في أهل الإسلام، في ضعف تمسكهم بدينهم، وزهدهم في تعاليمه وشريعته[3]، وحبهم للدنيا والحرص عليها، والتنافس لأجلها. وإن ظهر الباطل على الحق في بعض الأحيان وعلا فإن الله سبحانه سيمحقه، ويبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، كالزَّبد الذي يعلو الماء، فيلقيه الماء ويضمحلّ، فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابياً طافياً، ولكنه يعودُ زبداً أو خبثاً، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق يظل هادئاً ساكناً، وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض، كالماء المحيي، ينفع الناس[4]، فإن دولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة. لما احتضر أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه أرسل إلى عمر رضي الله عنه، فقال: "يا عمر! إن ولّيت على النّاس فاتق الله، والزم الحق، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة

1- سيد قطب، في ظلال القرآن (1711/3).

2- محمد رشيد رضا، تفسير المنار (37/11).

3- انظر الفوزان، إبراهيم. لماذا تفوق أهل الباطل على أهل الحق. 1430/11/12هـ، موقع المسلم: http://www.almoslim.net/node/119803

4- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (2054/4).

باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحقّ لميزان إذا وضع فيه الحقّ غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة، باتباعهم الباطل في الدّنيا وخفّته عليهم، وحقّ لميزان وضع فيه الباطل أن يكون خفيف"[1].

الحق ثقيل، وطلابه قليل، ومن كان على الحق فهو جماعة وإن كان وحده، الأحمق يغضب من الحق، والعاقل يغضب من الباطل. ومن هلك في دولة الباطل، أكثر ممن حيي بالباطل. وإن لزوم الحق نجاة، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة[2].

1- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. بهجة المجالس وأنس المجالس. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). ص128.

2- انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

المبحث الثالث

سنة الله في فتنة الظالمين واستدراجهم وإملاءهم

المطلب الأول

تعريف الفتنة لغة واصطلاحاً

تعريف الفتنة:

أولاً: الفتنة في اللغة:

جماع كلام العرب في معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان، يقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْنًا. وَفَتَنْتُ الذَّهَبَ بِالنَّارِ، إِذَا امْتَحَنْتُهُ[1]. قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:2]. قال مجاهد: ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾ "لا يبتلون"[2]، وقال ابن أبي حاتم: "لا يختبرون"[3].

ولقد لخص ابن الأعرابي[4] معاني الفتنة بقوله: "الفتنة الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق بالنار"[5].

ثانياً: الفتنة في القرآن الكريم:

جاءت الفتنة في القرآن الكريم على عدة معان:

1- الشرك والكفر: قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة:193]، قال مجاهد: "قاتلوهم حتى لا يكون شرك"[6]. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ

1- انظر الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. تهذيب اللغة، (8ج). تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1421هـ- 2001م. (211/4). وانظر ابن فارس، مقاييس اللغة (472/4).

2- مجاهد، تفسير مجاهد (534/1).

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (3032/9).

4- ابن الأعرابي: هو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر، الإمام، المحدث القدوة الصدوق الحافظ، شيخ الإسلام، نزيل مكة، وشيخ الحرم ،وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة، توفي بمكة في شهر ذي القعدة سنة أربعين وثلاث مائة، وله أربع وتسعون سنة وأشهر. سير أعلام النبلاء (15/ 407 - 410).

5- ابن منظور، لسان العرب (317/13).

6 - مجاهد، تفسير مجاهد (223/1).

﴿أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ [البقرة:191]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "إن ما يشتملون عليه من الكفر والشرك والصد عن سبيل الله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل"(1).

2- الصد والرد عن سبيل الله: قال تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة:49]، قال القرطبي: "يصدوك ويردوك"(2).

3- **الابتلاء والاختبار:** قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:2]، قال ابن جرير الطبري: "أيحسب الناس أن نتركهم بغير اختبار، ولا ابتلاء امتحان"(3).

4- العذاب: كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل:110]، فتنوا : أي عذبوا(4).

5- الخوف من القتل: قال تعالى: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء:101]. "سمي القتل فتنة لأن معنى الاختبار كما قال تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾ [يونس: 83]، أي يقتلهم. فالله تعالى قد أباح قصر الصلاة عند الخوف، ثم صار ذلك عاماً لجميع المسافرين أن يقصروا من الصلاة خافوا أو لم يخافوا"(5).

6- الوقوع في المعاصي والنفاق: كما في قوله تعالى في حق المنافقين ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ [الحديد:14]، قال البغوي: "أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات"(6).

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (252/1).

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (213/6).

3- الطبري، جامع البيان (7/19).

4- انظر السمرقندي، بحر العلوم (294/2).

5- المرجع السابق (332/1).

6- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (36/8).

7- **الإضلال:** كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ [المائدة:41]، فإن معنى الفتنة هنا الإضلال[1].

8- **القتل والأسر:** ومنه قوله تعالى: ﴿إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ [النساء: 101]، أي: خشيتم أن يحمل عليكم الكفار، وأنتم في صلاتكم ساجدون فيقتلون، أو يأسرون[2].

9- **اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم وكلمتهم:** كما في قوله تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [التوبة: 47]، أي: "يوقعوا الخلاف فيما بينكم، ويفسدوا نياتكم في مغزاكم"[3].

10- **فتنة إلقاء الشبهات وإضلال الناس:** قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾ [آل عمران: 7]، قال محمد بن إسحاق: "متشابهات في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألا يُصْرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق"[4]

11- **التقاعس عن نصرة رسول الله ﷺ بحجج واهية:** قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة:49]. عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لجد بن قيس: "يا جَدُّ بْنَ قَيْسٍ، مَا تَقُولُ فِي مُجَاهَدَةِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرُؤٌ صَاحِبُ نِسَاءٍ، وَمَتَى أَرَى نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَفْتَتِنْ، فَأْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ [5]، فسقطوا في فتنة أكبر من فتنة النساء ألا وهي فتنة النفاق[6].

1- انظر أبي حيان، البحر المحيط (262/4).

2- انظر الطبري، جامع البيان (123/9).

3- الزمخشري، الكشاف (277/2).

4- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (594/2).

5- الطبراني، المعجم الأوسط (375/5). قال الألباني في السلسلة الصحيحة 2988: حديث صحيح.

6- انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (158/8). وانظر النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (307/1).

12- جاءت الفتنة بمعنى الجنون: كما في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم:5,6]. قال ابن عباس: ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ أي: "الجنون"[1].

13- وجاءت بمعنى مرض القلوب: قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: 126]، قال الطبري في تأويل هذه الآية: "أو لا يرى هؤلاء المنافقون أنَّ الله يختبرهم في كل عام مرة أو مرتين"[2].

14- وجاءت بمعنى "العبرة والعظة"[3]": كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة:5]. في هذه الآية دعاء من بني إسرائيل وابتهال لله عز وجل أن لا يظفر بهم فرعون، ولا يتسلط عليهم، فيظن أنه سُلط على بني إسرائيل لأنه على الحق، وموسى وقومه على الباطل[4].

15- فتنة الإحراق بالنار: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج:10]، قال مجاهد: "أحرقوا المؤمنين والمؤمنات"[5].

16- جاءت بمعنى فتنة الناس بعضهم ببعض: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:20]، قال القرطبي: "أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، والفقير الصابر فتنة للغني. ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه، فالغني ممتحن بالفقير، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه. والفقير ممتحن بالغني، عليه ألا يحسده. ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه، وأن يصبر كل واحد منها على الحق"[6].

ولا يقتصر معنى الفتنة على تلك المعاني فقط، وإنما يُعرف المراد من السياق والقرائن التي ذكرت فيه.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (190/8).

2- الطبري، جامع البيان (579/14).

3- انظر رشاد، يوسف. الإعجاز النبوي في الفتن والملاحم. ط1. مصر: دار الفاروق، 1430هـ- 2009م، ص17.

4- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (288/4).

5- مجاهد، تفسير مجاهد (718/1).

6- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (18/13).

أحاديث نبوية للتحذير من الفتن:

حذرنا رسول الله ﷺ من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ونهانا عن الخوض فيها، وحثنا على تجنبها واعتزالها، بل حتى دعانا إلى الفرار منها.

1- قال رسول الله ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ"[1]. يخبرنا رسول الله ﷺ أنه سيأتي زمان وهو قريب أن يكون أفضل مال المسلم غنم، يرعى بها في رؤوس الجبال، ومواضع سقوط الأمطار، يهرب خوفاً من أن يفتن في دينه، ويخوض في الفساد مع الخائضين[2].

2- قال رسول الله ﷺ: "إن السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إنَّ السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، إن السعيدَ لَمَن جُنِّبَ الفِتَنَ، ولَمَن ابتُلِيَ فَصَبَرَ فواهاً"[3].

3- عن الزبير بن عدي[4] قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: "اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ" سمعته من نبيكم ﷺ [5]. قال ابن حجر: "عن مسروق[6] أنه قال: لا يأتي عليكم زمان إلا وهو أشر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير، ولا عاماً خيراً من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفاً، ويجيء قوم يفتون في الأمور برأيهم، فيثلمون الإسلام ويهدمونه"[7].

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، 13/1: رقم الحديث 19. السجستاني: سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرخص فيه من البداوة في الفتنة، 103/4: رقم الحديث 4267.

2 - انظر المرجع السابق، تعليق مصطفى البغا على الحديث.

3- السجستاني: سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، 102/4: رقم الحديث: 4263. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. المعجم الكبير، (2ج). تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي (252/20): رقم الحديث 598، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 1975.: حديث صحيح.

4- الزبير بن عدي: هو أبو عدي الهمداني اليامي، العلامة، ثقة، ثبت، فاضلاً، صاحب سنة. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (157/6).

5- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، 49/9: رقم الحديث: 7068.

6- مسروق: هو مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني، الإمام، القدوة، سُرق وهو صغير، ثم وجد، فسمي مسروقاً، وعداده في كبار التابعين، كان أفرس فارس باليمن. انظر سير أعلام النبلاء (63/4-64).

7 - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (21/13).

5- أن أم سلمة[1] زوج النبي ﷺ، قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً، يقول: "سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ"[2].

6- عن أنس بن مالك[3] أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من الفتن قائلاً: "أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَوْأَى الفِتَنِ"[4].

1- أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام. وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسبا"، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين. من المهاجرات الأول، وكانت تعد من فقهاء الصحابيات. انظر سير أعلام النبلاء (201/2- 202).

2- المرجع السابق، حديث رقم 7069.

3- أنس بن مالك: هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتاً. سير أعلام النبلاء (395/3-396).

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، 53/9: رقم الحديث: 7090 .

المطلب الثاني

أنواع فتن الظالمين

إن الابتلاء سنة كونية في حق الناس عامة، وفي أهل الإيمان خاصة، فقال عز من قائل: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:1,2]. والابتلاء درجات وأنواع، فأشد الناس ابتلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. وإن الفتن تكون لتمحيص أهل الحق عن أهل الباطل، وهي أنواع: منها فتن مهلكات لا تذر وراءها شيئاً، وفتن أقل شأناً، ولا عاصم من هذه الفتن كلها إلا من عصمه الله.

قال ابن القيم رحمه الله الفتنة نوعان: فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما. إن فتنة الشبهات منشأها الجهل، وقلة العلم، واتباع الهوى، والمقصد الفاسد، فهذه هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم:23]، إن هذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين وأهل البدع الظالمين باختلاف مراتب بدعهم. هذه هي الفتنة الثانية وهي فتنة الشهوات[(1)].. ويدخل فيها حب المال والنساء، والحرص على الدنيا، قال النبي ﷺ: "فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ"[(2)]. وقد جمع الله بين ذكر الفئتين فقال: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة:69]. فالفئة الأولى: هي التي جمعت الأموال، والأولاد، مفتخرة بما عندها من حطام الدنيا وزخرفها، فطغت وظلمت وأفسدت. والفئة الثانية: هي التي تخوض في الباطل والكذب، وتقول في حق الله ﷻ ما لا يليق بجلاله وجماله، فظلموا خالقهم،

1- انظر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (2ج). تحقيق: محمد حامد الفقي. المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة المعارف. (د. ط). (د.ت). (166/2).

2- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، 90/8: رقم الحديث 6425. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، 2273/4: رقم الحديث 2961.

وتتهم رسل الله وأنبياءه بما لا يليق من الأفعال وسيء الأخلاق، فظلموا رُسل ربهم، فابتعدوا وانحرفوا عن المنهج الذي شُرع لهم فظلموا أنفسهم، فكلا الفريقين خسروا في الدنيا والآخرة.

وسنذكر في بحثنا هذا بعض الفتن، ونسميها بأسمائها التي ذكرت على لسان رسول الله ﷺ، وما علاقة الظالمين بها.

1- فتنة الفرقة والاختلاف: إن هذه الفتنة يتزعمها الظالمون من الخلق، طمعاً في دنيا زائلة، عن أبي بردة[1]قال دخلت على محمد بن مسلمة[2]فقال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأْتِ بِسَيْفِكَ أُحُدًا، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ اجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ يَدٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ". فَقَدْ وَقَعَتْ وَفَعَلْتُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]. يخبرنا النبي ﷺ أنه ستكون فتن، وفرقة، واختلاف، وتنازع، وشحناء على أمور الدنيا وزخرفها، وهذا الاختلاف وهذه الفرقة لا تصب في مصلحة الدين، لذلك يأمرنا رسول الله أن نلزم بيوتنا، ونعتزل الفتن، ولو قُتلنا مظلومين، أو يأتي الموت بقضاء وقدر. وإن أكبر مثال على هذا النوع من الفتن هي: فتنة الخوارج فقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن خروج أقوام في آخر الزمان، لهم دور كبير في فرقة الأمة الإسلامية واختلافها، إذ يدعي هؤلاء العلم، ويجهدون أنفسهم في العبادة، ويدعون إلى كتاب الله، وإقامة حدوده، ولكنهم جهلاء، ظلمة، أحكامهم جائرة، وآراؤهم قاصرة، يسفكون دماء مخالفيهم من المسلمين دون أي وجه حق، ويجهلون الصحابة، ويكفرون معاوية وعلي، وبعض الصحابة رضوان الله عليهم، ويستهزؤون بالعلماء. قال رسول الله ﷺ في وصفهم: "سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ، وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ

1- أبو بردة بن أبي موسى الأشعري: الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة. حدث عن: أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبو هريرة، وغيرهما. وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، مات أبو بردة سنة أربع ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (5/5-6).

2- محمد بن مسلمة: هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد الأنصاري، من نجباء الصحابة، شهد: بدرا، والمشاهد. كان ممن اعتزل الفتنة، ولا حضر الجمل، ولا صفين؛ بل اتخذ سيفا من خشب، وتحول إلى الربذة، فأقام بها مديدة. انظر سير أعلام النبلاء (369/2).

3- القزويني: سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، 1310/2: رقم الحديث 3962. حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكيين، باقي حديث محمد بن مسلمة، ويأتي حديثه في مسند الشاميين، 413/25: رقم الحديث: 16029. قال الألباني في صحيح الجامع 2432 - 1112: حديث صحيح.

قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللهِ مِنْهُمْ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: "التَّحْلِيقُ"[1]. ومن صفاتهم ايضاً كما قال رسول الله ﷺ: "يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ"[2]. وفي زماننا هذا قد ظهر منهم الكثير، فهم حدثاء أسنان أي: صغار في العمر، مغرر بهم، عقولهم بها خفة[3]، يقولون من خير قول البرية، فيستدلون من القرآن والسنة على جواز أو وجوب فعلهم ضد المسلمين، فيتقربون إلى الله عز وجل بإراقة دم من حرم الله قتله إلا بالحق، وقد تشابهت قلوبهم، وصفاتهم، خوارج الأمس قتلوا عثمان وعلي رضي الله عنهما، وخوارج اليوم قتلوا المسلمين واستباحوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

2- **فتنة تزيين القبيح وتصويب الباطل:** عَنْ حُذَيْفَةَ[4]، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ، "أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ"، قَالَ عُمَرُ: أَكَسْرًا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: "لَا بَلْ يُكْسَرُ"، وَحَدَّثْتُهُ "أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ"، قَالَ أَبُو خَالِدٍ: فَقُلْتُ لِسَعْدٍ: يَا أَبَا مَالِكٍ، مَا أَسْوَدُ مُرْبَادٌّ؟ قَالَ: "شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ"، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّيًا؟ قَالَ: مَنْكُوسًا"[5].

1- السجستاني، سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، 143/7: رقم الحديث 4765. قال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داوود: حديث صحيح.

2- البخاري، صحيح البخاري، 137/4: رقم الحديث 3344. مسلم، صحيح مسلم، 741/2: رقم الحديث 1064.

3 – انظر ابن حجر، فتح الباري (619/6).

4- حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، من نجباء الصحابة، كاتم سر رسول الله ﷺ. سير أعلام النبلاء (361/2) بتصرف.

5- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين، 128/1: رقم الحديث: 231.

يخبرنا رسول الله ﷺ أن فتنة الظالم في أهله أن يأتي من أجلهم ما لا يحل من قول وفعل، فيقتل ويسرق ويظلم، وكذلك الولد قد يأتي لأجله بما لا يحل، أما فتنة الظالم في المال أن يأخذه من طريق غير مشروع وينفقه في غير ما أمر الله به، وأما فتنته في جاره أن يحسده على ما أتاه الله من نعمة، وهذه الذنوب والمعاصي تكفرها الصلاة والصيام والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الفتن العظام التي يضطرب بها الناس، ويظلم بعضهم بعضاً، ويلتبس على الناس أمرها، فأي قلب أحبها وارتضاها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب رفضها واستنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب لونين، قلب أبيض لا تضره فتنة، وقلب أسود منكوس لا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يبقى فيه خير. وأن هذه الفتن بينها وبين الإسلام عمر رضي الله عنه، فإذا مات عمر انكسر الباب وأطلت برأسها وباضت وفرخت[1]. ووصف ابن حجر هذه الفتنة: في ذلك الزمان الذي تحدث فيه لا يُأمر بمعروف ولا يُنهى عن منكر، مداراة ومداهنة في الدين، مداهنة للأمراء في الحق، وإظهار ما يبطن خلافه، كالمتملق بالباطل، من تزيين للقبيح وتصويب للباطل[2]، فلم يبق إلا حثالة من الظالمين قد مُرجت عهودهم، وأمانتهم، واختلفوا، وتلونوا كما تتلون الحرباء، فضلوا وأضلوا.

3- **فتنة البدعة في الدين:** عن ابن عمر[3]رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو مستقبل المشرق: "أَلاَ إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"[4].

وجاء في حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: "اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا "، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا"، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا قَالَ: "هُنَالِكَ الزَّلاَزِلُ، وَالْفِتَنُ مِنْهَا أَوْ قَالَ: بِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"[5]. وقد قال العلماء أن قرن الشيطان التي تطلع منها الفتن هي العراق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذه

1- انظر المرجع السابق، تعليق مصطفى البغا على الحديث.

2- انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (53/13).

3- ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه لم يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة. انظر سير أعلام النبلاء (203/2-204).

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: "الفِتْنَةُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ"، 53/9: رقم الحديث: 7093.

5- البخاري: صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، 33/2: رقم الحديث 1037. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، 2228/4: رقم الحديث 2905.

لغة أهل المدينة النبوية في ذاك الزمان، كانوا يسمون أهل نجد والعراق أهل المشرق"[1]. وقال ابن حجر: "كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة"[2].

وأهم فتن البدع، هي البدع الاعتقادية، التي تفسد الدين أو تضعفه، قال علامة العراق محمود شكري الألوسي[3]عن بلده العراق: "فبلاد العراق معدن كل محنة وبلية، ولم يزل أهل الإسلام منها في رزية بعد رزية، فأهل حروراء وما جرى منهم على الإسلام لا يخفى، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الإسلام إنما خرجت ونبغت بالعراق، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به ... ثم الرافضة والشيعة وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت، والقول الشنيع في: الإمام علي وسائر الأئمة، ومسبة أكابر أصحاب الرسول ﷺ. كل هذا معروف مستفيض"[4].

وقال الشيخ العلامة الألباني[5]رحمه الله في تخريجه لكتاب فضائل الشام ودمشق: "فيستفاد من مجموع طرق الحديث أن المراد من نجد في رواية البخاري ليس هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وإنما هو العراق، وبذلك فسره الخطابي والحافظ ابن حجر العسقلاني ... وقد تحقق

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (42/27).

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (47/13).

3- الألوسي: هو محمود شكري المكنى بأبي المعالي ابن السيد عبد الله بهاء الدين ابن أبي الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي، مفسر، مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما. وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. وحمل على أهل البدع في الإسلام، برسائل. ولد في العراق سنة 1272هـ، توفي سنة 1342هـ، علامة العراق، ألف ما يزيد على خمسين مؤلفاً، الزركلي. الأعلام. (172/7).

4- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء. غاية الأماني في الرد على النبهاني، (2ج). تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي. ط1. المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الرشد، 1422هـ- 2001م. (180/2).

5- الألباني: هو محدِّث العَصر الإمام العلامة محمد بن نوح نجاتي، الشَّهير بمحمد ناصر الدين الألباني، المكنى بأبي عبدالرحمن أكبر أبنائه، وُلد الشيخ الألباني في مدينة أشقودرة عاصمة ألبانيا يومئذٍ، عام 1332هـ، توفي سنة 1420 هـ. قال الشيخ عبد العزيز بن باز: "ما رأيت تحت أديم السماء عالمًا بالحديث في العصر مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني". انظر الترباني، جهاد. ط1. مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ. تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي. القاهرة: دار التقوى، 1431هـ - 2010م. ص 331- 332.

ما أنبأ به عليه الصلاة والسلام، فإن كثيراً من الفتن الكبرى والبدع كان مصدرها العراق ..."[1]. وإن زعماء هذه الفتنة هم من أكثر الناس ظلماً، وأجرأهم انتهاكاً لحدود الله وحرماته.

4- **فتنة الدجال: قال رسول الله ﷺ:** "أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ، وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا وَلَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ وَنَهْرٌ وَمَاءٌ وَجَبَلُ خُبْزٍ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ وَنَارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ، فَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"[2]. إن فتنة الدجال من أعظم الفتن الكائنة في الدنيا، وإنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال.

يخرج الدجال في نقص من الدنيا، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، وظلم في الأرض، فَيَرِد كل منهل، وتُطوى له الأرض، يتبعه سبعون ألف من يهود أصبهان الظلمة، ويقترب من المدينة يريد دخولها، فترجف ثلاث رجفات، فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق أو الظلم، وعلمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نستعيذ من فتنته دبر كل صلاة، ونقرأ فواتح سورة الكهف[3]، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِيذُ فِي صَلاَتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"[4]

5- فتنة القتل: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجًا"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: "الْقَتْلُ"، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ"، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا، تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ". ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ: "وَايْمُ اللَّهِ، إِنِّي لَأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ اللَّهِ، مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا

1- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي. ط1. مكتبة المعارف، 1420هـ- 2000م. ص26.

2- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد 88/39: رقم الحديث 23684. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين (565/4): رقم الحديث 8587، قال الحاكم في مستدركه حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

3- انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (92/13-94).

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، 166/1: رقم الحديث 833. مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، 411/1: رقم الحديث 587.

مَخْرَجٌ، إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ، إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا"[1]. هذا الحديث شاهد على ما يحدث في زماننا هذا، حيث كثُر الجهل، ورُفع العلم، وقل الصالحون، وكثُر الظالمون المفسدون، واشتد القتل بين الناس، وانتشر الهرج بينهم، والناس حيارى لا يميزون الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، وإنما يتحزبون لأطماع الدنيا وشهواتها، فلا يدري القاتل لماذا قَتَلَ، ولا يدري المقتول عن سبب قتله، قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ"[2]. وأين عقول الرجال عند ذلك؟ يخبرنا النبي ﷺ أنه تذهب عقول الرجال حتى لا ترى ذا لُبٍّ، ولا ترى اتزاناً ولا اعتدالاً، لشدة هذه الفتن، وعظم شأنها، وكثرة شيوعها. وعن حذيفة بن اليمان أنه قال: "ما الخمر صرفاً بأذهب بعقول الرجال من الفتن"[3].

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ"[4]، قال الحافظ ابن حجر: "وعُلم من الخبر النبوي أن بأس الأمة بينهم واقع، وأن الهرج لا يزال إلى يوم القيامة"[5].

6- **فتنة المُلك:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ (أي: من طَلَعَ لها بِشَخْصِهِ طَالَعَتْهُ)[6]، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ

1- القزويني: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، 1309/2: رقم الحديث 3959. الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث ابي عوانة، 565/4: رقم الحديث 8587. قال الألباني في السلسلة الصحيحة 1628: حديث صحيح.

2- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، 2231/4: رقم الحديث 2908.

3- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (247/1).

4- البخاري: صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، 33/2: رقم الحديث 1036. القزويني: سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب أشراط الساعة، 1343/2: رقم الحديث 4047.

5- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (50/13).

6- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، (8ج). تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. ط4. دار طيبة، 1417هـ - 1997م. (23/15).

بِهِ"[1]، وفي صحيح مسلم زيادة في الحديث نفسه توضح كيف يكون الملجأ والمعاذ منها أن النبي ﷺ قال: "أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ " قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: "يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟" قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: "يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"[2]. قال ابن حجر: "والمراد بالفتنة هنا ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، حيث لا يعلم المحق من المبطل"[3]. ونقل ابن حجر عن الأوزاعي[4] قوله: "هي كل فتنة تنشأ عن القتال بين طائفتين من المسلمين، حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع، لأن القتال يكون لأجل الملك، وهذا يكون في آخر الزمان وقد وقع، حيث سُئل رسول الله ﷺ ومتى يكون ذلك يا رسول الله؟ قال: أيام الهرج، حين لا يأمن الرجل جليسه"[5]. فأرشدنا رسول الله ﷺ إلى الملجأ والمعاذ من تلك الفتن، بأن نعتزلها ونبتعد عنها في الكهوف، والجبال، والبوادي، فمن لم يستطع ذلك فليغلق عليه بابه وليلزم بيته، فإذا دُخل عليه وأُجبر على القتال، عندئذٍ ليكن كأفضل ابني آدم. هذا أمر رسول الله ﷺ لنا لكن الظالمون لم يتركوا باباً للملك ليدخلوا منه إلا سلكوه، متجاوزين كل حد في الظلم والطغيان.

7- فتن يبيع فيها المرء دينه بعرض من الدنيا: قال رسول الله ﷺ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، 51/9: رقم الحديث 7081. القزويني: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، 1320/2: رقم الحديث 3961. حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود ﷺ 112/2: رقم الحديث 1446.

2- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، 2212/4: رقم الحديث 2887. الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، 470/4: رقم الحديث 8305.

3- ابن حجر، فتح الباري (31/13).

4- الأوزاعي: هو الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد. شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع، ظاهر باب الفراديس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. وكان خيرا، فاضلا، مأمونا، كثير العلم والحديث والفقه، حجة. توفي: سنة سبع وخمسين ومائة. انظر سير أعلام النبلاء (107/7-109).

5- ابن حجر، فتح الباري (31/13).

بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"[1]. يقول الحسن البصري: "والله؛ لقد رأيناهم صوراً بلا عقول، أجساماً بلا أحلام، فَرَاشَ نار، وذِبَّانَ طَمَع، يَغْدُون بدرهمين، ويَرُوحون بدرهمين، يبيع أحدُهم دينهُ بثمن العَنْزِ"[2]. يبيع دينه لأجل وظيفة، أو مكافأة، أو درجة، أو راتب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "هذه الفتن قد أظلت كقطع الليل المظلم، كلما ذهب منها رسل؛ بدا رسل آخر؛ يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه"[3]. وهذا واقع في زمننا هذا حيث انتشر الجهل والظلم والفساد، ورفع العلم، ومات العلماء، وانشغل الناس بحطام الدنيا وزخرفها، قلوب الرجال شتى، أحلامهم كأحلام العصافير، يقتل بعضهم بعضاً، ويظلم بعضهم بعضاً، قال رسول الله ﷺ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، يَظْهَرُ النِّفَاقُ، وَتُرْفَعُ الْأَمَانَةُ، وَتُقْبَضُ الرَّحْمَةُ، وَيُتَّهَمُ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ غَيْرُ الْأَمِينِ، أَنَاخَ بِكُمُ الشُّرْف الجُونُ"، قَالُوا: وَمَا الشُّرْفُ الْجُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "فِتَنٌ كقطع الليل المظلم"[4].

8- **فتنة النساء:** ليس في هذا الزمان فتنة أشد من فتنة النساء، حيث بلغت وسائل الفتنة والإغراء بهن مبلغاً لم تشهده البشرية من قبل، حيث تفنن شياطين الإنس في إخراج المرأة من بيتها، وجعلها تتخلى عن رسالتها التي خُلقت لأجلها، بدعوى التقدم والحرية والانفتاح، وما تركوا منكراً إلا كانت المرأة أداة للدعوة إليه، حيث استخدموا جسدها سلعة رخيصة في كل محفل، ولن يسود الأمن المجتمع إلا بعودة المرأة إلى بيتها وتربية أبنائها. قال النبي ﷺ: "مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"[5]. ذلك أن النفوس مفطورة على الميل إليهن، ويُوقع في الحرام لأجلهن، وينشأ القتال والعداء بسببهن، وإن لم يكن كل ذلك فإنها تُرَغِّب في الدنيا،

1- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، 110/1: رقم الحديث 118. الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، 487/4: رقم الحديث 2195.

2- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير ﷺ، 353/30: رقم الحديث 18404. قال الألباني في صحيح الجامع 2814: حديث صحيح.

3- المروزي، نعيم بن حماد أبو عبد الله. كتاب الفتن، (2ج). تحقيق : سمير أمين الزهيري. ط1. القاهرة: مكتبة التوحيد، 1412هـ- 1990م. (65/1).

4- الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب العلم، 611/3: رقم الحديث 6263. ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر الإخبار عن الأمارات التي تظهر قبل وقوع الفتن، 99/15: رقم الحديث 6706. قال الألباني في السلسلة الصحيحة 3194: حديث حسن.

5- البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، 8/7: رقم الحديث 5096. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، 2098/4: رقم الحديث 2741.

وتُشغل عن الآخرة. قال القسطلاني: "تحقيق كون الفتنة بهن أشدّ، أن الرجل يحب الولد لأجل المرأة، وكذا يحب الولد الذي أمه في عصمته، ويرجحه على الولد الذي فارق أمه، بطلاق، أو وفاة غالبًا"[1]. قال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:14]، قال مجاهد: "يحمل أحدكم حب زوجته على قطيعة الرحم، أو معصية ربه، ولا يستطيع مع حبه إلا الطاعة"[2]. قال رسول الله ﷺ: "مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ"[3]. وقال أيضاً: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ"[4]. لو تأملنا قول رسول الله" فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ" كيف أن رسول الله جعل كل الدنيا وما فيها من مال، ومناصب، وشهوات، وشبهات في كفة، والنساء في كفة أخرى. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: "ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السراء، وأخوف ما أخاف عليكم: فتنة النساء إذا تسورن الذهب والفضة، ولبسن رباط الشام وعصب اليمن، فأتعبن الغني، وكلفن الفقير ما لا يجد"[5].

ولقد حذر رسول الله ﷺ المسلمين أن يولّوا أمورهم امرأة فقال: "لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً"[6]. وعنه ﷺ قال: "الْآنَ هَلَكَتِ الرِّجَالُ إِذَا أَطَاعَتِ النِّسَاءَ، هَلَكَتِ الرِّجَالُ إِذَا أَطَاعَتِ

1- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (10ج). ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، 1323هـ- 1902م. (25/8).

2- مجاهد، تفسير مجاهد (662/1)، بتصرف.

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، 68/1: رقم الحديث 304. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، 86/1: رقم الحديث 79.

4- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، 2098/4: رقم الحديث 2742. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. السنن الكبرى، (10ج). تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م. كتاب عشرة النساء، ذكر الاختلاف على أبي رجاء في هذا الحديث، 302/8: رقم الحديث 9224.

5- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (236/1).

6- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، 55/9: رقم الحديث 7099. الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب 527/4: رقم الحديث 2262.

النِّسَاءَ" ثَلَاثًا"[1]. عن علي بن أبي طالب[2]رضي الله عنه قال: "يأتي على الناس زمان، همتهم بطونه، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شِرار الخلق، لا خلاق لهم عند الله"[3]. أولئك هم الظالمون اليوم، وها نحن في زماننا هذا ما أفسد الأسر والمجتمعات بل الدول، إلا أنهم حملوا المرأة فوق طاقتها، وجردوها من مهمتها، ووظيفتها التي خلقت لأجلها.

9- فتنة المال: إن للمال محبة في النفوس، وتميل إليه القلوب، ولقد كان الانشغال الزائد بالبحث عنه وجمعه من الأسباب الرئيسية التي فرقت بين الأرحام، وقطعت المحبة والوئام، فتن أوقعت بين كثير من الناس، العداوة، والبغضاء، والشحناء، فظلموا بعضهم بعضاً، وجعلت أصحابها يعيشون في محنة وشقاء، بعد أن كانوا يعيشون في سعادة وهناء، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن:15]. في هذه الآية الكريمة "نجد أن الله ﷻ قدّم المال على الولد؛ لأن النفوس تتعلق به أكثر، ففتنته أكثر من الولد، وذلك لقربه، وسهولة أخذه وتناوله، وسرعة نجدته، وسهولة استثماره وتنميته، وأن مردوده وربحه سريع، وأما الولد فيحتاج الى فترات زمنية قد تطول من حيث الرعاية والتنشئة والتربية، حتى يبلغ مرحلة السعي، وبعد ذلك قد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً، وقد يكون مريضاً، وقد يكون باراً ، وقد يكون عاقاً" [4]. لذلك حذر رسول الله ﷺ أمته من المال وفتنته فقال: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ"[5]. وحذر من التنافس على الدنيا والاقتتال لأجلها فقال: "إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ

1- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند البصريين، حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، 106/34: رقم الحديث 20455. الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الأدب، حديث سالم بن عبيد النخعي، 323/4: رقم الحديث 7789، قال الحاكم حديث صحيح ووافقه الذهبي.

2- علي بن أبي طالب: هو علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي. روى الكثير عن النبي ﷺ وعرض عليه القرآن وأقرأه. انظر سير أعلام النبلاء (راشدون/225).

3- الديلميّ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو. الفردوس بمأثور الخطاب، (5ج). تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ- 1986م. (444/5).

4- موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنن، المكتبة الشاملة. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). (2/26).

5- تم تخريجه ص37.

الأَرْضِ – أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ – وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا"(1).

ولقد أخبر رسولنا الكريم عن طمع ابن آدم، وحرصه على المزيد من المال، فقال رسول الله ﷺ: "لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ"(2). إن المال فتنةٌ من جهة تحصيله وتنميته، وفتنةٌ في التكثير منه والتفاخر به، وفتنةٌ من جهة إنفاقه وأداء الحقوق الواجبة منه، والظالمون لا يتقون الله في كسبه، ولا يتورعون عن الشبهات في جمعه، بل أصبح المال أكبر همهم، ملء حبه قلوبهم، وشغل تفكيرهم، يخاطرون في جمعه أيَّما مخاطرة، لا يبالون بعواقب ذلك في الدنيا والآخرة، يكسبونه بطرق ملتوية، يجمعونه من حرام وينفقونه في حرام، فهم المفتونون الذي لا يعتبرون ولا يتعظون، وصدق رسول الله ﷺ لما جاءه مال البحرين، وعلم الأنصار بهذا المال، فذهبوا إليه في صلاة الفجر، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: "أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟"، قَالُوا: أَجَلْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "أَبْشِرُوا، وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ"(3).

10- فتنة الأولاد: قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن:15]، وكلمة فتنة في الآية تحمل معنيين:

الأول: أن الله يفتنكم بالأموال والأولاد بمعني يختبركم.

الثاني: أن هذه الأموال والأولاد فتنة لكم توقعكم بفتنتها في المخالفة والمعصية. فجاء التحذير من رسول رب العالمين بأخذ الحيطة والحذر من الوقوع بهذه الفتن، قال رسول الله ﷺ: "الْوَلَد

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، 90/8: رقم الحديث 6426. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، 1796/4: رقم الحديث 2296.

2- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، 92/8: رقم الحديث 6436. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، 725/2: رقم الحديث 1048.

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب، 84/5: رقم الحديث 4015. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، 2273/4: رقم الحديث 2961.

مَجْبَنَة مَبْخَلَة مَحْزَنَة"[1]، مبخلة يصرف الإنسان عن الإنفاق في سبيل الله وعن الخوض في المعركة في سبيل الله، مبخلة يصرفه عن الإنفاق، مجبنة يصرفه عن القتال، محزنة إذا مرض وغير ذلك، "قيل ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام ما لك تكره الولد؟ قال: ما لي وللولد إن عاش كدَّني، وإن مات هدَّني"[2].

إن حب الولد والرحمة به والحنو عليه غريزة فطرية، وعاطفة إنسانية، ولقد جاء الإسلام بما يسمو بهذه العواطف ويرقى بها، ويوجهها الوجهة الصحيحة، فيجب على المسلم أن يراعي حقوق الأولاد، مع تحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات، والاعتدال في المحبة، دون إفراط أو تفريط، والتوسط بين نداء العقل والعاطفة، فالظالمون بالغوا في حب الأولاد، وفي الحرص على مصالحهم، فأصبحوا من أجلهم بخلاء جبناء، يجافونهم ويحرمونهم حقوقهم متذرعين بأنهم فتنة.

1- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي. مسند أبي يعلى،(13ج). تحقيق: حسين سليم أسد. ط1. دمشق: دار المأمون للتراث، 1404هـ- 1984م. 305/2: رقم الحديث 1032. العراقي، أبو الفضل. المغني عن حمل الأسفار، (2ج). تحقيق: أشرف عبد المقصود. الرياض: مكتبة طبرية، 1415هـ - 1995م. (1014/2). قال الترمذي: حسن غَرِيب، وقال الألباني في صحيح الجامع 1985: حديث صحيح.

2- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري. فيض القدير شرح الجامع الصغير، (6ج). (ط. 1) مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ- 1935م. (403/2).

المطلب الثالث

معنى الاستدراج والإملاء

الاستدراج دار على معنى واحد عند علماء اللغة العربية، وهو:

الاستدراج لغة: استدرجه بمعنى: "أَدْنَاهُ مِنْهُ عَلَى التَّدْرِيجِ فَتَدَرَّجَ"[(1)]، وقيل: "استدرجه: رقّاه من درجة إلى درجة، واستدرج الله العبد: أمهله قليلاً قليلاً ولم يباغته، أمهله ولم يعجّل عذابَه، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:18]، واستدرج فلانًا إلى كذا: خَدَعه حتى أطاعه، وحمله على أن يفعل ما يريد بالإغراء أو الحيلة"[(2)].

"واستدراج الله تعالى العبد: أنه كلما جدد خطيئة، جدد له نعمة، وأنساه الاستغفار، أو أن يأخذه قليلاً قليلاً، ولا يباغته"[(3)]، ومعنى قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: "سنأخذهم من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به، فيركنون إليه، ويأنسون به، فلا يذكرون الموت، فيأخذهم على غرتهم أغفل ما كانوا، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما حمل إليه كنوز كسرى: اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجاً، فإني أسمعك تقول:﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(4)].

الاستدراج اصطلاحاً: هو ترك المعاجلة، ونقله من حال إلى حال، أو من درجة إلى درجة، ومن منزلة إلى منزلة، من سفل إلى علو فيكون استصعاداً، ومن علو إلى سفل فيكون استنزالاً[(5)]، "واستدراج الله لعبده: أن يوليه من النعم، أو يملي له في المؤاخذة، فتلهيه النعمة، أو يتمادى في غيه، ويأخذه الله بالهلاك وهو في غفلة"[(6)].

1- الرازي، الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح، (1ج). تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، 1420هـ - 1999م. ص103.

2- عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة (734/1).

3- الفيروزآبادي، القاموس المحيط (188/1).

4- ابن منظور، لسان العرب (268/2). الزبيدي، تاج العروس (560/5).

5- انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (252/18). وانظر البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (5مج). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ - 1997م. (43/3). وانظر الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (118/5).

6- الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد. مخطوطة الجمل، معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، (5ج). ط1. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م-2008م. (99/2).

وعرفه الجرجاني[1]بعدة تعريفات فقال: الاستدراج: أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتاً فوقتاً إلى أقصى عمره للابتدال بالبلاء والعذاب، وقال: هو أن تكون بعيدًا من رحمة الله قريبًا إلى العقاب تدريجيًا، وقال أيضاً: هو أن يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عالٍ، ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكًا[2].

والخلاصة: الاستدراج هو: أن يعطي الله العبد كل ما يتمناه في الدنيا، فيزداد ضلالاً وغياً وظلماً، حتى إذا طال الزمان، أخذه أخذاً أليماً.

أنواع الاستدراج:

1- استدراج الصعود: وهو عطاء إمهال وإملاء ونعم، لا عطاء محبة وقربى كما يظنون، قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:54-56]، إن الله ﷻ يمدهم بالأموال والأولاد، والزروع والثمار والخيرات، وهذا الإمداد ليس إلا استدراجاً لهم في المعاصي، واستجراراً لهم في زيادة الإثم[3]، وقال رسول الله ﷺ: "إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ ، فَإِنَّمَا هو اسْتِدْرَاجٌ ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:" 44] [4]، وقال الحسن البصري: "كم مُستدرَجٍ بالإحسان إليه! وكم مَفتون بالثناء عليه! وكم مَغرور بالستر عليه"[5]، وقال سفيان الثوري: "نُسبغ عليهم النِّعمَ، ونُنسيهم الشكر"[6].

2- استدراج النزول: هو تدرج في المعاصي، وانتكاس للفطرة، فالإنسان مجبول على قبول الحق والفضيلة، فهو مولود على الفطرة، ولكن هؤلاء قابلوا نعم الله عليهم بارتكاب السيئات

1- الجرجاني: هو علي بن محمد بن علي الجرجاني، الحسيني، الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف (أبو الحسن) عالم، حكيم، مشارك في انواع من العلوم. معجم المؤلفين (216/7).

2- انظر الجرجاني، التعريفات، ص20.

3- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (282/23).

4- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ، 547/28: رقم الحديث 17311. قال الألباني في السلسلة الصحيحة 413: حديث صحيح.

5- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمسيري. السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني. تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد. الرياض: دار الراية. (د. ط). (د. ت). ص 1279.

6- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (7/7).

والفواحش والمعاصي، واتبعوا الشهوات، هؤلاء ينزلون درجة درجة حتى يصلوا إلى أسفل السافلين، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف:176]، فهؤلاء تدرجوا في المعاصي إلى أن حقت عليهم كلمة العذاب الدنيوي والآخروي، على أفظع وأشنع حال[1].

تعريف الإملاء:

الإملاء لغة: "أَملى اللهُ له في غيِّه: أطال له وأمهله، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:183]، وأَمْلى اللهُ للظالم: أَمهله وطوّل له"[2]، "وأَمَدَّ لَهُ فِي الأَجل: أَنسأَه فِيهِ، ومَدَّه فِي الغَيّ وَالضَّلَالِ يَمُدُّه مَدًّا ومَدَّ لَهُ: أَمْلَى لَهُ وَتَرَكَهُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:15]، أَي يُمْلِي ويُلِجُّهم، قَالَ: وَكَذَلِكَ مدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْعَذَابِ مَدًّا، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:79] [3].

الإملاء اصطلاحاً: الإملاء هو "الإمهال والتأخير وإطالة العمر"[4].

والفرق بين الإملاء والاستدراج: أن الإملاء هو الإمهال والتأخير، أما الاستدراج فهو أنه كلما جدد العبد خطيئة جدد الله له نعمه، وأنساه الاستغفار، إلى أن يأخذه قليلاً قليلاً، ولا يباغته، وعلى هذا بينهما عموم وخصوص، إذ كل استدراج إملاء وليس كلُّ إملاءٍ استدراجاً[5].

"وقد اجتمع الاستدراج والإملاء في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: 182-183]، فذكر الله ﷻ الاستدراج أولاً ثم الإملاء ثانياً، لأن الإملاء آلة الاستدراج وأداته، وأتى في الاستدراج بأداة العظمة ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾، وفي الإملاء بضمير الواحد ﴿ وَأُمْلِي﴾ ، ولم يأت بهما على نهج

1- انظر الألوسي، روح المعاني (118/5).

2- عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة (2125/3).

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة أملى، (397/3). الزبيدي، تاج العروس (155/9، 555/39).

4- ابن منظور، لسان العرب (290/15). ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم. النهاية في غريب الحديث والأثر، (5ج). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م. (363/4).

5- انظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران . معجم الفروق اللغوية. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات. ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، 1412هـ- 1992م. ص73.

واحد، لأن الاستدراج يكون بواسطة وبغيرها، فتارة يكون من الله، وتارة يكون على يد عبيده وجنوده، أما الإملاء وهو تطويل الأجل فلا يكون إلا من الله ﷻ"[1].

الاستدراج سنة إلهية لا تتبدل ولا تتغير، فالله سبحانه وتعالى أمر عباده بطاعته وامتثال أوامره، فمن سمع وأطاع فاز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض وتولى واستكبر وظلم، أرسل إليهم من يذكرهم به، ويدلهم على طريقه، ويخوفهم من بطشه وعقوبته، فإن لم يسمعوا ولم يطيعوا، ابتلاهم بالضراء حتى يردهم إليه، فإن أبوا وتمادوا في طغيانهم وكفرهم وظلمهم، بدَّل الله السيئة بالحسنة، ووسَّع عليهم في العطاء والإنعام، حتى إذا ازدادوا كفراً وعتواً وظلماً أخذهم بغتة وهم لا يشعرون، فهذا هو استدراجه ﷻ ومكره بمن كفر به وعصاه، وأعرض عن ذكره، وظلم نفسه، وظلم غيره.

1- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (22ج). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. (د. ط). (د. ت). (327/20). وانظر قاسم، رياض محمود. و زعرب، بهاء حسن. الاستدراج في القرآن الكريم. بحث محكم. غزة: الجامعة الإسلامية، 1436هـ- 2015م. ص8-9.

المطلب الرابع

أنواع استدراج الظالمين وإملاءهم

نِعَم الله على العبد لا تعد ولا تحصى، فيجب أن تقابل بالشكر والثناء على الله عز وجل، هذا هو منهاج المؤمن في حياته، فإذا غفل عن شكر المنعم الوهاب فهو مقصر وغافل، وأما أن يقابل النعمة بالمعصية فهو مستدرج، والاستدراج أنواع منها:

أولاً: الاستدراج بالنعم: قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر:49-52]، إن الضر يزيل عن الفطرة ركام الأهواء والشهوات، ويعريها من العوامل المصطنعة التي تحجب عنها الحق الكامن فيها، فعندئذ ترى الله وتعرفه وتتجه إليه وحده. حتى إذا مرت الشدة، وجاء الرخاء، نسي هذا الإنسان ما قاله في الضراء، وانحرفت فطرته بتأثير الأهواء، وقال عن النعمة والرزق والفضل: «إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ» .. قالها قارون، وقالها كل مخدوع بعلم أو صنعة أو حيلة يعلل بها ما اتفق له من مال، أو سلطان، غافلاً عن مصدر النعمة، وواهب العلم والقدرة، ومسبب الأسباب، ومقدر الأرزاق، ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إنها فتنة الاختبار والامتحان، ليتبين من يشكر ومن يكفر، ومن يصلح ومن يفسد، ومن يهتدي إلى الطريق ومن يجنح إلى الضلال[(1)].

إنها سنة الله عز وجل في عباده، يفتح عليهم أبواب الرزق وسبل العيش، ويُكثر لهم الأولاد والأموال، ويتبوؤون المناصب الحساسة، والمراكز المهمة، فيظنون أن ذلك من محبة الله لهم، ومن باب تفضيلهم على غيرهم، فيعرضون عن شكر المنعم المتفضل، ويقابلون كل تلك النعم بالكفر والجحود، حتى أن الله لا يعجل لهم بالعقوبة، بل يملي لهم ليزدادوا طغياناً وإثماً وبعداً عن الله، حتى إذا حان الأجل المحدد أخذهم الله بغتة وهم لا يشعرون، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [الأعراف:182-183]، قال رسول الله ﷺ: "إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ" ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

1- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (3057/5).

﴿ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [الأنعام:44] [(1)]، إن هؤلاء لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب كل شيء، ونقلناهم من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعماء، فإن الله ﷻ عاملهم في البداية بتسليط المكاره والشدائد فلم ينتفعوا، فنقلهم من تلك الحالة إلى ضدها، وهو فتح أبواب الخيرات عليهم، وتسهيل موجبات المسرات والسعادات لديهم، فلم ينتفعوا به أيضاً، حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الخير والنعم، لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر، ولا إقدام على اعتذار وتوبة، أخذناهم بغتة[(2)].

يقول ابن القيم: "وأما تمييز النعمة من الفتنة: فليفرق بين النعمة التي يرى بها الإحسان واللطف، ويعان بها على تحصيل سعادته الأبدية، وبين النعمة التي يرى بها الاستدراج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يشعر، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بقضاء الله حوائجه وستره عليه! وأكثر الخلق عندهم أن هذه الثلاثة علامة السعادة والنجاح، ذلك مبلغهم من العلم"[(3)].

هذا هو المقياس إذا رأيت نعم الله ﷻ تتوالى على العبد، وطاعته في ازدياد، فهذا من حب الله للعبد، وبركاته عليه، وأما إذا كانت النعم تتوالى على العبد، ومعاصيه في ازدياد، فاعلم أن ذلك استدراج منه سبحانه وتعالى له، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [آل عمران:187]، فالله يعطيهم الثروات، ويجعل الملك والسلطة في أيديهم فيمكنهم في الأرض، ويجعل المخترعات والصناعات على أيديهم وبأيديهم، كما عليه الغرب اليوم، لكن هذا لا يدل على أنهم على حق، أو أن الله راض عنهم في تفضله عليهم، وإنما هذا من باب الاستدراج والإملاء لهم، ليزدادوا إثماً، فإن أهل الباطل يستدلون بهذه النعم على أن الله يحبهم وراضٍ عنهم، أما أهل الحق والبصيرة فإنهم ينظرون إلى ما عليه الأمم، فإن كان حقاً قبلوه وإن كانوا فقراء، وإن كان باطلاً ردُّوه وإن كانوا

1- سبق تخريجه، ص133.

2- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (534/12-535).

3- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (2ج). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1416هـ-1996م. (189/1).

أغنياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم...﴾ [الأحقاف:26] [(1)].

قارون واستدراجه بالنعم: قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:76-83]، قال قتادة: "وكان قارون ابن عم موسى، أخي أبيه، وكان قطع البحر مع بني إسرائيل، وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه الله لبغيه، وإنما بغى عليهم لكثرة ماله وولده"[(2)]، وكان بغيه على الفقراء بأن لم يرع لهم حق الإيمان، وظلمهم، وطلب الفضل عليهم بأن يكونوا تحت يده، واستطال عليهم، وتجبر وتكبر وسخط عليهم، وأطال ثيابه شبراً زيادة على ثيابهم[(3)] "خيلاء"[(4)]،

1- انظر الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. شرح مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب. ط1. الرياض: دار العاصمة، 1421هـ-2005م، ص68.

2 - ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (3005/9).

3 - انظر الرازي، مفاتيح الغيب (14/25).

4- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي. لباب التأويل في معاني التنزيل، (4ج). تحقيق: محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م. (370/3).

قال رسول الله ﷺ: "لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ"[1]، "ولقد أعطاه الله ﷻ من الأموال، ليثقل حملها الفئام من الناس لكثرتها، وكانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حملت على ستين بغلاً أغر محجلاً"[2]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ يعني: "المتبذخين الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم"[3]،قال ابن عباس: "كان فرحه ذلك شركاً، لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى"[4]، ولقد أمره الله أن يستعمل المال الموهوب له، والنعم الطائلة، في طاعة ربه، والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل بها على ثواب الدار الآخرة، ولا ينسى ما أباح الله له في الدنيا، من المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمناكح، فإن لربه عليه حقاً، ولنفسه حقاً، ولأهله حقاً، وللفقراء والضعفاء حقاً، فليؤتي كل ذي حق حقه، وأمره ﷻ أن يُحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليه، ولا يكن همه أن يفسد في الأرض ويسيء إلى خلق الله[5]، فكل من عصى الله فقد أفسد في الأرض[6]، لكن قارون رفض كل ما أمره الله به، وقال استكباراً وبطراً واستعلاءً، أن العلم الذي أُوتيه إنما أُعطي له لاستحقاقه لذلك، فقد كان عنده علم التوراة، فهو من أقرأ الناس لها، وأعلمهم بها، وقيل إن الله أعطاه علم الكيمياء، وقال آخرون إنه أُعطي علم المكاسب والتجارة[7]، لكنه قال قولة المغرور المتغطرس الذي ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال ويعميه الثراء، حيث اعتبر قارون أن علمه وكده هما وحدهما سبب غناه، لكنه لم يشعر بنعمة ربه، ولم يخضع لمنهجه القويم، ولم يستمع لنداء قومه عندما نصحوه ووعظوه، وأعرض عن هذا كله في استكبار لئيم وفي بطر ذميم، فجاءه التهديد؛ رداً على قولته الفاجرة المغرورة، ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ، فإن كان ذا قوة وجاه ومال، فإن الله أهلك من قبله أجيالاً،

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب، 141/7: رقم الحديث 5783 . مسلم: صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، 1651/3: رقم الحديث 2085.

2 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (253/6).

3 – مجاهد، تفسير مجاهد، ص531.

4 – الرازي، مفاتيح الغيب (15/25).

5- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (254/6).

6- انظر الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (371/3).

7- انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (315/13).

كانوا أشد منه قوةً، وأكثر أموالاً، فخرج على قومه في زينته التي يتجلى فيها البغي والتطاول، والإعراض عن النصح، والتعالي على العظة، والإصرار على الفساد، والاغترار بالمال، والبطر الذي يقعد بالنفس عن الشكران، فتطير لها قلوب فريق منهم، وتتهاوى لها نفوسهم، ويتمنون لأنفسهم مثل ما أوتي قارون، ويحسون أنه أوتي حظاً عظيماً يشتهيه المحرومون، عندها يقول لهم المؤمنون: ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون، وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل يد القدرة لتضع حداً للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها، وتحطم الغرور والكبرياء تحطماً، وفي لمحة خاطفة تبتلعه الأرض وتبتلع داره، ويهوي في بطنها التي علا فيها واستطال جزاءً وفاقاً، وذهب ضعيفاً عاجزاً، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال[1]، والذين كانوا يتمنون منزلة قارون ندموا على ما تمنوا لما رأَوا سوء عاقبته، وامتلكهم العجب من تلك القصة، ومن خفي تصرفات الله تعالى في خلقه، وعلموا وجوب الرضا بما قدر للناس من الرزق، فقال بعضهم لبعض علانية: لولا أن منَّ الله علينا بأن لم نكن من شيعة قارون لخسف بنا كما خسف به، إنه لا يفلح الكافرون المتكبرون الظالمون[2]، إنها السنة الربانية التي تجعل الأرض للعباد الصالحين الذين لا يتكبرون، ولا يستعلون، ولا يفسدون، أما من يتكبر ويستعلي، ويفسد، فيملي الله له ويمده، ويستدرجه، حتى إذا ظن أن الله لن يهلكه أخذه أخذاً شديداً.

ثانياً: الاستدراج بإطالة العمر: قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر :1-2]، لقد شُغل بنو آدم بالتباري بالأولاد والأموال، منفقين أعمارهم في طلب الدنيا، والاستباق إليها، والتهالك عليها، لا همَّ لهم غيرها، حتى آتاهم الموت وهو غافلون لاهون[3]، قال رسول الله ﷺ: "يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ"[4]،

إن الله ﷻ إذا أراد أن يعذب أحداً، أو أن يضله، أكثر ماله وولده وأطال عمره، وأشغله بذلك، وأنساه المعاد، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن

1- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (2712/5-2713).

2- انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (186/20-188).

3- انظر الزمخشري، تفسير الكشاف (791/4-792).

4- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، 724/2: رقم الحديث 1047. الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، 570/4: رقم الحديث 2339.

الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل"[1].

إن العبد إذا أُستدرج بطول العمر سَوَّفَ التوبة وأخرها، وانكب على المعاصي، وانتهك الحرمات، ويُمني نفسه أنه إذا بلغ الستين أو السبعين فسوف يتوب ويتقرب إلى الله عز وجل، ولكنه لا يعلم أن الله لن يمهله، بل سيباغته بالموت، وما كان إمهال الله إليه إلا ليوفيه أعماله في الحياة الدنيا، ولا نصيب له في الآخرة، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:2]، وقال أيضاً: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:55].

إنَّ أهل النار أكثر عويلاً وصياحاً؛ بسبب اعتمادهم وركونهم (سوف)، قال يحيى بن معاذ الرازي[2]: "الدنيا خمرُ الشيطان، مَن سكِر منها لم يُفِق إلا في عسكر الموت، نادمًا مع الخاسرين"[3]، لذلك كانت غاية أمنية الموتى في قبورهم؛ ساعة يستدركون فيها ما فرطوا من توبة وعمل صالح، فهؤلاء لم يوفقوا لتوبة، بل يُسِّر لهم السيئات من أول عمرهم إلى آخره، حتى يموتوا مصرين عليها، وهذا هو حال الأشقياء[4].

أصحاب الحجر (مدائن صالح) واستدراجهم بإطالة العمر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر:80-84]، وأصحاب الحجر هم ثمود قوم صالح عليه السلام، والحجر: واد بين الشام والمدينة المنورة، والحجر في الأصل: كل مكان أحاطت به الحجارة، أو كل مكان محجور أي ممنوع من الناس

1- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. التبصرة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ - 1986م. ص160.

2- يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة. سير أعلام النبلاء (15/13).

3- الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. ط1. دار ابن حزم،1424هـ- 2004م. ص339.

4- انظر الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، (2ج). تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد. ط1. المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، 1422هـ - 2001م. (306/1).

بسبب اختصاص بعضهم به، وما زال هذا المكان يعرف إلى الآن باسم مدائن صالح على الطريق من خيبر إلى تبوك، وهؤلاء القوم كذبوا الرسل مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولهم، ولكن تكذيب رسول واحد هو تكذيب لكل الرسل[1].

قال ابن عباس: القصور لمصيفهم والبيوت في الجبال لمشتاهم، وقيل: نحتوا الجبال لطول أعمارهم، كانت القصور تخرب قبل موتهم، قال وهب[2]: كان الرجل يبني البنيان فتمر عليه مائة سنة فيخرب، ثم يجدده فتمر عليه مائة سنة فيخرب، ثم يجدده فتمر عليه مائة سنة فيخرب، فأضجرهم ذلك، فاتخذوا الجبال بيوتاً[3]، وذكر تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ أي: "من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً، وبطراً، وبثاً"[4]، "وظنوا أن هذه البيوت مانعتهم من العذاب أو الموت أو أن تتهدم عليهم، وركنوا إلى قوتها ووثاقتها"[5]، فذكرهم الله تعالى نعَمَهُ عليهم، من سعة في العيش، إلى قوة في الأجساد، إلى تمكين في الأرض، ولكنهم أبوا إلا الكفر والفساد في الأرض، فكفروا برسولهم صالح عليه السلام، وكذبوه، وطلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من الصخر، فأخذ عليهم المواثيق والعهود أن يؤمنوا إذا فعل، فأعطوه عهودهم ومواثيقهم، فصلى ركعتين ودعا الله عز وجل، فتمخضت الصخرة عن ناقة عشراء، عظيمة، كثيرة الوبر، يتحرك جنينها بين جنبيها، ثم أخذها المخاض فوضعت وليدها، مثلها في العظم، فنهاهم رسولهم أن يمسوها هي ورضيعها بسوء، وأخبرهم أن لها يوماً تشرب من بئرهم ولهم يوم، ولأنها ناقة الله كان لابد أن تأخذ هيكلاً وحجماً يناسبها، وكمية من الطعام والشراب مناسبة؛ لتقيم بها حياتها، وكمية إدرار اللبن مناسبة لشربها وطعامها وحجمها، فمادامت منسوبة لله؛ فلابد أن فيها مواصفات إعجازية، فإذا جاء يومها شربت كل الماء فلا تترك فيه شيئاً، فيتحول الماء في

1- انظر الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (4ج). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م. (8/71-72). البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (639/3).

2- وهب: هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار. الإمام، العلامة، الإخباري، القصصي، مولده في زمن عثمان، سنة أربع وثلاثين، تابعي، ثقة، كان على قضاء صنعاء. انظر سير أعلام النبلاء (544/4-545).

3- انظر الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سبق ذكره، (135/2). ابن حيان، البحر المحيط (94/5).

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (545/4).

5 - الشوكاني، فتح القدير (168/3).

ضرعها إلى لبن، فيشربون حتى يرتوا ويدخروا[1]، فبقوا على هذا الحال ما شاء الله أن يلبثوا، ولكنهم ملوها، وقالوا: الماء أحب إلينا من اللبن، فتآمر القوم واتفقوا على عقرها، قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم، ووجد أنهم راضون بقتلها، حتى طاف على النساء في خدورهن، وعلى الصبيان، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:14]، فأسند ذلك على مجموع القبيلة، فدل على رضا جميعهم بذلك، والله أعلم، فعقرها رجل يدعى قداراً، فهرب فصيلها، فتبعوه إلى جبل، فرغى ثلاثاً، ثم عقروه، فذهبوا إلى صالح عليه السلام، فقالوا له: أين عذاب الله الذي قلت أنه سيحيق بنا إذا عقرنا الناقة، فاستعجلوا ما وعدهم به من ذلك، إذ كانوا مكذبين له في الإخبار بذلك الوعيد وبغيره، ولذلك علقوه بما هم به كافرون، وهو كونه من المرسلين، فقال لهم: انتظروا ثلاثاً، قال تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:65]، فقال تسعة رهط مفسدون في الأرض إن كان صادقاً عجلناه بالموت قبلنا، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته، ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النَّمْلِ:49-52]، فلما عزموا على ذلك وتواطأوا جاؤوا في الليل وكمنوا لصالح عليه السلام ولكن الله عاجلَ هؤلاء التسعة بالعذاب قبل قومهم فرُضخوا بالحجارة، فأصبح قوم ثمود في اليوم الأول وكان يوم خميس ووجوههم مصفرة، كما وعدهم صالح عليه السلام، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة، وفي اليوم الثالث وجوههم مسودة، فلما أصبح يوم الأحد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه، فأشرقت الشمس، فجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت أرواحهم، في ساعة واحدة، صرعى لم يبق منهم أحد لا ذكر ولا أنثى، لا صغير ولا كبير، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (440/3). الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي، (20ج). مصر: مطابع أخبار. (د. ط). (د. ت). (4218/7).

جَٰثِمِينَ ۝٦٧ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴾ [هود:67-68].[1]

ثالثاً: الاستدراج بتأخير العقوبة: إن الله ﷻ لا يعاجل العصاة بالعقوبة، وإنزال العذاب، بل يؤخرهم ويمهلهم، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴾ [الكهف:58]، قال الشيخ الشنقيطي[2]في هذه الآية الكريمة: "أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حليم لا يعجل بالعقوبة، فهو يمهل ولا يهمل"[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [آل عمران:178]، قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: إنما نؤخر آجالهم فنطيلها، فيكتسبون المعاصي، ويزدادون إثماً، فهؤلاء لهم عقوبة مهينة مذلة[4].

لماذا يؤخر الله ﷻ العقوبة؟

1- إن من أسماء الله عز وجل وصفاته أنه الغفور الرحيم، ولكي تتحقق أسماؤه وصفاته العلا؛ فهو لا يعاجل العباد بالعذاب والهلاك والعقوبة، وإنما يؤخرهم لأجل، لعلهم أن يتوبوا ويُسلموا، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ الكهف:58.

2- إن من صفاته تعالى الحُلم، ومن أسمائه الحسنى الحليم، فهو لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل لخلقه من غير إهمال ، ولن تفوته عقوبتهم لو أراد، لأن العجلة من صفات من يخاف الفوت،

---

1 - انظر الطبري، جامع البيان (526/12). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (441/3-442). ابن حيان، البحر المحيط (96/5).

2- الشنقيطي: و محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، والجكني نسبة إلى قبيلته التي تنحدر من جدها الأعلى (جاكن) الذي يرجع أصله إلى حمير، وهو من شنقيط من موريتانيا ، من علماء هذا العصر وجهابذته، كان عالماً في كل فنون العلم، شهد لعلمه المؤالف والمخالف، استقر أمره في المدينة النبوية ، وتوفي في مكة سنة 1393هـ رحمه الله. انظر الأعلام (45/6).

3- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م. (316/3).

4- انظر الطبري، جامع البيان (423/7).

والله ﷻ لا يفوته شيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:61].

3- إن من اسماء الله الحسنى وصفاته العلا، العزيز المنتقم الجبار، فإن من كفر نِعَمَ ربه، وأصر على كفره وعناده ، فإن في تأخير العذاب عنه زيادة في إثمه ، حتى يوافي ربه العزيز المنتقم ، وقد ازداد إثمه ، وأحاط به جرمه ، وانقطع عذره ، وذهبت حجته، قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم:47] [1].

4- إن عذاب الكفار حاصل ولا شك في الآخرة ، وإن التأخير فيه إنما لأنه لم يحن وقته الذي قدَّره الله تعالى عليهم، وهو يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه:129].

5- ليفتح الله للناس أبوباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:104]، فيأخذوا الأجر العظيم من الرب الكريم، فيكونوا خير أمة أخرجت للناس.

6- إن الله ﷻ عندما يمهل للظالمين ولا يعاجلهم بالعقوبة، فإنه يزداد ظلمهم للناس، ويزداد أكل حقوقهم، والتعدي على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم، فيزداد أجره المعتدى عليهم إذا صبروا واحتسبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10].

7- إن الله يؤخر عقوبة المجرمين حتى يشعر الناس بالشر ويعرفوه، فيلجؤوا إلى الله بالتضرع والدعاء ليكفيهم هذا الشر [2].

النمرود وتأخير العقوبة: النمرود: هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، مَلِكُ بابل، مَلَكَ الدنيا كلها مشارقها ومغاربها[1]، وقال مجاهد: "لم يملك الأرض كلها إلا أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود بن كوش، وبختنصر "[2].

1- انظر المنجد، محمد صالح. لماذا لا يعجل الله بهلاك الكافرين؟ ولماذا المسلمون في تأخر؟. 2006/8/4م. موقع الاسلام سؤال وجواب: https://islamqa.info/ar/84091

2- انظر السبيعي، المهند. الحكمة من تأخير عقوبة الظالمين. 2014/6/2م، موقع حيران: http://hayran.info/ar/

"استمر النمرود في مُلكِه أربعمائة سنة، وهو أول جبار تجبر في الأرض"[3]، وكان قد طغَى وبغى، وتجبَّر وعتَا وآثر الحياة الدنيا، ادعى الربوبية، وأمر الناس بالسجود إليه، ولما دعاه نبي الله إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق، فحاجّ إبراهيم عليه السلام في ذلك وادعى لنفسه الإحياء والإماتة، فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام، قال: فخرج نبي الله إبراهيم، يمتار مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت، حتى مر به إبراهيم عليه السلام قال: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:285]، قال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ [البقرة:285]، قال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:285]، أي: سكت، وأقيمت عليه الحجة، فالله لا يهديهم في الحجة عند الخصومة، بما هم عليه من الضلالة[4]، فأمر النمرود أن يحرق إبراهيم في النار، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:97]، فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب، فأشعلوا ناراً، حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس بنيان، فألقوه فيها، فقال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:69]، فأنجاه الله منها ومن كيد النمرود، فتركه النمرود ولم يتعرض له بعد ذلك خوفاً على ملكه وسلطانه، ثم بعث الله إلى الجبار مَلَكَاً: أن آمن بي وأتركك على ملكك، قال: فهل رب غيري؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك، فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه، فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع الجبار جموعه. فأمر الله الملك، ففتح عليهم باباً من البعوض، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، فلم يبق إلا العظام، والملك كما هو لم يصبه من ذلك شيء، فبعث الله عليه

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (686/1). ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد. الكامل في التاريخ، (10ج). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ - 1997م. (104/1).

2- مجاهد، تفسير مجاهد، ص450.

3- الطبري، جامع البيان (431/5).

4- انظر ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (499/2). ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. البداية والنهاية، (14ج). تحقيق: علي شيري. ط1. دار إحياء التراث العربي، 1408هـ - 1988م. (148/1).

بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه وكان جباراً أربعمائة عام، فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه وأماته الله[1].

1- انظر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (11ج). ط2. بيروت: دار التراث، 1387هـ - 1966م. (1/241-243-288). ابن كثير، البداية والنهاية (1/149).

المطلب الخامس

علامات المستدرجين الظالمين

إذا أراد الله أن يضل عبداً استدرجه، بأن أعطاه بعض النعم وبعض المميزات التي يُعرف من خلالها أنه مستدرج، وهذه العلامات قد يعرفها كل ذي لب عاقل، أما المُستدرج الظالم قد تخفى عليه؛ لأن الله قد أعمى عليه بصره وبصيرته. فما هي علامات المستدرجين الظالمين؟؟

أولاً: همهم الدنيا: هذه هي العلامة الأولى للمُستدرج الظالم، حيث تصبح الدنيا وجمع حطامها همه الأول، فيسعى ويكدح ليحصل عليها، ويتهافت على زينتها وزخرفها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [البقرة:212]، يقول الزمخشري[1]: "إن الشيطان زين لهم الدنيا، وحسنها في أعينهم بوساوسه، وحببها إليهم، فلا يريدون غيرها"[2]، قال الحسن: "فوالله لقد رأيناهم صوراً ولا عقولاً، وأجساماً ولا أحلاماً، فراش نار، وذباب طمع، يغدون بدرهمين، ويروحون بدرهمين، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز"[3]. وقال أيضاً رحمه الله: "يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم، ولقد بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا، أنه ينقر الدرهم بظفره، فيخبرك بوزنه، ولا يحسن يصلي"[4]. "وأخذ مسروق بيد ابن أخ له فارتقى به على كناسة بالكوفة، قال: ألا أريك الدنيا؟! هذه الدنيا! أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، ركبوها فأنضوها، سفكُوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطَّعوا فيها أرحامهم"[5].

لقد بلغ من حب أهل الدنيا لها، أنها كانت سبباً من أسباب هلاكهم في الدنيا والآخرة، فقد قال سبحانه وتعالى على لسان موسى عليه السلام وهو يحكي حال فرعون وأتباعه، ﴿وَقَالَ

1- الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد. العلامة، كبير المعتزلة، برع في الآداب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة نسابة، جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. انظر سير أعلام النبلاء (155-151/20).

2- الزمخشري، تفسير الكشاف (254/1).

3- زين العابدين، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. فيض القدير شرح الجامع الصغير، (6ج). ط1. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ- 1935م. (211/3).

4- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير، (4ج). تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ- 2001م. (417/3).

5- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي. قصر الأمل. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط2. بيروت: دار ابن حزم، 1417هـ - 1997م. ص190.

مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]، فلقد أنعم الله ﷻ على قوم فرعون زينة الحياة الدنيا من أنواع الحلي والأموال، والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والخدم، والصحة، وغير ذلك من نعم الدنيا، لكي يشكروا الله ﷻ، ولكنهم استعانوا بهذه النعم على معصية الله، فضلوا وأضلوا(1).

ومن علامات حب الدنيا:

1- بيع الآخرة بالدنيا: وذلك بالاغتراف من المال دون المبالاة بمصدره أكان من حلال أو من حرام، قال رسول الله ﷺ: "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ مِنَ الْمَالِ بِحَلَالٍ، أَوْ بِحَرَامٍ"(2)، وعن أبي موسى الأشعري(3)قال: "إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ، وهما مهلكاكم"(4).

2- كثرة الحديث عنها: من أحب شيئاً أكثر من ذكره، فتراه يكثر الكلام عن التجارة، والربح، والسيارات، والموضة والأزياء، وآخر الصيحات، وأشهى المأكولات، وإضاعة المجالس في هذه الأمور التافهة، كل ذلك يدل على أن القلب مشغول بالدنيا غارق بها ليس للآخرة في قلبه موضع قدم.

3- المغالاة في الاهتمام بترفيه النفس: فهو يسرف على نفسه في الأكل والمشرب والملبس والمسكن والمركب، فيغرق في التنعم والترف المنهي عنه، قال رسول الله ﷺ: "وَيْلٌ لِلْمُكْثِرِينَ، إِلَّا مَنْ قَالَ: بِالْمَالِ هَكَذَا ، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا ، وَهَكَذَا – أَرْبَعٌ ، عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ قُدَّامِهِ، وَمِنْ وَرَائِهِ"(5)(6).

1- انظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000م. ص372.

2- البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، 59/3: رقم الحديث: 2083، 59/3. السجستاني: سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب اجتناب الشبُهات، 221/5: رقم الحديث 3332.

3- أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ، الفقيه، المقرئ. انظر سير أعلم النبلاء (380/2-381).

4- البيهقي، شعب الإيمان (513/12).

5- القزويني: سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد، باب في المكثرين، 1383/2: رقم الحديث: 4129. قال الألباني في صحيح الجامع 7137: حديث صحيح.

6- انظر شهوة حب الدنيا وجمع المال. موقع الكلم الطيب: http://www.kalemtayeb.com/

ثانيا: توافر أصناف النعم المادية: لقد بينا فيما سبق أن الله ينعم على المستدرجين الظالمين من نعمه الكثيرة؛ استدراجاً لهم، وكلما ازدادوا معصية ازداد عطاء الله ﷻ لهم، حتى إذا كثرت عطايا الله لهم، ازدادوا كفراً ومعصية؛ فأخذهم الله بغتة فإذا هم قد استحقوا غضب الله وعقابه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:44]، أي: عندما ذُكِّروا بأوامر الله، أعرضوا عنها وتناسوها، وجعلوها وراء ظهورهم، ففتح الله عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، من الأموال والأولاد والأرزاق والمتاع والسلطان...، متدفقة كالسيول بلا حواجز ولا قيود! وهي مقبلة عليهم بلا عناء، ولا كد، ولا حتى محاولة؛ استدراجاً منه تعالى وإملاءً لهم، عياذاً بالله من مكره، فأخذهم فجأة، فإذا هم آيسون من كل خير[1]، قال الحسن البصري: "من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له. ثم قرأ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، قال الحسن: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا"[2]، وفسر السلف المكر باستدراج الله العبد بالنعم إذا عصى، وإملائه له حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر[3]، وقال قتادة: "بغت القوم أمر الله، ما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون"[4]، قال الحارثي في قوله تعالى: ﴿ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾: "أُمهلوا عشرين سنة"[5].

ثالثاً: تجديد المعاصي: إنها صفة أخرى للمُستدرج الظالم، كلما أنعم الله عليه نعمة، أحدث معصية، قال الزمخشري: "ذلك أن الله يواتر نِعَمهُ عليهم مع انهماكهم في الغيّ، فكلما جدّد عليهم نعمة، ازدادوا بطراً، وجدّدوا معصية، فيتدرّجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أنّ مواترة النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالى"[6]، فهو مصر على المعاصي، مستغرق فيها، مستمر عليها، لا يقلع عنها، ولا يستغفر منها، بل

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (256/3). سيد قطب، في ظلال القرآن (1090/2).

2- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (1291/4)، رقم 7293.

3- القحطاني، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. حاشية كتاب التوحيد. ط3. 1408هـ- 1988م. ص255.

4- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (1291/4)، رقم 7294.

5- المصدر السابق (1292/4)، رقم 7296.

6- الزمخشري، تفسير الكشاف (182/2).

يعزم قلبه عليها، ويفرح بفعلها، ويكثر منها حتى ينبت في قلبه النفاق، وقد يصل الأمر به إلى الوقوع في الكفر والردة، لأن المعاصي إذا استغرق العبد فيها وأصر عليها، تحيط به، وتستولي على قلبه فتطمسه، حتى لا يبقى فيه شيء من إيمان[1]، قال تعالى : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:81]، "وإن العاصي لا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها؛ حتى يرسل الله إليه الشياطين، فتؤزه إليها أزاً"[2].

رابعاً: الفرح والبطر: الفرح هو: "انشراح الصّدر بلذّة عاجلة، وأكثر ما يكون في اللّذّات البدنيّة الدنيوية"[3]، والبَطَر: "دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلّة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها، قال ﷻ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:47]، وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ [القصص:"58] [4]، هاتان هما صفتا المستدرجين الظالمين، الفرح والبطر، فهم غمرتهم الخيرات والأرزاق المتدفقة، واستغرقوا فيها، وبالتنعم بها، والفرح لها، فانحصرت اهتماماتهم في لذائذ المتاع، واستسلموا لشهواتهم، مستغرقين باللهو والترف الذي فاق كل تصور، ففسدت قلوبهم، وأخلاقهم، بل فسدت حياتهم كلها، وخلت دنياهم من ذكر المنعم، ومن خشيته وتقواه، وقادهم ذلك إلى الغرور والكبر والبطر، فتعاملوا مع غيرهم بعجرفة مبذولة، ووحشية بشعة[5]، فقادهم ذلك إلى العلامة الخامسة وهي:

خامساً الظلم والطغيان: قال تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:15]، "إن البطر والمرح والفرح والأشر هو مبدأ الطغيان"[6]، والطغيان هو: تجاوز الحد في الظلم[7]، وقال ابن زيد: "خلاف الله، وركوب معصيته، ذلك الطغيان"[8]، فليس وراء الطغيان إلا الفساد، فالطغيان يفسد الطاغية، ويفسد الذين يقع عليهم الطغيان سواء، كما يفسد العلاقات والارتباطات في كل

1- انظر الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة تحقيق: عبد الرحمن بن صالح. ط1. الرياض: مدار الوطن ، 1424هـ- 2003م. ص203.

2- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، ص56.

3- الراغب الأصفهاني، المفردات، ص128.

4- المرجع السابق، ص62.

5- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (1091/2).

6- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. معارج القدس في مدراج معرفة النفس. ط2. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1396هـ-1975م. ص81.

7-انظر المعجم الوسيط، مادة طغى، (558/2).

8- الطبري، جامع البيان (599/12).

ميادين الحياة، ويحولها عن مسارها النظيف، إلى مسار لا تستقيم معه خلافة الإنسان في الأرض بحال من الأحوال، إنه يجعل الطاغية أسير هواه، لأنه لا يفيء إلى ميزان ثابت، ولا يقف عند حد ظاهر، فيكون هو أول من يفسد، ثم يجعل الجماهير أرقاء أذلاء، فيحطم الموازين والقيم والتصورات المستقيمة[1]، ويسوق الناس نحو مصالحه وشهواته ومآربه، دون خوف أو وجل من الله ﷻ، أو خوف أن يتصدى الناس له، فلقد بلغ من ظلمه وطغيانه أن يقتل كل من يقف في وجهه، أو يحاول أن يردعه عن أفعاله، وما طغى إنسان إلا أنه وجد من يقبل طغيانه ويرضى به، لذلك ازداد جرأةً على الله وقوة وسَحَقاً لعباد الله. عن عبد اللَّه بن مسعود: منهومان لا يشبعان: صاحب علم وصاحب دنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [2].

سادساً: التمكين المؤقت وفقدان الطمأنينة: إنه تمكين قصير الأجل، يظن المُستدرج الظالم أنه في أمان واستقرار، لكنه لا يلبث أن يزول وينتهي، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام:6]، يخبر الله ﷻ عن سنته في الأمم السابقة، كيف أن الله مكنهم في الأرض، وأعطاهم من أسباب القوة والسلطان ما لم يعط غيرهم، وأرسل المطر عليهم متتابعاً، فخصبت أرضهم، ونما زرعهم، وفاضت أرزاقهم، ثم عصوا ربهم، فأخذهم الله بذنوبهم، وجاء بقوم آخرين، فما أهون المكذبين المعرضين، أصحاب القوة والتمكين، ما أهونهم على الله وما أهونهم على هذه الأرض، إنها حقيقة ينساها البشر حين يمكن الله لهم في الأرض، ينسون أن هذا التمكين تم بمشيئة الله ﷻ ليبلوهم فيه، أيقومون بعهد الله وشروطه وميثاقه الذي أخذه عليهم، أم يجعلون من أنفسهم طواغيت ظلمة، ويتصرفون فيما أعطاهم الله تصرف المالك لا المستخلف، فلا يتبين لهم في أول الطريق عواقب الانحراف، ويقع الانحراف والفساد رويداً رويداً وهم ينزلقون ولا يشعرون، حتى يأتي أجل الله ووعده، فتكون النهاية إما بالاستئصال كما حدث لكثير من الأقوام، كقوم عاد، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ

1- انظر الشحود، علي بن نايف. صدق الله العظيم وكذبت النبوءات. ط2. 1433هـ - 2012م. ص5.

2- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (34509/10)، رقم 19417.

قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت:15-16]، فهؤلاء كانوا ذوي أجسام طوال وقوة شديدة، فاغتروا بأجسادهم وقوتهم، قالوا من أشد منا قوة، ونسوا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، فكفروا وتولوا، فأخذهم الله أخذاً أليماً، حيث أرسل اللهُ عليهم ريحاً شديدة عاتية؛ عقاباً من الله على استكبارهم في الأرض بغير الحق، فذاقوا الهوان في الدنيا ولهم في الأخرة عذاب النار[1]، أو يأخذهم بالسنين ونقص بالأنفس والثمرات، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:155]، أو يذيق بعضهم بأس بعض، فيؤذي بعضهم بعضاً، ويدمر بعضهم بعضاً، ولا يعود بعضهم يأمن بعض، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:65]، فتضعف شوكتهم، ويسلط الله عليهم عباداً له طائعين أو عصاة يخضدون شوكتهم، ويقتلعونهم مما مكنوا فيه ثم يستخلف الله عباداً غيرهم يبتليهم كما ابتلى من سبق، وهكذا تمضي سنة الله في أرضه، فالسعيد من وعى وعَقِل هذه السنة، والشقي من غفل وأعرض عنها، ونجد أن ما يخدع الناس هو أن الفاجر الطاغي، أو المستهتر الفاسد، أو الملحد الكافر ممكناً له في الأرض، غير مأخوذ لحلم الله ﷻ عليه، ولكن الناس يستعجلون، إنهم يرون بداية الطريق أو وسطه ولا يرون نهايته[2]، يقول الأستاذ محمد قطب[3]: "إن تمكين الكفار هو تمكين مؤقت مهما طالت مدته، وينتهي دائما بالدمار..."[4]، وهذا التمكين تمكين مادي فقط، أما التمكين الروحي، الذي ينعم به الإنسان بالطمأنينة والهدوء وراحة البال، فهؤلاء ليس لهم سبيل إليه

1- انظر الشوكاني، فتح القدير (586/4).

2- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (1037/2-1038).

3- محمد قطب: محمد قطب شقيق سيد قطب أشعري خطير، وقد ألّف لوزارة المعارف السعودية كتاباً في التوحيد وهذا الكتاب كله علم كلام وفلسفة. الأنصاري، عبد الأول بن حماد. المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله)، (2ج). ط1. (د. ن). (د. ت). (617/2).

4- قطب، محمد. رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، السنن الربانية التي تحكم أوضاع الجاهلية المعاصرة. موقع منبر التوحيد والجهاد: http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_34274.html.

المطلب السادس

نماذج من سنة الله في المستدرجين الظالمين

إن الشيطان يستحيل أن يوسوس للإنسان بالكبائر مباشرة، وإنما يبدأ معه بالتدريج، ولو استمرت خطته أعواماً، فهو يبدأ بالوسوسة، ثم يزين له التوسع في المباحات، ثم التساهل في المتشابهات، ثم الوقوع في محقرات الذنوب، ثم يصل به إلى الحرام، وارتكاب الكبائر، فإذا حدَّث العبد نفسه بالتوبة، وسوس إليه الشيطان بالتسويف، فيتمادى بالمعاصي، حتى تتملكه نفسه وشهواته، فيطمس الله على قلبه، فيقع بالشرك والكفر والعياذ بالله، ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: قصة أصحاب ايله: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: 163-166]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 65-66]، وقال تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء:47]، هم أهل أيله، بين مدين والطور، وكانوا متمسكين بدين التوراة في تحريم العمل يوم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم؛ وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه، وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في يوم السبت تغشاهم، آمنة مطمئنة، فتأتي من هاهنا وهاهنا، فلا يهيجونها ولا يذعرونها، وفي باقي الأيام لا تأتيهم ابتلاءً واختباراً وامتحاناً من الله لهم، فلما رأوا ذلك احتالوا على اصطيادها في يوم السبت، بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص، وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدوها، إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت، علقت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها، فغضب الله عليهم ولعنهم؛ لما احتالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه بالحيل التي هي ظاهرة للناظر، وهي في الباطن مخالفة محضة، فلما فعل ذلك طائفة منهم افترق الذين لم يفعلوا فرقتين ؛ فرقة أنكروا عليهم

صنيعهم هذا واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا، بل أنكروا على الذين نهوا وقالوا: ما فائدة نهيكم لهم والله معذبهم لا محالة، قالوا: لعل هؤلاء يرجعون إلى بارئهم؛ فيتوبون فيتوب الله عليهم، لكن أهل أيله لم يستمعوا لنصيحة إخوانهم بل ازدادوا ظلماً وعتواً وكبراً، وغروا باستدراج الله لهم، فلقد لبثوا فترة طويلة من الزمن وهم على هذا الحال، يحتالون على أوامر الله، لا ينزجرون ولا يتوبون، والحيتان تكثر يوم السبت دون باقي الايام، حتى جاءهم أمر الله وهم غافلون، فنجى الله عباده الذين يأمرون بالمعروف وينهمون عن المنكر، وعذب الظالمين الذين اعتدوا؛ فحول الله ﷻ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير جزاءً وفاقاً بما اقترفت أيديهم(1).

ثانياً: أرئيل شارون رئيس وزراء الكيان الصهيوني(1928م- 2014م):

مولده: ولد في قرية كفار ملال بفلسطين أيام الانتداب البريطاني، في وسط فلسطين، كان اسم عائلته الأصلي شاينرمان، وكان والداه من اليهود الأشكناز، الذين هاجروا من شرقي أوروبا، ولد أبوه في بولندا، بينما ولدت أمه في روسيا، هربوا إلى فلسطين خوفاً من النازية وبطش النازيين.

حياته العسكرية: التحق شارون وهو في الرابعة عشرة من عمره بعصابة الهاغاناه في حرب 1948م، وقد كان عمره عشرين عاماً، قال عن نفسه: عندما بلغت عشرين عاماً كنت قد قتلت عشرين فلسطينياً، ثم انتقل للعمل في الجيش الإسرائيلي عقب تأسيس دولة الكيان الصهيوني، وترقى في المناصب العسكرية والحساسة في الدولة إلى أن أصبح رئيساً للوزراء.

اتهم شارون بالمسؤولية عن جرائم عديدة منها :

1- قتل وتعذيب الأسرى المصريين 1967م(2).

2- اجتياح بيروت ومجازر صبرا وشاتيلا، حيث بلغ عدد القتلى ما يقارب 3500 قتيل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح(3).

4- استفزاز مشاعر المسلمين: ذلك عند اقتحامه للمسجد الأقصى المبارك سنة 2000م، واندلاع انتفاضة الأقصى.

---

1 - انظر ابن كثير، البداية والنهاية (2/583-584).

2- انظر شارون .. سجل دموي من قبيه حتى جنين. وأرييل شارون جنرال المجازر، موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/news/international/

3- انظر صبرا وشاتيلا... ذاكرة الجرح الفلسطيني النازف. موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/news/arabic/. مذبحة صبرا وشاتيلا. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki

5- مذبحة جنين 2002م، حيث استشهد 107 فلسطينياً وجرح 355آخرين[1].

6- عملية السور الواقي: استشهد في هذه العملية حوالي 4412 فلسطيني[2].

7-عمليات اغتيال: قام بالكثير من عمليات الاغتيال ضدَّ أفراد المقاومة الفلسطينية، فلقد أعطى الأوامر باغتيال كلٍ من: صلاح خلف "أبو إياد"، هايل عبد الحميد "أبو الهول"، فخري العمري "أبو محمد" عام 1991م[3]، عاطف عبيات في عام 2001م[4]، وصلاح شحادة في ال 2002م، وأبو علي مصطفى في ال 2004م[5]، والشيخ المجاهد أحمد ياسين في ال 2004م، والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في ال 2004م[6]، وياسر عرفات رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية في ال 2004م[7]، والقائمة تطول من رجال ونساء وشباب وأطفال شعبنا المناضل، مثل: فارس عودة، إيمان حجو، محمد الدرة ....

نهايته: يصنفه الأطباء على أنه مصاب بالحالة الخضرية الدائمة[8]، فقد تعرض لجلطتين عام 2006م، نُقل على أثرها إلى المشفى؛ حيث خضع لعملية جراحية استمرت سبع ساعات لإيقاف النزيف الدماغي، وبعد يومين خضع لعملية أخرى استمرت خمس ساعات لوقف نزيف أخر في دماغه، ثم أدخل أنبوب تغذية في معدته، وبعد فترة قليلة قام الأطباء بإزالة 50 سم من الأمعاء الغليظة التي أصبحت نخرية، أي: ميتة، نتيجة تعفنها، وإصابتها بالغرغرينا، ثم بعد ذلك خضع لإجراء عملية إضافية لتصريف السوائل الزائدة من بطنه، اكتشفت أثناء الفحص، ثم تم نقل شارون إلى مستشفى الرعاية الطويلة الأجل، ثم وجد أن حالته تدهورت، فطرأ تغير في أنسجة

1- انظر مجزرة جنين. موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org. مجزرة جنين 2002م، موقع الثورة الإخباري:-http://thawra.ps/ar/index.php?ajax=preview&id= 152

2- انظر عملية الدرع الواقي. موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/

3- انظر قديح، سمير محمود. عملاء الموساد وراء اغتيال القادة الثلاثة، 2006/1/13م، موقع دنيا الوطن: http://www.alwatanvoice.com/

انظر محاضر التحقيق: تفاصيل اغتيال القادة الثلاثة، 2015/5/2م: موقع كرمالكم: http://www.kermalkom.com/more

4- انظر الشهيد / عاطف عبيات، 2012/1/25م، موقع الملتقى الفتحاوي: http://vipserag.forumr.net/t2230-topic

5- انظر أبو علي مصطفى. ويكيبديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/

6- انظر صلاح شحادة، أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي. الموقع السابق.

7- انظر ياسر عرفات. الموقع السابق.

8 - الحالة الخضرية الدائمة: وهي حالة طبية معروفة، وتختلف عن الغيبوبة؛ كونها قد يوجد فيها اليقظة، والنوم، والاحساس، والمشاعر، والتعبير، وفتح العينين، والكلام غير المفهوم، أو الصراخ.

المخ، ووظائف الكلى، وتراكمت السوائل في جسمه، وتم العثور على عدوى بكتيرية في الدم، وأصابه التهاب رئوي مزدوج، فتم نقله إلى العناية المركزة بسبب عدوى بكتيرية في القلب، وقد قال الأطباء المشرفون على حالته أن القدرات المعرفية تدمرت عبر الزمن، وأنه في حالة غيبوبة مستمرة، وأن دماغه صار في حجم ثمرة الجريب فروت، وأن أجزاء دماغية كثيرة اضمحلت، وصارت مادة خام سائلة، ومات شارون في 2014/1/11م عن عمر خمس وثمانون عاماً[1].

لم تعرف البشرة شبيهاً لهذا الرجل في سفك الدماء إلا فرعون موسى، حتى أن بعض العلماء أطلق عليه فرعون هذا العصر، فقد كان مجرماً، سفاحاً، شرهاً لسفك دماء العرب عامة، والفلسطينيين خاصة، بدون أي وجه حق، فجعله الله عبرة لم أراد أن يعتبر، فقد بقي طوال ثماني سنوات في مرضه يشعر، ويُحس، ويدرك، ويرى، ويتألم، ويصرخ، وتتعفن، وتُستأصل أعضاءه أمام ناظريه، دون أن يُحرك ساكناً، إنها سنة الله في الظالمين المستدرجين، فإن الله يعطيهم ويمد لهم ويستدرجهم، فإذا جاء الوقت المحدد لم يفلتوا من عقابه، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

ثالثاً: عدنان خاشقجي: ولد في 25 يوليو 1935م في مكة، ملياردير سعودي، وتاجر سلاح مشهور بصفقاته ونشاطاته الغامضة، أُطلق عليه رجل المال والسلاح والمخابرات[2].

أعماله: نبعت شهرة عدنان خاشقجي بالأساس من الأدوار التي لعبها؛ حيث عمل: - تاجر ووسيط في صفقات بيع السلاح بين الحكومة السعودية وشركات في الولايات المتحدة، وقد برز في هذا الميدان في سنوات الستينيات والسبعينيات.

- قام بتأسيس شركات في سويسرا وليختنشتاين كواجهة لتغطية عملياته المالية المشبوهة، طور علاقاته مع عدد من الأشخاص المهمين، مثل: عملاء وكالة CIA، ورجل الأعمال الأمريكي بب ريونزو أحد المقربين من الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون.

- "تورط في فضيحة إيران – كونترا"[1]، حيث كان هو الوسيط الأساسي في عملية تبادل الرهائن الأمريكيين بالسلاح، وقد وجد أنه في سلسلة الأحداث تلك قد اقترض بتغطية أمريكية وسعودية المال؛ لشراء السلاح من بنك الاعتماد والتجارة الدولي والذي أفلس في وقت لاحق[2].

1- انظر أرئيل شارون، ويكيبديا الموسوعة الحرة. أرييل شارون، الجزيرة نت. يمهل ولا يهمل شارون يتعفن وهو حي، موقع شبكة فلسطين للحوار:

798248https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=

2- شاهد عدنان خاشقجي رجل المال والسلاح والمخابرات: الإعلامي أحمد المسلماني، برنامج صوت القاهرة، قناة الحياة 2. https://www.youtube.com/watch?v=YsCxXiTayLo

– "كانت له علاقات مع الكيان الصهيوني، حيث كان صديقاً لشمعون بيريز، ولقد اعترف خاشقجي لصحيفة يديعوت أحرونوت بأن (عملية موسى) عام 1985م، التي تهدف إلى تهجير يهود الفلاشا الأثيوبيين إلى إسرائيل، والتي نفّذتها الولايات المتحدة وإسرائيل والسودان عبر الأراضي السودانية؛ تمت في مزرعته الخاصة بكينيا قبل تلك الهجرة بعامين، بحضور كل من جعفر نميري، وشارون، ومسؤول أمني إسرائيلي"[3].

– "فقد اجتمع مع ريتشارد بيرل عام 2003م، قبيل احتلال العراق.

– مول الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون، الذي كان محامياً لِ عدنان قبل أن يكون رئيساً"[4].

– "اتكأ عليه كثير من الزعماء العرب، وزعماء العالم، ورجال الأعمال؛ لتيسير أعمالهم"[5].

أملاكه: قدرت ثروته في الثمانينات من القرن الماضي ب 4 مليار دولار، كان يمتلك:

– طائرة خاصة، وهو من أوائل من امتلك طائرة خاصة في العالم، اشتهت ابنته آيس كريم من فرنسا، وشوكولاتة من جنيف، فأرسل لها طائرته الـ747 من كينيا إلى باريس، ثم إلى جنيف؛ لإحضار الآيس كريم، بكامل حمولة الملاحين، وعادت في نفس اليوم.

– يختاً عابراً للقارات والمحيطات، أطلق عليه اسم ابنته نبيلة، فيه مهبط 4 طائرات، وعدد 610 ملاحاً وخدماً، يقول خاشقجي عن يخته: "أنا صممته وبنيته، استغرق التصميم ٣ سنوات، والبناء ١٨شهراً، كان يحتاج الى ٤٠ بحاراً لتحريكه، وكلفني لإنشائه ٣٥مليون دولار، وكان ذلك

1– إيران– كونترا= التي عقدت بموجبها إدارة الرئيس الأمريكي ريغان اتفاقاً مع إيران لتزويدها بالأسلحة؛ بسبب حاجة إيران الماسة لأنواع متطورة منها أثناء حربها مع العراق، وذلك لقاء إطلاق سراح بعض الأمريكان الذين كانوا محتجزين في لبنان، حيث كان الاتفاق يقضي ببيع إيران عن طريق الملياردير السعودي عدنان خاشقجي ما يقارب 3000صاروخ "تاو" مضادة للدروع، وصواريخ هوك أرض جو مضادة للطائرات، مقابل إخلاء سبيل خمسة من الأمريكان المحتجزين في لبنان.

2– انظر عدنان خاشقجي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

3– بعد إفلاسه صورة قارون العصر .. نهاية الملياردير السعودي عدنان خاشقجي على كرسي متحرك، موقع المشهد اليمني: https://www.google.ps/search?q

4– شاهد المسلماني، أحمد. عدنان خاشقجي رجل المال والسلاح والمخابرات، برنامج صوت القاهرة، قناة الحياة 2.

5– قصة افلاس أشهر ملياردير عربي...هكذا سقط عدنان خاشقجي من القمة إلى الإفلاس. 2015/8/24م. موقع وكالة أوقات الشام الإخبارية: 37052http://www.shaamtimes.net/news-detailz.php?id=

في عام 1997م، وكلفة تشغيله السنوية مع التأمين كانت تبلغ ٣ ملايين" يحتاج إلى 40 بحاراً لتشغيله"[1].

- مزرعة في كينيا مساحتها 100 كيلو × 100 كيلو[2].
- قصر معلق عبارة عن أربعة طوابق في ناطحة سحاب.
- عقارات في أماكن مختلفة من دول العالم.
- أقام وليمة في ماربيا عام 1985م، كلفته مليون دولار.
- نفقاته الشخصية تصل إلى 250 ألف دولار في اليوم[3].

سبب إفلاسه:

يقول عدنان خاشقجي: "خسرت عام ١٩٨٣م نحو مليار و٥٠٠ مليون دولار؛ بسبب غرق مناجم النحاس في مدينة سولت لابلاسيني، فتراجعت ثروتي"[4].

وقيل: إن انهيار سوق العقارات كان هو السبب الرئيسي في إفلاس خاشقجي[5].

وقيل: "كان لا يؤدي زكاة ماله، ويستنكف أن يساعد أي مديون أو مريض أو مسجون، وكان يردد: "أنا لست وكيل آدم على ذريته"، دعا عليه رجل في جوف الليل؛ كان محتاجاً لمبلغ من المال، طرده عدنان من قصره شر طرده، فقال المحتاج: أسأل الله العظيم أن لا يميتني حتى أراك تمد يدك للناس"[6]، فانتهى به الأمر على كرسي متحرك، لا يملك ثمن تذكرة الطيران التي يعود بها إلى موطنه، حتى تبرع أحد الأثرياء له بها[7].

إنها النعمة، إذا شُكرت النعمة عاش الإنسان سعيداً، مطمئناً، فرحاً، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:7]، وإنه المال، فإذا أُدي حق الله فيه نما، وكثُر، قال

1- حوار مع عدنان خاشقجي. جريدة الأنباء. 2008/6/29م، موقع http://www.alanba.com.kw/

2- انظر قصة لها مغزى ...عدنان خاشقجي من ملياردير الى مفلس. موقع البينة الجديدة: 27536http://albayyna-new.com/?p=

3- انظر عدنان الخاشقجي ومحاولة البزوغ من رماد الاحتراق .. ترجمة أحمد المكاشفي، نقلاً عن: مجلة نيويورك تايمز: مايكل سلاكمان، موقع سودارس: 8363http://www.sudaress.com/sudanile/

4- حوار مع عدنان خاشقجي. جريدة الأنباء، 2008/6/29م.

5- انظر عدنان الخاشقجي ومحاولة البزوغ من رماد الاحتراق.

6- عدنان خاشقجي، موقع أوراق الورد: http://awraq-79.blogspot.com/2015/08/blog-post_42.html

7- انظر قصة افلاس أشهر ملياردير عربي .. هكذا سقط عدنان خاشقجي من القمة إلى الإفلاس، 2015/8/24م، موقع أخر الأخبار.

تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:274]، والذي لا يشكر النعمة، ولا يؤدي حق الله فيه، فما أسرع ما يذهب، خاشقجي أنعم الله عليه من النعم فكان مثل قارون، ولكنه لم يتق الله فيما أنعم عليه، وكان المال استدراجاً له، فخسره في ليلة وضحاها، وتلك الأيام نداولها بين الناس، فهل من معتبر؟؟..

المبحث الثالث

السنن الإلهية في عاقبة الظالمين

المطلب الأول

صور الظلم

إنَّ للظلم و صوراً متعددة، تتعدد وتتنوع بحسب الزمان والمكان، ونفسية الظالم وعناده وتكبُّره، وهيمنته الاقتصادية وقوَّته العسكرية، وكذلك بحسب تقدُّم الزمن وتطور أساليب الظلم والطغيان... لذا فإن صور الظلم تختلف من ظالم لآخر؛ لكن يجمعهم: انتكاسة الفكر، وانحراف الأخلاق، وانعدام الرحمة، وفَقْد الإحساس، والإمعان في الظلم والتعذيب. مع ملاحظة اختلافهم في دقة تطبيق هذه الصور ومدى تنفيذها، وشمول وعموم من تُمارَس عليهم[1]، فمن هذه الصور:

أولاً: الظلم والتجبُّر والاستبداد: يُعَد ظُلم الناس، والتصرف المطلق في شؤون الغير بلا خشية حساب ولا عقاب، واستعبادهم، والتسلط عليهم[2] من أبرز صور الظلم قديماً وحديثاً، فكم من شعوب عانت من ظلم وجور وتجبر الظالمين، قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر:10-13]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء:130]، فالظالم إنسانٌ مستعدٌّ بالطّبع للشّر، مستبد، يتحكَّم في شؤون النّاس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنَّه الغاصب المتعدِّي فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من النَّاس يسدُّها عن النّطق بالحقّ، والتّداعي لمطالبته، فهو عدو الحق، يودُّ أنْ تكون رعيته كالغنم درّاً وطاعةً، وكالكلاب تذلُّلاً وتملُّقاً[3].

إن المستبد الظالم قد يكونون أفراداً أو جماعة أو حكومة، وأشد مراتب الظلم والاستبداد التي يُتعوذ بها هي حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية[4]، إن المستبدين الظالمين المتجبرين يسترهبون النّاس بالتّعالي الشّخصي والتّشامخ الحسّي، ويُذلِّلونهم بالقهر والقوّة وسلب الأموال حتَّى يجعلوهم خاضعين لهم، عاملين لأجلهم،

1- انظر خالد رمضان أحمد، الطغاة والطغيان في القرآن الكريم.

2- انظر الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. حلب: المطبعة العصرية. (د. ط). (د. ت). ص17.

3- انظر المرجع السابق، ص22.

4- انظر المرجع نفسه، ص18-19.

يتمتَّعون بهم كأنَّهم نوع من الأنعام التي يشربون ألبانها، ويأكلون لحومها، ويركبون ظهورها، وبها يتفاخرون[1].

إن الناظر في واقع الوطن العربي يجد أنه من أقصى شرقه إلى أقصى غربه، يعاني من تعمق ظاهرة الاستبداد على كافة مناحي الحياة فيه؛ بسبب أن الأنظمة المستبدة وصلت إلى الحكم والسلطة بقوة السلاح أو المال، وتسلطت على الشعوب باللاشرعية، وحافظت على طغيانها ووجودها بالعنف والقمع والاستبداد، فالحاكم وصل إلى الحكم بطريق غير شرعي، ولكي يحافظ على هذا المنصب فإنه يقمع الحريات، ويصادرها، ويُضيق الخناق على الشعب برفع الأسعار، وتقليل الرواتب، فلا يكون همَّ الفرد إلا تأمين لقمة العيش، والمستوى الأدنى من الحياة الكريمة، ويُشغلهم بتوافه الأمور، ويفتعل حروباً ليظن الشعب دوماً أنه بحاجة إلى هذا القائد وهذا الحاكم، فيتخلص من معارضيه، وأصحاب الرأي والكفاءات، ويزيد من تسلحه وقوته، فينهب خزينة الدولة، ويعيث في البلاد فساداً، فتتحول الدولة كلها بإرادتها إلى دولة تقبل الاستبداد والظلم[2]، فإذا رفضت وعارضت وأرادت أن تَنْتَفِض أُستخدم معها الصورة الثانية من صور الظلم وهي:

ثانياً: القتل والتعذيب والتنكيل: الظالم شخص لا يقارع بالحجة، ولا يستمع للبرهان القاطع، ولا يملك أي شيء من الإنسانية إذا تعلق الأمر بحكمه وسلطانه، فهو دائماً يلجأ إلى التعذيب والتنكيل بمعارضيه، فيذيقهم ألواناً من العذاب، حتى ولو كانت منافية للأخلاق والمنطق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر:25، فهؤلاء لم ينازعوا فرعون في ملكه وسلطانه، ولم يطالبوا بالخروج عليه، إنما عرفوا الحق وآمنوا به، وأظهروه[3]، فما كان من فرعون الطاغية إلا أن قال: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:71]، فكان فرعون أول من قطَّع الأيدي والأرجل من خلاف، وأول من صلب، وجعلها سنة لمن بعده[4]، ولم يكتفِ

1- انظر المرجع نفسه، ص28.

2- انظر عبد الرحمن، أسعد. الاستبداد وحكم التغلب في أنظمة الحكم العربية المعاصرة، موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/

3- انظر الطغيان في الأرض: مقال ل: إبراهيم بن صالح العجيلان، 2011/1/26م، موقع الألوكة: http://www.alukah.net/sharia/0/29296/

4- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (459/3).

بذلك بل قتل الأبناء واستحيا النساء، وقهر وأذل بني إسرائيل، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:127].

إنه القتل والتعذيب قديماً وحديثاً، لا تختلف صورة اليوم عن صورة الماضي، ولا ظلم فرعون عن ظلم الرؤساء والحكام في وقتنا الحاضر، إنها النفوس المريضة التي مُلئت كِبراً وعتواً، خائفة من كل شيء يهدد كرسيها التي تعتليه، فالسجون مُلئت بالمظلومين الذين ينادون بالحرية، والدماء سُفكت وأُريقت لأتفه الأسباب، وما سجن أبو غريب ومعسكر غوانتانامو إلا شواهد على الظلم الغربي، وما قصص التعذيب والتنكيل في السجون العربية إلا شاهد آخر على صورة أخرى من صور الظلم العربي، لقد اخترعوا أساليب وآلات للتعذيب لم تكن تعرفها البشرية من قبل، وامتهنوا كرامة الإنسان بشكل لم تعرفه الإنسانية في سابق عهدها، فصاروا رواد المجازر والمذابح التي يندى لها جبين الإنسانية، ثم خرج علينا الطغاة ينادون بالحرية، والديمقراطية، وحب الوطن، وحقوق الإنسان، فدغدغوا مشاعر السذج من البشر، فانهالوا تصفيقاً وامتناناً لهم، بأنهم هم المنقذون لهم من جحيم العبودية، فازدادوا ذلاً وقهراً، وازداد السلاطين والأمراء والحكام طغياناً وفجوراً.

ثالثاً: فرض الرأي ومصادرة الحقوق والحريات:

إن أول من ابتدع هذه البدعة السيئة فرعون عليه من الله ما يستحق؛ عندما خاطب الملأ من قومه فقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:29]، فلقد لبس لباس الناصح الأمين المخلص لقومه، المشفق عليهم، الساعي لمصلحتهم، والذي يريد هدايتهم، فهو لا يرى لهم سوى رأيه الذي سيأخذهم إلى الخلاص وطريق الرشاد، إن هذه المقولة تنضح بالفكر القمعي، والتسلط ولاستبداد، والتي تنبعث منها رائحة الأنا الغاشمة، والدكتاتورية البائسة، ويحفها الكبر والغرور، ويلفها العنف والنفور، هي سياسة يتبناها دوماً الظلمة، ويمتطي صهوتها الجبابرة العتاه، من أجل دغدغة مشاعر الجماهير، بصورة عجيبة، ليجتمعوا حولهم، فلا يخرجون من تحت قبضة يدهم، مخفية الهدف الحقيقي من وراء ذلك وهو: أنها تسعى لمنع كل فكر وإبداع، يخالف ما هي عليه من الباطل، فلا صرير فيها لقلم حر، ولا لصوت يحمل الحق، ولا لهتاف نزيه، بل للأقلام الهابطة، والأصوات الفاجرة، والقيم المتدنية، وكل ما من شأنه أن يلهج بذكرها، ويسبح بحمدها، ليلاً ونهاراً، وسراً وعلانيةً[1].

1- انظر وقفات مع سياسة ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، مقال ل: بكر البعداني، 2014/9/8م، موقع الألوكة.

ولا يختلف ظلمة الحاضر عن فرعون، فقد اعتمد ظلمة هذا العصر من الحكام العرب مجموعة من الشعارات والمبادئ والأفكار التي تعمل على تكريس حكمهم وسلطانهم مثل: الدفاع عن الأمة والوطن، ومصالح الطبقات الكادحة، وتحقيق الوحدة الوطنية، ودرء المخاطر عن الأمة، ومقاومة الاستعمار، ومقارعة التآمر الخارجي، وهي القضايا التي تأخذ وقعاً سياسياً وأخلاقياً في نفوس الجماهير، وشكلت هذه الشعارات الركائز الأساسية للظلم والطغيان والاستبداد السياسي في العالم العربي، كما شكلت منطلق الممارسات التسلطية القائمة على قهر الشعوب واستلابها، ويبدأ الاستبداد السياسي بتربية أبناء الشعب على شعارات وأفكار يدور قسم كبير منها حول شخص الظالم مثل: القائد الرمز، القائد الخالد، القائد الأبدي، القائد المجدد، ظل الله في الأرض، وتأخذ هذه الشعارات صورة شعارات وطنية وقومية مثل: شعارات الوحدة العربية، والحرية، والديمقراطية، وشعارات ضد الصهيونية، وشعارات المعركة من أجل المصير، وشكلت هذه الشعارات طاقة فكرية هائلة وظفت في خداع الجماهير العربية وإخضاعها واستلابها لإرادة الظلمة وهيمنتهم. ولم يكتف الأمر عند ذلك بل وصل الأمر إلى تمجيد الظالم بصناعة بارعة من الأشكال والصور والتماثيل التي ترمز إلى القائد في كل الميادين في المكاتب الرسمية، في المنازل، على الجدران، في المظاهرات، حتى أصبحت الصورة جزءاً أساسياً في دوائر الدولة جميعها، حتى أضفوا عليها هالة من القداسة والتعظيم على شخص الزعيم الظالم الطاغية[1].

إن للظلم نهاية وخيمة، فبقدر ما يكون هناك من قمع، وظلم، وتكميم للأفواه، وتعذيب، وقتل، وتنكيل، بقدر ما تكون نهاية الظالم شنيعة، وبشعة، فكم وكم من ظالم تكبر وتجبر وأذاق شعبه الويلات، فعندما سنحت الفرصة انقلبوا عليه، فمزقوه تمزيقاً، ولكن هل من معتبر؟؟؟

---

1 – انظر وطفة، علي أسعد. التربية على الاستبداد في العالم العربي: هل يأتي زمن التربية على المواطنة؟ مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، 2011/9/10م، http://www.mokarabat.com/s8533.htm

المطلب الثاني

عاقبة الظالمين في القرآن الكريم

لقد أخبر الله ﷻ عن عقاب الظالمين في القرآن الكريم في عدة مواضع:

الأول: عدم محبة الله لهم: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران:57]،﴿ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ "هم الّذين يبدؤون بالظلم"(1)، فالذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسيئون إليهم، لا يحبهم الله، والتعبير بأن ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ "يثير في نفس المؤمن بغض الظلم، وبغض الظالمين"(2).

الثاني: عدم نصرة الله لهم: قد يظن الظالم أن الله ناصره ومؤيده، ومذلل له أموره كلها، ولكنه لا يعلم إنما هذا استدراج له، فإذا هو مخذول مهان لا ناصر له ولا مُعين، قال تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى:8].

الثالث: عدم القرب منهم والركون إليهم: إن من عقوبة الله لهم، أن الله يُبعد عنهم الأتقياء الصالحين، فلا يركن إليهم إلا كل شقي، مُبعد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:68]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود:113].

الرابع: حرمانهم من هداية الله: الظالم محروم من معرفة الله، محروم من السعادة والطمأنينة، وراحة البال، لأن كل هذه الأمور لا تُنال إلا إذا سلك الإنسان طريق الهداية، والظالم محروم منها، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:50].

الخامس: عدم الفلاح في الدنيا والآخرة: قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام:135].

1- الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص967.

2- سيد قطب، في ظلال القرآن (482/1).

السادس: الوعيد بسوء العاقبة: إن الله ﷻ توعد الظالمين وأنذرهم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:227]، وقال ﷻ: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الزمر:51، ومن الأمور التي توعدهم بها في الدنيا:

1- حلول الخراب ببيوتهم: لقد توعد الله الظالمين بخراب بيوتهم، وقصورهم، وقُراهم، ومدنهم، وبساتينهم، وزروعهم، وتجارتهم، إلى غير ذلك، وما ذلك إلا بسبب ظلمهم، وأكل حقوق غيرهم، قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ ﴾ [الحج:45].

2- العذاب الأليم في الدنيا: إن الظالم يعيش في خوف دائم، وقلق، واضطراب، وعدم استقرار، خوفاً من أن يأتي من ينتقم منه ممن ظلمهم، وهذا عذاب لا يفوقه عذاب، قال ﷻ: **﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [الشورى:42]، بالإضافة إلى العذاب يوم القيامة.

3- هلاكهم في الدنيا: لقد توعد الله الظالمين، وبشرهم بهلاكهم، وموتهم شر ميتة، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ [العنكبوت:31].

4- تضربهم الملائكة عند خروج أرواحهم من أجسادهم: إن الظالم إذا احتضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصى، وتأبى الخروج، لأنها تعرف إلى أين ستذهب، فتضربهم الملائكة، حتى تخرج أرواحهم رغماً عنهم[1]، قال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣ ﴾ [الأنعام:93].

أما عقابهم في الآخرة:

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (302/3)، بتصرف.

ا- **أعد الله لهم نار جهنم:** قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:29]، إن الله سبحانه وتعالى سيجعل للظالمين حائطاً من نار تحيط بهم، فيستغيثون من حرها، فيطلبون الماء، فيقرب إليهم ماء أسود منتن غليظ حار، فيكرهونه، فإذا قُرِّب منهم شوى وجوهم، ووقعت فروات رؤوسهم فيه، فإذا شربوا منه قطّع أمعاءهم، فبئس المنزل والمكان والموضع لهؤلاء الظالمين[1].

2- **ندامتهم يوم القيامة:** قال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ الأنبياء:97، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى:44]، إذا جاء يوم القيامة اعترف الظالمون بظلمهم، لا بغفلتهم، بل ظلموا أنفسهم إذ كذبوا بآيات الله، وأعرضوا عن أوامر الرسل[2]، فلما عاينوا عذاب الله قالوا هل من عودة ورجوع إلى الدنيا[3].

3- **عليهم لعنة الله:** قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف:44، إذا دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، أمر الله ﷻ ملكاً أن ينادي، أن لعنة الله على الظالمين، فيسمعه كل أهل الجنة وكل أهل النار[4]؛ تحقيقاً لوعيد الله في الظالمين.

4- **حسرتهم بسبب ظلمهم:** قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ الزمر:39، إن هؤلاء الظالمين ظالمون لأنفسهم بشركهم، ولو استطاعوا أن يفتدوا أنفسهم من عذاب الله بما في الأرض جميعاً لفعلوا، ولكن هيهات هيهات، بل إن الله ﷻ لم يفصح عن ما ادخره لهم من

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (155/5-156).
2- انظر الشوكاني، فتح القدير (504/3).
3- انظر الطبري، جامع البيان (551/21).
4- انظر الزمخشري، تفسير الكشاف (106/2).

عذاب هائل مخيف، فهم عملوا أعمالاً ظنوا أن الله سيثيبهم عليها، ولكنها لم تنفعهم مع شركهم، فنزل بهم عقاب الله الشديد؛ نتيجة استهزاءهم برسل الله، واستهزاءهم بوعيد الله[1] [2].

1- انظر السمرقندي، بحر العلوم (190/3). سيد قطب، في ظلال القرآن (3056/5).

2- وصف الظالمين في القرآن في ستة عشر وصفاً. بواسطة سراة الأزد، 2011/8/4م، مدونة أبوسعيد الأزدي، موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح: http://defense-arab.com/vb/threads/44059/

المطلب الثالث

أنواع السنن الإلهية في عاقبة الظالمين

من سنة الله تعالى أنه لا يأخذ الظالمين بغتة، أو ينزل عليهم العذاب مباشرة، لا بل جرت سنته ﷻ أن يسلك معهم عدة أمور قبل أن ينزل بهم العذاب علَّهم يعودون ويرجعون إليه، ومن ذلك:

أولا: الإنذار والتذكير: إن من تمام عدل الله ﷻ أنه لا يعذب أحداً من العالمين إلا بعد أن يذكرهم وينذرهم، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء:15]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء:208–209]، فإن رأى الله من عباده انحرافاً وإعراضاً ونسياناً عما أنزل إليهم، نجى الله الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأخذ الذين أفسدوا وظلموا العذاب الشديد، بظلمهم وطغيانهم وفسقهم[1]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف:165. فمن سنة الله في عباده أن أرسل إلى أهل نينوى رسولاً من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله عز وجل فكذبوه، وأصروا على كفرهم وعنادهم، فلما طال ذلك عليه، خرج من بين أظهرهم، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث، فلما خرج من بين ظهرانيهم، وتحققوا نزول العذاب بهم، قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم، فلبسوا المسوح، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجوا إلى الله عز وجل، وصرخوا، وتضرعوا إليه، وتمسكنوا لديه، وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والأمهات، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي، فرغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، وكانت ساعة عظيمة هائلة؛ فكشف الله العظيم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس:98]، قوم يونس عليه السلام نفع معهم الإنذار والتذكير، فتابوا إلى ربهم وانابوا إليه، فرفع عنهم العذاب، وهذا من كمال عدله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الاستدراج: إنه إمهال مؤقت، وتأجيل للعذاب لا أكثر، فالله ﷻ يفتح لهم أبواب الخيرات والنعم حتى لا يترك شيئاً، يعطيهم الأموال، والأولاد، والسلطان، والرزق الوفير، من غير كد ولا تعب، فيفرحون، ويتباهون، ويتكبرون، وينغمسون في المعاصي أكثر، فإذا حان الوقت المعلوم،

1- انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار (318/9).

وهم معرضون، أخذناهم على غرة وهم في سهوة وسكرة، فإذا هم حائرون منقطعو الرجاء في النجاة، عاجزون عن التفكير في أي اتجاه، وإذا هم مهلكون بجملتهم حتى آخر واحد منهم[1]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:44. وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ المؤمنون:55-56، هم لا يعلمون أن ذلك إملاء من الله واستدراج. فها هو **برصيصا**، راهب، عابد، زاهد، تقي، عبدالله ستين سنة، وإن الشيطان أراد أن يغويه ويضله فأعياه ذلك؛ فعمد إلى امرأة فأصابها بمس وجنون، وكان لها إخوة أربع، فأتى الشيطان إخوتها وقال لهم: عليكم بهذا القس فيداويها، فجاؤوا بها إليه فداواها وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته، فأتاها فحملت منه، فعمد إليها فقتلها، فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك قالوا: لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا فوالله ما هذا إلا لشيء، فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على هذا الراهب، فأتوه، فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فأتاه الشيطان، فقال: إني أنا أوقعتك في هذا، ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه، وأُخذ فقتل[2]. فإن الشيطان استدرجه حتى أوقعه في الهلاك والعذاب.

ثالثاً: الأخذ بالبأساء والضراء: إن الله ﷻ ينوع لعباده أسباب الهداية، فتارة يلفت أنظارهم إلى هلاك من حولهم من المدن والقرى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأحقاف:27، وتارة يأخذهم بالمحن والشدائد، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام42-43]، وتارة بالفقر والجوع وقلة الثمر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣٠﴾ [الأعراف:130]، وتارة يرسل عليهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ المؤمنون:76، إن الظالم لنفسه ولغيره فرعون لما كذب موسى عليه السلام، أرسل الله إليه وإلى قومه آيات بينات لعله يتذكر أو ينيب،

1- انظر سيد قطب، في ظلال القرآن (1090/2).

2- انظر ابن كثير، البداية والنهاية (162/2-163).

فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع، فغرق كل شيء لهم. فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرنا أنا لم نمطر. فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم،، فسألوا موسى أن يكشف ما بهم ويؤمنوا به، فدعا الله فكشفه، فلم يؤمنوا وقالوا: قد بقي من زروعنا بقية. فأرسل الله عليهم القمل، فأهلك الزروع والنبات أجمع، ولم يقدروا أن يحترزوا منه، فسألوا موسى أن يكشف عنهم، ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، وكانت تسقط في قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم، فسألوا موسى أن يكشف عنهم ليؤمنوا به ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه الفرعونيين دماً، وكان الفرعوني والإسرائيلي يستقيان من ماء واحد، فيأخذ الإسرائيلي ماء ويأخذ الفرعوني دماً، وكان الإسرائيلي يأخذ الماء من فمه فيمجه في فم الفرعوني فيصير دماً، فبقي ذلك سبعة أيام، فسألوا موسى أن يكشف عنهم ليؤمنوا، ففعل فلم يؤمنوا. فلما يئس من إيمانهم ومن إيمان فرعون دعا موسى وأمن هارون، **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** [يونس:88][1].

رابعاً: العذاب الشديد: لقد جرت سنته تعالى أنه إذا أبى الظالمون إلا الكفر والظلم والطغيان، نزل بهم العذاب، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الأنعام:47]، وقال أيضاً: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ الأعراف:165. لذلك حذر رسول الله ﷺ من الظلم فقال: "إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[2]، ومن صور هذا العذاب: الطوفان والغرق والريح والحاصب والجوع والعطش ونقص الأرزاق وتسليط الأعداء والذل وكثرة القتل والحروب...الخ. ها هو فرعون الذي لم تعرف البشرية ظالماً طاغياً مستكبراً كفرعون، الذي أدعى لنفسه الربوبية، ونازع الله ﷻ في ملكه، فقال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات: 24، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص: 38، وقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29، فرعون وجد في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان مما جعله يمرر مزاعمه ودعاويه الكاذبة، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ

1- انظر الكامل في التاريخ (1/160-162).

2- تم تخريجه ص 166.

كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف:54][1]، ولقد ساعده ذلك على استعباد بني إسرائيل، فكان يسومهم سوء العذاب، يقتل أبناءهم، ويستحي نساءهم، وذلك عندما سمع بني إسرائيل يتحدثون عن نبوءة يوسف عليه السلام، والتي تقول بهلاك فرعون مصر على يد غلام من بني إسرائيل، فما ترك طفلاً إلا وذبحه، حتى إذا طال بهم العذاب، بعث الله موسى عليه السلام نبياً ورسولاً، فدعى فرعون إلى توحيد الله عز وجل، وإخلاص العبادة له، والإيمان باليوم الآخر، فما كان من فرعون إلا أن كذب واستكبر وأدبر، ووعد وتوعد، وأعلنها حرب إبادة واستئصال لكل من آمن بموسى عليه السلام واتبعه، فجيش الجيوش، وجمع وزراءه ومستشاريه، وانطلق بهم في رحلة الهلاك والعذاب، فلحق بموسى ومن آمن معه، حتى وصل إلى شاطئ البحر، فشق الله البحر لموسى عليه السلام ومن معه فنجوا جميعاً، وأغرق الله فرعون وجنوده، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف:55]، فكانت نهايته وخيمة، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات:25]، واقتضت حكمته أن يُبقي الله جثته إلى يومنا هذا عبرة وموعظة لكل من تسول له نفسه بالظلم والطغيان، قال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس:92].

خامساً: الاستبدال: ومن سنته تعالى الكونية أنه إذا أخذ الناس بالعذاب فلم يتوبوا ويرجعوا إلى الله، استبدل بهم قوماً آخرين صالحين، يقيمون شرع الله وحدوده، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ الأنعام:6، لما جاء رسول الله ﷺ برسالة الإسلام دعا قريش للإيمان به وبرسالته، إلا أنهم كذبوه واتهموه بالجنون والسحر والشعوذة والكهانة، فلما تولوا وأعرضوا هددهم الله وتوعدهم ووعظهم بأن يستبدلهم كما استبدل غيرهم من الأمم السابقة كقوم نوح وعاد وثمود، فاستبدل الله كفار قريش بالأنصار الذين نصروا الله ورسوله، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم[2]، قال تعالى: **﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** [محمد:38]، والاستبدال ليس خاصاً بالكافرين، بل إذا أعرض المسلمون عن دينهم، استبدل الله بهم غيرهم، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن

1- انظر الرقب، صالح حسين. لقد هوى كبير الفراعنة فسنة الله أن يلحق به الفراعنة الصغار. 2011/1/31م، موقع الدكتور صالح الرقب:
http://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&nid=53

2 - انظر الشوكاني، فتح القدير (51/5). الرازي، مفاتيح الغيب (64/28).

﴿يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:54][1].

سادساً: الاستئصال والإبادة: إن عذاب الاستئصال منوط بأمرين اثنين الأول: "أن عند الله حد من الكفر من بلغه عذبه ومن لم يبلغه لم يعذبه . والثاني : أن الله لا يعذب قوماً حتى يعلم أن أحداً منهم لا يؤمن ، فأما إذا حصل الشرطان وهو أن يبلغوا ذلك الحد من الكفر وعلم الله أن أحدا منهم لا يؤمن ، فحينئذ يأمر الأنبياء فيدعون على أممهم فيستجيب الله دعاءهم فيعذبهم بعذاب الاستئصال وهو المراد من قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف:110]، أي من إجابة القوم، وقوله لنوح: ﴿إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ هود:36"[2]، فينجي الله ﷻ الذين آمنوا ويعذب الكافرين عذاب إبادة.

وصور الاستئصال والإبادة متنوعة وهي:

1- **الغرق والطوفان:** وهو أول عذاب استئصال عذب الله به الكافرين من قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:14]. وقال ﷻ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح:25]، ثم عذب الله ﷻ بعد ذلك فرعون وجنوده، قال تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الاعراف:136]، كما عذب بالسيل والطوفان مملكة سبأ، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:16]، وهدد الله الأمنين من مكره بعذاب الغرق، قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء:69].

2- الريح: ولقد عذب الله ﷻ به قوم عاد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:6-7]. قالت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: "كانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَى النَّاسَ، إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ: فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ

1- انظر المنصوري، عبد اللطيف. السنن الإلهية في هلاك الأمم الظالمة. موقع عبد اللطيف المنصوري: http://elmansouri60.blogspot.com/2014/04/blog-post_1848.html

2- الرازي، مفاتيح الغيب (232/23).

فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ الأحقاف: 24"[1].

3- الصيحة: قال القرطبي: "صيح بهم فماتوا، وقيل: صاح بهم جبريل، وقيل صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة"[2]، وقال أيضًا: "كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم"[3]. ولقد عذب الله ﷻ بها قوم صالح، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هود:67، وهدد الله ﷻ المشركين بمثل هذا العذاب فقال: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص:15].

4- الحاصب: هي "الحجارة"، وقيل: "هي الحصباء من الريح"[4]، ولقد عذب الله عز وجل قوم لوط بالحاصب، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ القمر:34، وقال أيضاً: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ هود:82-83، قال قتادة: إن الحجارة لظالمي هذه الأمة، والله ما أجار الله منها ظالماً بعد[5]. كما أن الله ﷻ عذب به أصحاب الفيل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ الفيل:1-5، ولقد هدد الله كفار قريش بالحاصب فقال عز من قائل: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ الملك:17.

5- الخسف: هو ذهاب المكان ومن عليه وغيبوبته في باطن الأرض، قال القرطبي: "الخسف هو: الذهاب في الأرض"[6]. ولقد خسف الله بقارون الأرض لما طغى وظلم وأفسد، قال تعالى في كتابه العزيز: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ القصص:81، وسيصيب هذا العذاب هذه الأمة في آخر الزمان، قال رسول

1- مسلم، صحيح مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، 616/2: رقم الحديث 899. أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، 432/40: رقم الحديث 24369.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (61/9).

3- المرجع السابق (242/7).

4 - ابن حجر، فتح الباري، (391/8). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (143/17).

5- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(83/9).

6- المرجع السابق، (318/13).

الله ﷺ: " يكون في آخر أمتي خسف، ومسخ، وقذف"[1]. ولقد حذر الله العصاة هذا النوع من العذاب، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:45].

6- **المسخ:** عرفه المباركفوري بأنه: "التغيير في الهيئة (الصورة) الحسية أو المعنوية أو كلاهما معاً"[2]. ولقد عذب الله به الذين اعتدوا في السبت من بني إسرائيل، قال تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:65]، ولقد أخبر النبي ﷺ أنه سيكون في هذه الأمة وأن سبب عذابهم بالمسخ لتكذيبهم بالقدر، قال رسول الله ﷺ: "يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَوْ فِي أُمَّتِي خَسْفٌ أَوْ مَسْخٌ أَوْ قَذْفٌ فِي أَهْلِ القَدَرِ"[3]. وقال رسول الله ﷺ أيضاً: "فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: "إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ"[4]

1- القزويني، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الخسوف، 1350/2:رقم الحديث 4060. الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب في الخسف، 479/4: رقم الحديث 2185. قال الألباني في صحيح الجامع 4257: حديث صحيح.

2- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (10ج). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ط). (د. ت). (151/3).

3- الترمذي، سنن الترمذي، أبواب القدر، باب، 456/4: رقم الحديث 2152. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الالباني في مشاة المصابيح 116: حديث حسن.

4- الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، 494/4: رقم الحديث 2212. قال الألباني في السلسلة الصحيحة 1787: حديث صحيح.

المطلب الرابع

أسباب هلاك الأمم الظالمة

كم من أمم ودول حدثنا عنها القرآن والتاريخ كانت آمنة مطمئنة تأتيها الثمرات والخيرات من كل مكان، تنعم برغد العيش وطيب الحياة، فإذا بالنعمة تزول، والعافية تسلب، والنقمة تقع، فتمحى آثارهم وينقطع ذكرهم، وما ذلك إلا للأسباب التالية:

1- **الكفر بالله وتكذيب آيات الله:** جرت سنة الله ﷻ في عباده أن لا يعذبهم إلا إذا كفروا، وكذبوا بآيات الله، وأعرضوا عنها، فإذا تمرَّد العباد على شرع الله، وفسقوا عن أمره؛ أتاهم العذاب والنكال من الكبير المتعال، فلقد أهلك الله كثيراً من الأمم السابقة كقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وإخوان لوط وأصحاب مدين بسبب كفرهم وتكذيبهم آيات الله ورسله، قال تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف:64]، وقال أيضاً: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:12-14].

2- **الاستهزاء بالدين والرسل:** إن الاستهزاء بدين الله ورسله خُلق من أخلاق الكافرين والمنافقين أعداء الدين، فلقد وصل الحال بأعداء هذا الدين للاستهزاء بكتاب الله بزعمهم أنه كتاب عفى عليه الزمن، وأنه لا يصلح لهذا الزمان، فتارة يزعمون أن أصل الإنسان قرد وأن ما وجد في القرآن من أن الله ﷻ خلق آدم بيديه إلا كذب وافتراء، وتارة يزعمون أن ما فيه من تشريعات وأحكام إنما هي تدعو إلى التطرف والتشدد، وما الصلاة والزكاة إلا طقوس يعملها المتطرفون الإرهابيون أصحاب القرون الظلامية، وتارة يستهزءون برسول الله ﷺ وبسنته وبنسائه ويتهمونه بالكذب والجنون، وتارة يسخرون بحدود الله ويصفونها بالفظاعة والبشاعة والمتشددة ويطالبون بتحكيم دستور وضعي من وضع البشر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:65-66]، إن كل من سولت له نفسه الاستهزاء بكتاب الله، ودينه، وشرعه، وتكذيب رسله، فهو عرضة لعقاب الله عز وجل وقال تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد:32].

3- **الظلم:** إن الظلم سبب في خراب البيوت والقرى والمدن، موجب للنقمة، ومزيل للنعمة، ومهلك للأسَر والشعوب والأمم. وهو سبب الفتن والمحن والهلاك والبلاء في هذه الدنيا؛ فكم من أمم قد طغت وظلمت وأسرفت فأبيدت ودُمّرَت وأهلكت، وكم من أقوام قد طغوا وأسرفوا في الظلم والعدوان فكانت نهايتهم إلى الهلاك والخُسْران. يقول ربنا سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا

ظَلَمُوا﴾ الكهف:56، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ هود:102. قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"[1]، فإن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة. ويقال: "الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"[2].

4- **الإفساد في الأرض:** قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة:33. لقد جاءت آيات كثيرة تنهى عن الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]، قال أكثر المفسرين: "لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره"[3]و قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم:41]، لقد جاء القحط وذهبت البركة في القفار والقرى والمدن بذنوب الناس فلاقوا الشدة في العاجلة[4].

أما صور الإفساد فهي كثيرة منها: قتل الناس وسلبهم أموالهم، زعزعة الأمن وتخويف البشر، نشر الرذيلة والفاحشة، نشر البدع والمنكرات، تخريب وتدمير الممتلكات الخاصة والعامة، بيع المحرمات من الخمور والمخدرات، والمجلات والأفلام الهابطة، الرشوة والاحتكار وسرقة المال العام، كل ذلك من صور الفساد.

1- القزويني، ابن ماجة، كتاب الزهد، باب البغي، 1408/2: رقم الحديث 4211. الترمذي، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، 664/4: رقم الحديث 2511. قال الالباني في السلسلة الصحيحة 918: حديث صحيح.

2- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (146/28).

3 - ابن القيم، بديع الفوائد، (14/3).

4 - انظر الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص844.

5- الاستكبار والاغترار بالقوة: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ فصلت:15-16. إن امتلاك القوة يدفع أصحابها إلى ممارسة الطغيان والاستكبار في الأرض، حيث يرى القوي المستكبر الناس في عينيه أمثال الذر، لا يبالي بأن يسحقهم في طريق تحقيق شهواته ونزواته، يحجب في نفسه نداء العقل، ظاناً أن استخدام العقل والحوار نقطة ضعف، وحيلة الضعفاء، بينما منطقه الوحيد هو استخدام القوة، وإكراه الناس على الخضوع لإرادته، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ هود:91، هذه الآية نموذجية في تحليل سيكولوجية الاغترار بالقوة، فالنبي يخاطبهم بالعقل والحوار بينما هم لا يفكرون إلا بمنطق القوة، فما دام النبي ضعيفاً فليس من حقه أن يتكلم معهم، إذ الحق في نظرهم هو القوة، القوي هو الذي يملك حق تحديد المعايير الأخلاقية وتقرير الصواب والخطأ، فنحن نرى اليوم في واقعنا المعاصر أن من يملك المال والسلاح والترسانة العسكرية هو الذي معه الحق، وهو من يتحكم بمصير الشعوب ومقدراتها ومصيرها، ومن لا يملك شيئاً فليس له الحق في التعبير عن رأيه أو وجوده، بل ليس له حق في الحياة. ونسي هذا المغتر أن الله أشد قوة، ونسي أن التاريخ كتب عن أمم انهارت لما ظلمت وطغت وتكبرت واغترت بقوتها وجبروتها.

6- قتل الأولياء والصالحين والعلماء: إن محاربة رجال الدين والعلماء له تاريخ طويل ومرير، فكم من قصص محزنة تبين الصراع المرير بين العلم والفهم الخاطئ للدين وتعاليمه، فكم من علماء ومفكرين وصالحين اعدموا قديماً وحديثاً بسبب أفكارهم ودفاعهم عن دينهم واسلامهم، فتُربص بهم وكِيد لهم، ولقد توعد الله ﷻ القتلة بالعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران:21، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ"[1].

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، 105/8: رقم الحديث 6502.

7- الغلو في الدين: قال رسول الله ﷺ: "وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ"[1]، قال المناوي[2]: "إياكم والغلو في الدين أي: التشديد فيه ومجاوزة الحد، والبحث عن غوامض الأشياء، والكشف عن عللها"[3]، وقال ابن حجر: هي المسائل التي تكون على وجه التعنت والتكلف[4]. وقال رسول الله ﷺ: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا"[5]. أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[6]، وقال رسول الله ﷺ أيضاً: " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[7]. يأمرنا رسول الله ﷺ أن لا نكلف أنفسنا فوق طاقتها وأن نلتزم التوسط والاعتدال في الأعمال، وأن نقترب من الكمال، فإن لم نستطع فلنداوم على الاعمال الصالحة في الأوقات المنشطة كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل[8].

8- عدم المساواة في القصاص: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[9]. إن هذا الحديث يسلط الضوء على مبدأ أساسي لاستقرار الحياة البشرية وحماية الناس في المجتمع المسلم، الذي يحكم شرع الله، فيحمي المسلم وغير المسلم ويحمي الملكيات الفردية ويصونها، ويحرم الاعتداء عليها، ويركز الحديث على منع الشفاعة

1- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عباس ﷺ، 350/3: رقم الحديث 1851. النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب: التقاط الحصى، 268/5: رقم الحديث 3057. قال الالباني في السلسلة الصحيحة 2144: حديث صحيح.

2- المناوي: هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تأليفه. له نحو ثمانين مصنفا، منها الكبير والصغير والتام والناقص. عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة 1031هـ. الأعلام للزركلي (204/6).

3- المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير (129/3).

4- انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (263/13).

5- مسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، 2055/4: رقم الحديث 2670.

6- المرجع السابق، الحاشية.

7- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، 16/1: رقم الحديث 39. النسائي، سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب الدين يسر، 121/8: رقم الحديث 5034.

8 - انظر المرجع السابق، تعليق مصطفى البغا على شرح الحديث في صحيح البخاري.

9- البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الانبياء، باب حديث الغار، 175/4: رقم الحديث 3475. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، 1315/3: رقم الحديث 1688.

في الحدود ، وترك المحاباة في إقامتها على من وجبت عليه ولو كان ولداً أو والداً قريباً أم بعيداً عظيم القدر أو بسيط القدر، والإنكار على من رخص أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه الحد، والاعتبار بمن مضى من الأمم السابقة الذين اهلكوا بسبب عدم المساواة بين الناس في إقامة الحدود.

هذه ليست كل الأسباب التي لأجلها تزول الأمم ولكن هي أهمهما، فإذا اجتمعت مع غيرها من الأسباب كان حقاً على الله أن يهلك هذه الأمم ويفنيها، ويجعلها عبرة وعظة لغيرها من الأمم عسى أن يتوبوا ويرجعوا عن ما هم فيه من الظلم والبغي والإفساد.

المطلب الخامس
نماذج من سنة الله في أخذ الظالمين

إن كتب التاريخ مملوءة بقصص عن نهاية الطغاة الظالمين، وما جرى لهم من العذاب الأليم، والأمم التي أهلكها الله تعالى بسبب ظلمها وبغيها، وما أحوج الظالمين إلى قراءة هذه القصص وتدبرها وفهم معانيها، ومعرفة سنن الله في أخذه للظالمين؛ علَّهم ينتهون عن ظلمهم وجبروتهم، وما أحوج المظلومين إلى فهمها ومعرفتها، ليزدادوا إيماناً ويقيناً بدينهم، وثباتاً ورسوخاً مهما كانت التبعات والتضحيات، ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: فرعون موسى: لم تعرف البشرية ظالماً طاغياً مستكبراً كفرعون، الذي أدعى لنفسه الربوبية، ونازع الله ﷻ في ملكه، فقال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، وقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29، فرعون وجد في قومه من الغفلة ومن الذلة ومن خواء القلب من الإيمان مما جعله يمرر مزاعمه ودعاويه الكاذبة، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ الزخرف:54[1]، ولقد ساعده ذلك على استعباد بني إسرائيل، فكان يسومهم سوء العذاب، يقتل أبناءهم، ويستحي نساءهم، وذلك عندما سمع بني إسرائيل يتحدثون عن نبوءة يوسف عليه السلام، والتي تقول بهلاك فرعون مصر على يد غلام من بني إسرائيل، فما ترك طفلاً إلا وذبحه، حتى إذا طال بهم العذاب، بعث الله موسى عليه السلام نبياً ورسولاً، فدعى فرعون إلى توحيد الله عز وجل، وإخلاص العبادة له، والإيمان باليوم الآخر، فما كان من فرعون إلا أن كذب واستكبر وأدبر، ووعد وتوعد، وأعلنها حرب إبادة واستئصال لكل من آمن بموسى عليه السلام واتبعه، فجيش الجيوش، وجمع وزراءه ومستشاريه، وانطلق بهم في رحلة الهلاك والعذاب، فلحق بموسى ومن آمن معه، حتى وصل إلى شاطئ البحر، فشق الله البحر لموسى عليه السلام ومن معه فنجوا جميعاً، وأغرق الله فرعون وجنوده، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف:55]، فكانت نهايته وخيمة، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات:25]، واقتضت حكمته أن يُبقي الله جثته إلى يومنا هذا عبرة وموعظة لكل من تسول له نفسه بالظلم والطغيان، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:92].

1- انظر الرقب، صالح حسين. لقد هوى كبير الفراعنة فسنة الله أن يلحق به الفراعنة الصغار. 2011/1/31م، موقع الدكتور صالح الرقب:
http://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&nid=53

ثانياً: هيلاسيلاسي (1892م-1975م): هو تافاري ماكونن، ويسبق اسمه دائما كلمة راس والتي تعني بالأمهرية الأمير، هيلاسيلاسي: ومعنى اسمه قوة الثلاثي الأب والابن وروح القدس، يُطلق عليه أسد أفريقيا، آخر الأباطرة الأثيوبيين[1]، نصب ملكاً عام 1928، ثم إمبراطور الحبشة وحاكمها طيلة ستين سنة، الطاغية الذي كان يعتز بنسبه اليهودي، ويفخر أن من بين ألقابه أسد يهوذا وسبط يهودا[2].

منذ أن تولى هيلاسيلاسي منصب إمبراطور الحبشة عام 1930م، أخذ في التنكيل بالمسلمين، واضطهادهم اضطهاداً قاسياً، مدفوعاً بصليبية مقيتة، وتحريض القوى الاستعمارية، ولما احتلت إيطاليا الحبشة سنة 1935م، هرب إلى لندن وظل بها حتى 1942م، ثم عاد إلى الحبشة بعد هزيمة إيطاليا في الحرب.

منحت الكنيسة الأثيوبية القداسة على أفعال هيلاسيلاسي القذرة ضد المسلمين، فكان يحكم البلاد حكماً استبدادياً مطلقاً، لا يقبل نقاشاً ولا مراجعة لقراراته، وقد أعلن أنه يريد أن يقضي على الإسلام صراحة، فمنع تدريس القرآن الكريم واللغة العربية، وأغلق المدارس والكتاتيب، وأقام علاقات وثيقة مع اليهود في فلسطين، وشرد السكان المسلمين، وجعلهم عبيداً، والأحباش المسيحيين سادة، كان يعامل المسلمين كمعاملة اليهود لغيرهم من شعوب الأرض، وسلَّم النصارى الأراضي المملوكة للمسلمين، وخلخل التركيبة السكانية في المناطق ذات الكثافة الإسلامية المرتفعة[3]، وقام بعدة مذابح منها: مذبحة مسلمي القراقي سنة 1941م، ومأساة هرر البشعة عام 1944م، ومذبحة قبائل رايا، ومذبحة كمباشا، ومذبحة هرر عام 1947م، حيث أُستبيحت المدن والقرى، وأُبيدت بعضها إبادة كاملة، مارس فيها الجنود أبشع أنواع القتل والتعذيب والنهب، وراح ضحية هذه المذابح المئات بل الألوف من المسلمين، ومن أفظع تلك

1- نبذة عن الامبراطور هيلاسيلاسي، موقع منتديات المسافر:
http://www.almosafr.com/forum/t101910.html

2- انظر عبد الهادي، جمال. و جمعة، وفاء محمد رفعت. افريقيا يراد لها أن تموت جوعاً. ط3. المنصورة: دار الوفاء، 1411هـ- 1991م، ص108.

3- انظر الشجاع، أحمد. واقع المسلمين في أثيوبيا بين الغثائية والضياع (تقرير)، أخبار العالم الإسلامي والأقليات المسلمة، موقع أنصار السنة، وموقع السيرة النبوية:
http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=3910. وفاة الطاغية هيلاسيلاسي. 2009/7/28م، موقع مفكرة الإسلام: -http://islammemo.cc/zakera/methl-haza

المجازر والمآسي- مأساة داوى- قبلة العلوم الإسلامية، حيث قامت قوات هيلاسيلاسي بهتك أعراض الفتيات والفتيان على مرأى من ذويهم إمعاناً في الإذلال والوحشية[1].

ظل هيلاسيلاسي يسوم المسلمين سوء العذاب، منذ أن تولى الحكم، بل لا يرى لنفسه هدفاً إلا ذلك حتى قامت مجموعة من الضباط في الجيش بانقلاب عسكري على الطاغية هيلاسيلاسي عام 1974م، وتم إلقاء القبض عليه وإيداعه في السجن المظلم الذي طالما أودع فيه عشرات الآلاف من المسلمين، وفي هذا السجن جرى خنقه حيث وضع رأسه بين وسادتين، وجلس على هاتين الوسادتين عشرة عسكرين ظلوا هكذا حتى لفظ أنفاسه، ودفنت جثته تحت المراحيض الخاصة لحاكم أثيوبيا الجديد[2].

ثالثاً: مصطفى كمال أتاتورك: هو ابن علي رضا أفندي، تنتمى عائلته لإحدى العشائر التركية التي هاجرت إلى الأناضول، الملقب بالغازي، وكلمة أتاتورك تعنى أبا الأتراك، وهو الذي أسقط الخلافة الإسلامية سنة 1343هـ-1924م.

ولد أتاتورك سنة 1299هـ-1880م، بمدينة سالونيك باليونان، حمل فكراً واتجاهاً معادياً للإسلام وللخليفة العثماني منذ تخرجه من الكلية الحربية، وحذر اتباعه وزملاءه من الانخداع بفكرة العالم الإسلامي، وقد كوَّن جمعية الوطن والحرية لمكافحة الدكتاتورية التي تتجسد من وجهة نظره في الخليفة العثماني.

كان أتاتورك ظالماً مستبدًا، فمنذ أن استولى على الحكم أصدر مجموعة من القرارات بهدف جعل تركيا دولة علمانية على الطراز الغربي، كان من أهمها:

1- إلغاء الخلافة الإسلامية، وإعلان النظام العلماني، الذي يقتضي فصل الدين عن الدولة نهائياً، وإلغاء الشريعة الإسلامية، وإقرار أن كل ما تعانيه تركيا يرجع إلى كونها تستمد أحكامها من الدين، فقال: "إن الأديان تعبر عن أحكام ثابتة، بينما الحياة تتحول وتحتاج إلى تغيير"[3].

2- إصدار قانون وضعي، حيث أصدر قانوناً فريداً يتكون أكثره من القانون السويسري والقانون الإيطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده، ومع ذلك فهو يدعي أنه كله من عنده قائلاً: "نحن لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا، ولكن شرعاً فيه قلنا وتقول"[1].

1- انظر افريقيا يراد لها أن تموت جوعاً، ص 111- 114.

2- نجد، أسد. هيلاسيلاسي... كيف قتل؟. 2002/8/12م، موقع منتدى قلوب: http://vb.qloob.com/.

3- بارقعان، أبو يحيى أشرف بن عبد الحميد بن محمد. مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين. الموسوعة الشاملة، ص190.

3- إلغاء الكتابة بالحروف العربية، والأرقام العربية، وحَّرم الكتابة بها، وألزم الكتابة بالحروف اللاتينية، ومنع الأذان بالعربية، وجعله باللغة التركية.

4- إلغاء منصب شيخ الإسلام، وإلغاء المحاكم الشرعية، وإلغاء المدارس الدينية، وحدد عدد المساجد التي يجوز الصلاة فيها، وحَّول مسجد أيا صوفيا إلى متحف ولولا الخوف لأرجعه كنيسة(2)، وحَّول مسجد الفاتح إلى مستودع.

5- إلزام الشعب التركي بلبس القبعة الأوربية، وخلع الطربوش التركي من فوق رأسه. حتى القرآن ترجمه وفرض قراءته دون الأصل العربي(3).

6- إلغاء نظام تعدد الزوجات، ومنع نظام الإرث الإسلامي، وأعلن المساواة التامة بين الذكر والأنثى في الميراث، والحقوق السياسية والاجتماعية(4).

7- أصدر قانوناً بمنع الحجاب في سائر مؤسسات الدولة من تعليمية، وغيرها، وراقب تنفيذه، وعاقب مخالفيه وشنق معارضيه(5).

8- إلغاء الزواج الشرعي وجعله مدنياً، وألزم توثيقه أمام موظفي الدولة، وقد أمر أتاتورك الأتراك بالتوقف عن إلقاء السلام بالفم، ونصحهم بأن تكون تحيتهم بالمصافحة باليد، وحرم ارتداء الملابس الدينية لغير رجال الدين(6).

9- إلغاء عيْدَي الفطر والأضحى، وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة الأسبوعية بدلاً من الجمعة، ومنع الحج.

ومما يبين عداوته الشديدة للإسلام ولنبي الإسلام محمد ﷺ أنه كان في فندق فسمع المؤذن يؤذن فقال لمن حوله: "من قال بأننا مشهورون؟ وما شهرتنا نحن؟ انظروا إلى هذا الرجل –

1- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. العلمانية – نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، رسالة دكتوراه. دار الهجرة. (د. ط). (د. ت). ص571.

2- انظر الطنطاوي، علي بن مصطفى. نور وهداية. جمع وترتيب: حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية. ط2. المملكة العربية السعودية، جدة: دار المنارة، 1429هـ - 2009م، ص257.

3- انظر آل عبد العزيز، أبو أنس محمد بن فتحي. الملاح، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد. فتح الرحمن في بيان هجر القرآن. ط1. السعودية، الرياض: دار ابن خزيمة، 1431هـ - 2010م، ص363.

4- انظر مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، ص 244.

5- انظر المقدم، محمد أحمد إسماعيل. عودة الحجاب، (3ج). ج1. ط10. دار طيبة، 1428هـ - 2007م. ج2. ط1. القاهرة: دار ابن الجوزي، 1426هـ - 2005م. ج3. ط2. الإسكندرية: دار القمة، دار الإيمان1425هـ- 2004م. (205/1).

6- انظر المرجع السابق، (207/1).

يعني محمد رسول الله ﷺ – كيف أن اسمه يتكرر في كل لحظة في جميع أنحاء العالم" ثم أمر بهدم المنارة[1].

"كما أنه رَشَّح سفير بريطانيا ليخلُفه في رئاسة الجمهورية التركية"[2]، حتى لا يَخْلفُه في الحكم واحد من المسلمين فيعيد لتركيا إسلامها وماضيها.

كان أتاتورك فاسقاً، ماجناً، شروباً للخمر، لا يكاد يفيق من شربه، اشتهر بارتكاب الفواحش، ومجاهراً بها، كما اشتهر بشذوذه الجنسي، ومحاولاته المتكررة للاعتداء على محارمه، حتى أنه حاول الاعتداء على أخت زوجته الصغرى، ولما هربت منه كاد أن يقتلها هي وزوجته.

نهايته: ابتلاه اللهُ بالأوجاع والأسقام، فحرمه الله ﷻ من الرجولة، ونعمة الأولاد، فقد كان عقيماً؛ بسبب إصابته بمرض الزهري نتيجة شذوذه وفحشه، وبسببه أصيبت زوجته بالسيلان المزمن، ولم تتورع امرأتُه عن إذاعةِ سِرِّ عُقمِه[3].

أصيب بالتليف الكبدي، مما جعله محتاجاً إلى سحب الماء من بطنه بالإبر، وفي مرض موته ابتلاه الله بحشرات صغيرة حمراء لا ترى بالعين، سببت له الحكة والهرش حتى أمام زواره من السفراء والكبراء، حتى ظهرت على وجهه، وأن السبب وراء ذلك نوع من النمل الأحمر الذي لا يوجد إلا في الصين، ويظل على عذابه هذا مدة سنتين، وقد هلك الطاغية في سنة 1939م، ومما ابتلاه الله به اختلاف الناس في الصلاة عليه، فرأى رئيس وزرائه عدم الصلاة عليه، وصمم رئيس جيشه على الصلاة عليه، فصلى عليه شرف الدين أفندي مدير الأوقاف الذي كان أخبث من أتاتورك نفسه[4].

1- عبد المنعم، هشام. مصطفى كمال أتاتورك. تاريخ 2013/5/11م، موقع قصة الإسلام: http://islamstory.com/ar

2- العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله. وَا مُحَمَّدَاهُ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، (ج4). ط1. مصر: دار العفاني، 1427هـ – 2006م. (297/2).

3- انظر المرجع السابق، (296/2).

4- عبد المنعم، مصطفى كمال أتاتورك.

المبحث الثالث

نماذج في سنن الله تعالى في أنواع الظالمين

المطلب الأول

الطغاة

أولاً: تعريف الطغيان:

الطُّغيان لغة: جاء في القاموس المحيط: "طَغَى يَطْغَى طَغياً ويَطغو طُغياناً، أي: جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظُّلم"[1]. وفي تاج العروس: "وطغى الماء: ارتفع وعلا حتى جاوز الحد في الكثرة"[2]، وطغى: ترفع وعلا حتى جاوز الحد أو كاد[3]، "وأطْغَاهُ كذا: حمله على الطُّغيان"[4].

ثانياً: معاني الطُّغيان في القرآن الكريم:

وردت كلمة طغى ومشتقاتها في تسعة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم وبصيغ وتصريفات مختلفة: طغى، يطغى، أطغى، تطغوا، طغوا، أطغيته، طغيان، طغوى، طاغية، طاغوت، طاغين، طاغون.

جاءت كلمة الطغيان في القرآن الكريم بعدة معاني، ولكن يجب الإشارة إلى أن جميع هذه المعاني جمعها شيء واحد هو مجاوزة الحد، ومن هذه المعاني:

1- الكفر والضلال: قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة:15، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام:110، وقال ﷻ: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ الأعراف:186. يدل السياق على أن معنى الطُّغيان في هذه الآيات هو الضلال أو الكفر أو كلاهما معاً، قال مجاهد: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يعني: "في ضلالتهم يترددون"، ويقول: "زادهم الله ضلالة إلى ضلالتهم، وعمى إلى عماهم"[5]، قال الطبري: "في

1- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1685.

2- الزبيدي، تاج العروس (324/10).

3- انظر السجستاني، محمد بن عُزير. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. ط1. سوريا: دار قتيبة، 1416هـ - 1995م. ص318.

4- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص304.

5- مجاهد، تفسير مجاهد، ص196.

ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسُه، وعلاهم رِجْسُه، يترددون حيارى ضُلالاً لا يجدون إلى المخرج منه سبيلاً لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها، فأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها، فلا يبصرون رُشْداً ولا يهتدون سبيلاً.

وبنحو ما قلنا في "العَمَه" جاء تأويل المتأولين."[1].

2- الإفساد في الأرض: "بمعنى مجاوزة الحد في الاستكبار والعتو والتجبر، والظُّلم، والفساد في الأرض، وفي استخدام القوة، وعدم مراعاة أسس العدل والحق ولا سيما من قبل السادة والحكام"[2]، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ النازعات:17، قال الرازي: "أنه تعالى لم يبين أنه – فرعون- تعدى في أي شيء، فلهذا قال بعض المفسِّرين: معناه أنه تكبر على الله وكفر به. وقال آخرون: إنه طغى على بني إسرائيل. والأولى عندي: الجمع بين الأمرين، فالمعنى أنه طغى على الخالق بأن كفر به، وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم، وكما أن كمال العبودية ليس إلا صدق المعاملة مع الخالق ومع الخلق، فكذا كمال الطُّغيان ليس إلا الجمع بين سوء المعاملة مع الخالق ومع الخلق"[3]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ الفجر:11، أي: "جاوزوا الحد فأكثروا فيها الفساد بالكفر، ومعاصي الله، والجور على عباده"[4]، "اغتراراً بالقوة وعظم السلطان"[5].

3- العلو والارتفاع والكثرة: قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:11]، يقول الراغب الأصفهاني: "فاستعير الطُّغيان فيه لمجاوزة الماء الحد"[6]، قال السيوطي: "سمي ذلك طغياناً لمجاوزة الماء القدر المعلوم وهو من باب الاستعارة، استعارة معقول لمحسوس، فالمستعار منه التكبر، وهو عقلي، والمستعار له كثرة الماء، وهو حسي، والجامع الاستعلاء وهو عقلي أيضاً"[7]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغية﴾ [الحاقة:5]، سُميت الصيحة التي أهلكت ثمود بالطَّاغية؛ وذلك لتجاوزها الحد المعلوم أو المعهود في مثلها. قال قتادة: "أي الصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة"، وقال مجاهد:

1- الطبري، جامع البيان (310/1).

2- اسبينداري، عبدالرَّحمن عمر. الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). ص25.

3- الرازي، مفاتيح الغيب (38/31-39).

4- الشوكاني، فتح القدير (530/5).

5- القاسمي، محاسن التأويل (469/9).

6- الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص520.

7- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (152/3).

"سميت بالطاغية: بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها"[1]. وقال الألوسي: "إن الصيحة العظيمة الخارقة للعادة حصل منها الرجفة لقلوبهم، ولعظمها، وخروجها عن الحد المعتاد، سميت الطاغية"[2].

4- الإسراف في الظلم والعصيان: قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ طه:81، .

قال الزمخشري: "طغيانهم في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها، بأن يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها، وأن ينفقوها في المعاصي: وأن يزوروا حقوق الفقراء فيها، وأن يسرفوا في إنفاقها، وأن يبطروا فيها، ويأشروا ويتكبروا"[3]. وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ هود:112، لقد أمر الله ﷻ رسوله وصحابته الكرام بالاستقامة على منهاج الله، والبقاء على طريق العبودية لله، وأن يتواضعوا لله وألا يتكبروا على أحد، وألا يتجاوزوا ما أُمروا به وحُدَّ لهم، وألا يعدلوا عن طريق شكره، والتواضع له عند عِظَمِ النعمة[4]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ القلم:31، أي: اعتدَيْنَا وبَغَينا وَطَغَيْنَا وجاوزنا الحد في منع الفقراء والمساكين من حقهم[5].

5- "العقوق"[6]: أي مجاوزة الحد في التعامل مع الوالدين حتى يصل الأمر إلى عقوقهما، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ الكهف:80، أي: "خفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما، وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاءً"[7]، وقيل: "أن ينزل بهما طغيانه وكفره ويُلحقه بهما، لكونه طبع على ذلك، فيخشى أن يعديهما بدائه"[8]، وقيل: "إن هذا الولد كان يعاشر والديه معاشرة الطغاة الكفرة"[9].

1- ابن حبان، البحر المحيط في التفسير (255/10).

2- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (403/4).

3- الزمخشري، الكشاف (79/3).

4- انظر الرازي، مفاتح الغيب (407/18).

5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (197/8)، بتصرف.

6- انظر اسبينداري، الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ص22-32.

7- الزمخشري، الكشاف (741/2).

8- القاسمي، محاسن التأويل (52/7).

9- الرازي، مفاتيح الغيب (491/21)، بتصرف.

ثالثاً: أسباب الطغيان

لقد تناول القرآن الكريم بعض الطغاة وذكر أحوالهم، ونفسياتهم، وما استقر في عقولهم من أفكار وشهوات ومبادئ هدامة، وأدان أعمالهم، وحذر منهم، وذكر عاقبتهم ومآلهم، وتناول الأسباب التي أدت بهم إلى أن يكونوا طغاة، ونستطيع أن نقسمها إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية.

فالأسباب الداخلية: "وهي تلك الاشكالات النفسية التي غزت باطن هذا الطاغية، وأخذت بمجامع قلبه حتى أسودَّ قلبه بدخانها؛ فدبّ إلى قلبه من سمومها وآفاتها ما دفعه إلى الطغيان.."[1]، "وأما الخارجية فهي: "تلك الظروف والأجواء التي هيأت له المناخ المناسب لممارسة طغيانه وعتوّه، وساعدت في طول أمده وبقائه وسيطرته"[2].

1- الأسباب الداخلية:

أ- عدم الإيمان بالله واليوم الآخر: الطاغية إنسان لا يؤمن بالله، ولا يعتقد بحساب أو عقاب، لذلك تكون حياته قائمة على البطش والقهر والظلم، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وفرعون: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ غافر:27، وقال أيضاً: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ [القصص:39]، فالطاغية "يظن أن حياته الدنيا هي كل شيء، ويعتقد أن قوته باقية وسلطانه دائم، ولو آمن هذا بيوم القيامة، وخاف الحساب في يوم الحساب، لأقلع عن بغيه وطغيانه"[3].

ب- الكبر والعلو: وقد يكون هذا السبب هو الجامع لجميع الطغاة، وهو على رأس أسباب الطغيان، هذه الآفة الشنيعة التي تودي بصاحبها على الهلاك والنار وبئس المصير، خصلتان اتصف بهما فرعون: الاستكبار، والعلو في الأرض، فكان رائد الطغيان في زمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ القصص:4، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص:39]، "فهو علا واستكبر على رعيته، ووزرائه، والخاصة من رعيته، بل علا على الله ﷻ، وادعى الألوهية"[4]، "فهو تكبر

1- أحمد، خالد رمضان. الطغاة والطغيان في القرآن الكريم، مجلة البيان، العدد 294، 2012/12/22م.

2- المرجع السابق.

3- الخالدي، صلاح عبدالفتاح. مع قصص السابقين في القرآن الكريم. ط1. دمشق: دار القلم، 1408هـ - 1988م. ص107.

4- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي (10871/17).

بدون حق، تكبر وليس عنده مبررات الكبر، ولو استحضر كبرياء خالقه لاستحيا أمام خالقه"[1]، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ"[2].

ج- الحسد والحقد: هو الذي دفع إبليس عليه لعنة الله إلى عدم طاعة الله ﷻ، ومعصية أمره؛ عندما أمره بالسجود لآدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الإسراء:61، لقد تخيل إبليس أنه أكرم من آدم عليه السلام من حيث أن النار التي هي أصله أكرم من الطين، وذهب إلى أن النار أنفع من الطين فهو أكرم[3]، فلقد حسد وحقد على آدم لتكريم الله له، بأن خلقه بيديه، ثم أسجد له ملائكته، ثم تاب عليه بعد أن عصاه، ثم استخلفه في الأرض، ثم أعاده إلى الجنة التي أُخرج منها.

"والحقد والحسد هو السبب في طغيان اليهود، ورفضهم لقبول رسالة محمد ﷺ، مع أنه موجود عندهم في التوراة"[4]، وصفه ونعته وأخلاقه، وجاءهم الأمر باتباعه، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة:109، وقال أيضاً: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ المائدة: 64.

د- العجب والغرور: إن الله ﷻ يمن على عباده بالنعم من قوة في الجسد، وكثرة في الأموال والأولاد، أو بالعقل والذكاء، فيغتر الناس بذلك فينسبون هذه النعم إلى أنفسهم، ويمنون على الله بها، وأنهم ما أوتوا هذه النعم إلا لكرامتهم ومكانتهم، فيتكبرون على الخلق، فيحتقروهم، ويسيئون إليهم، فيطغون ويتجبرون، كمثل قوم عاد عندما ظنوا أن الله أعطاهم قوة في أبدانهم، أنهم آمنون من بأسه[5]، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فصلت:15، وأنهم نسوا أن الله هو الذي أنعم وتفضل وتكرم، فكان عقابهم عندما طغوا بقوتهم وتجبروا على الخلق، بأن أرسل عليهم عقوبة تظهر هوانهم؛ إذ أمر الريح أن تقتلع تلك الأجساد القوية، العظيمة التركيب، فتدكها دكاً، قال

1- المرجع السابق، (10928/19).

2- السجستاني: سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، 59/4: رقم الحديث: 4090. القزويني: سنن ابن ماجه، باب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، 1397/2: رقم الحديث 4174، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 541: حديث صحيح.

3- انظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (463/11).

4- أحمد، خالد رمضان، الطغاة والطغيان في القرآن الكريم.

5- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (169/7).

تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ الحاقة:6-8.

هـ- اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات:37-38، يقول سيد قطب: "فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية. وهو أساس البلوى، وينبوع الشر، وقل أن يؤتى الإنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النَّفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها، والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقل أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى"[1]، فاتباع هوى النَّفس يؤدي بالإنسان إلى المروق من طاعة الله سبحانه وتعالى، وذلك لسيطرة هواه عليه إلى درجة يصير معها عبداً خاضعاً له، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:23]، "بل يصل الأمر به إلى مخالفة ورفض كل ما يخالف هواه وإن كان أمراً من خالقه"[2]، وذلك لأن: "صاحب الهوى، أو المتبع لهواه يعزّ عليه بل يكبر في نفسه أن يطيع غيره، خالقاً كان هذا الغير أو مخلوقاً، بسبب أن هذا الهوى قد تمكن من قلبه، وملك عليه أقطار نفسه، فصار أسيراً لديه ودافعاً له"[3].

2- الأسباب الخارجية:

أ- الغنى والسعة والتنعم والبطر: إن الغالبية العظمى من الناس إذا استغنت طغت، والاستغناء كثرة الغنى، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:6-7]، وعلة هذا الخُلق أن الاستغناء تحدث صاحبِهِ نفسِهِ بأنه غير محتاج إلى غيره، وأن غيره محتاج إليه، فيرى نفسه أعظم من أهل الحاجة، ولا يزال ذلك التوهم يربو في نفسه؛ حتى يصير خَلْقاً حيث لا وازع يزعه من دين أو تفكير صحيح، فيطغى على الناس لشعوره بأنه لا يخافهم؛ لأنه عنده ما يدفع به الاعتداء عليه من سلاح وخدم وأعوان وشركاء وعمال وإجراء منتفعين بماله، فهو في عزة عند نفسه، فقد بينت هذه الآية حقيقةً نفسية عظيمة من الأخلاق وعلم النفس. ونبهت على الحذر من تغلغلها في النفس[4]. قال ابن عمر: "ابن آدم، عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك. ابن آدم، لا بقليل تقنع، ولا بكثير تشبع"[5]،

1- قطب، في ظلال القرآن، (3819/6).

2- الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ص121.

3- نوح، السيد محمد. آفات على الطريق. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). (21/2).

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير (445/30).

5- الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (98/6).

ب- الملك والسلطان: يقول سيد قطب: "إن إبليس داعب رغائب الإنسان الكامنة أن يكون خالداً لا يموت، أو معمراً أجلاً طويلاً كالخلود! ويحب أن يكون له ملك غير محدد بالعمر القصير المحدد...وعلى هذا يكون الإغراء بالملك الخالد، والعمر الخالد، هما أقوى شهوتين في الإنسان"[1]، ويقول ابن خلدون[2]: "إن الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية، والشهوات البدنية، والملاذ النَّفسانية، فيقع فيه التنافس غالباً، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه، فتقع المنازعة، وتفضي إلى الحرب والقتال والمغالبة"[3]، فالملك والسلطان هما الركيزتان اللتان يقوم عليها ملك كل طاغية، فيستمد من ملكه وسلطانه القوة للحفاظ على منصبه مستخدماً في ذلك كل الوسائل المباحة والمحرمة، إنها شهوات وأطماع دنيوية يفني الطاغية فيها عمره، مهدراً خيرات بلاده، قامعاً شعبه، لتحقيق مكاسبه الدنيوية، فها هو فرعون يتجبر ويتكبر ويطغى عندما ظن أن هذه الأنهار له، وأن خيرات مصر حكراً عليه وحده، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الزخرف:51، إنه استخفاف الطغاة للجماهير، إنه أمر لا غرابة فيه، فهم يعزلون الجماهير أولاً عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها، ويلقون في روعهم ما يشاءون، فيسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان[4].

ج- سوء أخلاق الرعية: تتميز رعية الطاغية كما وصفها القرآن الكريم بعدة صفات وهي:

* **الخوف والجبن:** قال تعالى يصف رعية فرعون: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يونس:83، فالخوف منع الرَّعيَّة من اتباع موسى عليه السلام، بل الأمر تعدى أكثر من ذلك

1- انظر قطب، في ظلال القرآن (1269/3).

2- ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية. توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، توفي فجأة في القاهرة في سنة 808هـ. انظر الأعلام للزركلي (330/3).

3- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص76.

4- قطب، في ظلال القرآن (3194/5)، بتصرف.

فعندما رأت الرعية انتصار الحق على الباطل في يوم الزينة لم تؤمن ولم تتبع الحق الظاهر الواضح؛ لسيطرة الخوف وتمكنه منها رغم أعدادها الكبيرة.

* **الفسوق:** قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ الزخرف:54، وقال أيضاً: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [النمل:12]، إن الحاكم ليس هو المسؤول الوحيد عن طغيانه بل تتحمل الرعية المسؤولية أيضاً[1].

* **الظلم:** قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:129]، "إن الرَّعيَّة الظالمة أي التي يتظالم أفرادها فيما بينهم يولى عليهم حاكم ظالم، فيكون تسلطه عليهم من العقاب لهم على ظلمهم"[2].

* **الطغيان:** إن من صفات رعية الطاغية أن تتصف الرعية أيضاً بصفة الطغيان، فلقد ذكر القرآن الكريم حواراً يدور بين الحكام الطغاة ورعيتهم عندما يكونون جميعاً في نار جهنم، قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ [الصافات:22-31]، فلقد صرح القرآن بأن الطغاة لم يجبروا أتباعهم على طاعتهم، ولم يكونوا ليجبروهم على شيء، بل كانوا قوماً مختارين للطغيان.

* **الطيش والاستخفاف:** قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ الزخرف:54، فقد استخف فرعون قومه حيث لَبَّسَ عليهم، وسفههم، وضعف أحلامهم، فقبلوا منه جميع ما قال، وبالجملة فإنهم كانوا خارجين عن مقتضى العدالة الإلهية؛ لذلك انحرفوا عن سواء السبيل، واتبعوا ذلك الفاسق الطاغي[3].

* **بطانة السوء:** قال رسول الله ﷺ: "مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ

1- انظر الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ص148.

2- السنن الالهية في الامم والافراد والجماعات، ص118.

3- انظر النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (302/2).

مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى"[1]، فبطانة الطاغية بطانة سوء تزين له أعماله، وتثني عليه، وتمجده، وتتقرب إليه بشتى الوسائل لتحقيق مآربها الشخصية من مال وجاه وسلطان، وهي كالببغاء تردد كل ما يقوله الطاغية دون أدنى تفكير، فهي ليس لها إلا هز الرؤوس، والتصفيق له، والهتاف باسمه في كل محفل، كما أن هذه البطانة ترهب وتخوف الطاغية، فهي تخوف وترهب الحاكم من دعوات الحق والحرية وتحرضه لاتخاذ خطوات قمعية، كما قال تعالى حاكياً عن بطانة فرعون الخبيثة: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ الأعراف:127، حتى إذا أراد الطاغية أن يتراجع عن طغيانه وظلمه خاف أن يتمالىء عليه من بطانته من ينقض عليه فيسلبه كرسيه وسلطانه[2].

رابعاً: نماذج لسنة الله في أخذ الطغاة:

1- قوم عاد: "كانوا يسكنون باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل"[3]، وكانوا طوال عِظام الْخِلْقَة، أطولهم يبلغ مائة ذراع وأقصرهم ستون ذراعاً، متشاركين في القوة والشدة والجلادة، متحابين فيما بينهم، لا عداوة ولا بغضاء فيما بينهم، ينصرون بعضهم بعضاً، خصهم الله ﷻ بهذه الفضائل وهذه النعم[4]، ولكنهم عبدوا الأصنام من دون الله، فبعث الله إليهم هوداً عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:65]، وهو من أوسطهم نسباً، وأفضلهم موضعاً، فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه إلهاً غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس، فأبوا عليه وكذبوه، وأكثروا في الأرض الفساد، فاستكبروا وتجبروا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ فصلت:15، وبنوا بكل ريع آية عبثاً بغير نفع، كلمهم هود عليه السلام فقال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، 77/9: رقم الحديث 7198. النسائي: سنن النسائي، كتاب البيعة، بطانة الإمام، 158/7: رقم الحديث 4202.

2- انظر الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، ص142.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (433/3).

4- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (302/14).

الشُّعَرَاءِ:128-131، ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ فاتهموه بالجنون، ﴿قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾هُودٍ:53-56، فلما أبوا إلا الكفر بالله وبرسالته أمسك الله عنهم السماء ثلاث سنين، فلما جهدهم الأمر، أرسلوا وفداً لهم من سبعين رجلاً ليستقوا لهم عند الحرم، وفي الطريق نزلوا عند رجل، فاستضافهم، فمكثوا عنده شهراً يشربون الخمر، وتغنيهم جاريتان، فلما طال بهم المقام استحيوا من أنفسهم، ونهضوا إلى الحرم، ودعوا لقومهم، فدعا داعيهم، وهو: "قيل بن عنز"، فدعوا ربهم، فأنشأ الله ﷻ ثلاث سحابات بيضاء، وسوداء، وحمراء، ثم ناداه مناد من السماء: اختر لنفسك أو لقومك من هذا السحاب، فقال: اخترت هذه السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب ماء فناداه مناد: اخترت رماداً رمدداً، لا تبقي من عاد أحداً، لا والداً تترك ولا ولداً، إلا جعلته همداً، وساق الله السحابة السوداء بما فيها من النقمة إلى عاد، فلما رأوها استبشروا فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ فأجابهم ربهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ الْأَحْقَافِ:24، 25، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ الْحَاقَّةُ:6-8، إنهم لما تمردوا وعتوا وتجبروا، واتبعوا كل طاغٍ مستكبر كتجبر، أهلكهم الله بريح عاتية، فكانت تحمل الرجل فترفعه في الهواء، ثم تنكسه على أم رأسه فتقتلع رأسه عن جسده[1]، جزاءً نكالاً من الله.

2- قصة أصحاب الأخدود: قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ البروج:4-8، عنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ

1- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (436/3-437). ابن كثير، البداية والنهاية (144/1-147).

حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ

يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"[1].

لم يكن ذنب أصحاب الأخدود إلا أنهم آمنوا بالله عز وجل، وكفروا بالملك الطاغية الذي ادعى الربوبية، وأمر الناس بعبوديته من دون الله، فما كان منه إلا أن حفر أخدوداً في الأرض، وأوقد فيه ناراً، وبدون أي شفقة أو رحمة ألقى فيه الرجال والنساء والأطفال أحياء فحرقهم، إلا أن رحمة الله كانت أقرب، فقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار، أما الملك الطاغية وجنوده فإن النار خرجت من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقتهم[2]،، فكان الجزاء من جنس العمل، إنه الطغيان في أبشع صوره، فذاك الملك أعطاه الله الملك، والمال، والسلطة، فتجبر وتكبر على العباد ورب العباد، فكان عاقبته أنه أُحرق في نار الدنيا قبل نار الآخرة.

3- أدولف ألويس هتلر (1889 – 1945م): سياسي ألماني، فشل في دخول كلية الفنون الجميلة ليتخصص في الرسم، فأراد أن يرسم خريطة الكون وفق هواه، فلوّن الكرة الأرضية بدماء البشر، مؤمناً بتفوق العرق الآري، وبضرورة إبادة الأعراق الأخرى، ولم يكفه قتل الآخرين فقتل نفسه[3].

ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني، والمعروف باسم الحزب النازي، مؤسس النازية، وبعد سجنه إثر محاولة انقلاب فاشلة قام بها في عام 1923م، استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لأفكار تأييد القومية، ومعاداة الشيوعية، والكاريزما أو الجاذبية التي يتمتع بها في إلقاء الخطب، وفي عام 1933م، تم تعيينه مستشارًا للبلاد حيث عمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية وفاشية. وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي لألمانيا، فعمل على سحق مُعارضيه لِيُعيِّن بعد ذلك نفْسَه قائدًا (الفوهرر) على ألمانيا[4].

1- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق والآداب، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، 2299/4: رقم الحديث 3005. حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند الانصار، حديث صهيب ﷺ، 354/39: رقم الحديث 23931.

2- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (111/31).

3- انظر السعيد، هاني. الفوهرر أدولف هتلر: حقائق مثيرة عن رجل أنهَك البشريّة !،2014/11/2م، موقع أراجيك: http://www.arageek.com/2014/11/02-interesting-facts-you-dont-know-about-adolf-gitler.html

4- انظر أدولف هتلر، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

وفي عام 1939م، أطلق الشرارة للحرب العالمية الثانية بِضَمِّه النمسا والسويد وبولندا التي كانت السَّببَ الْمُباشر في اندلاع الْحَرب، حيث خطا خطوات واسعة تجاه الانتعاش الاقتصادي والنهضة بالصناعات الألمانية، حتى أنه لم يكن هناك مواطن ألماني بلا عمل، وجدَّد خطوط السكك الحديدية، وأهتم بالطرق السريعة التي تسير عليها المركبات، وأقام عشرات الجسور لسهولة الربط بين شبكة المواصلات، كما اهتم بفن العمارة على نطاق واسع، وفي سنة 1936م قامت "برلين" باستضافة دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية التي أفتتحها هتلر، ووُضعت أناشيدها وألحانها التي تُظهر تفوق الجنس الآري على جميع الأجناس الأخرى، وفي سنة 1936م تحالف هتلر مع "بينيتو موسوليني" حاكم إيطاليا الفاشستي، ثم ضم معه اليابان، وهنغاريا، ورومانيا، وبلغاريا، وفي نوفمبر سنة 1937م عقد هتلر اجتماعاً سرياً مع مستشاريه، وأفصح لهم عن رغبته في توسيع رقعة ألمانيا الجغرافية، حيث كان يريد أن تكون ألمانيا هي القوة الأولى في العالم، وسعى لتحقيق هذا الهدف.

وفي يناير سنة 1939م، أصدر هتلر أوامره بقتل جميع الأطفال المعاقين الذين يولدون في ألمانيا تحت مُسمى "برنامج القتل الرحيم"، وفي نفس الشهر ألقى خطابه الشهير المعروف بخطاب النبوءة، والذي قال فيه بأنه في الماضي تنبأ بأنه سيصل إلى السلطة ويكون زعيماً للأمة بأسرها[1].

وكاد أن ينجح في السيطرة على العالم، واستطاع أن يحقق معظم أحلامه، إلا أن خسارة جنوده في معركتي ستالينجراد والعلمين، وتردي الأوضاع الاقتصادية الألمانية، دفعه إلى أن يدمّر المصانع، والمنشآت العسكرية، وخطوط المواصلات والاتصالات، وإغراق أنفاق مدينة برلين؛ حيث كان يختبئ المدنيون حيث عدهم خونة؛ لعدم وقوفهم في وجه العدو الروسي على أبواب برلين[2].

مرضه وموته: أصيب جهازه التناسلي في إحدى المعارك، كما أنه كان يعاني من مشاكل في الطحال[3]، وكان نباتياً يخاف من أكل اللحوم خوفاً من إصابته بالسرطان؛ المرض الذي قضى فيه والديه، وقيل: بل لحبه الشديد للحيوانات فكان لا يأكل لحومها[4].

1- انظر يعقوب، حلمي القمص. كتاب رحلة إلى قلب الألحاد، بذار ورجال، (2ج). الاسكندرية: كنيسة القديسين، مار مرقس والبابا بطرس. (د. ط). (د. ت). 196-197.

2- انظر صور وسيرة حياة هتلر، 2013/01/19م، موقع المرسال:

1876http://www.almrsal.com/post/

3- انظر بعد 71 عاماً.. خادمة "هتلر" تكشف أسراره الشخصية. العربية نت، 2014/5/1م.

4- انظر الفوهرر أدولف هتلر. حقائق مثيرة عن رجل أنهَك البشريّة.

وفي 1945م انتحر "هتلر" مع عشيقته إيفا بروان تحت الأرض[1]، بعد انهزامه أمام الرُّوس في معركة "ستالينجراد"، بعد أن كلف العالم بحربه هذه 60 مليون قتيل.

4- جوزيف فيساريونوفيتش ستالين (1953- 1879م): الطاغية الفولاذي، القائد الثاني للاتحاد السوفيتي، ورئيس الوزراء، قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، مما مكن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى[2].

استخدم أقسى أساليب العنف ضد الهيئات الدينية والمؤمنين، والمثقفين، والفنانين، والمعارضين فرجال الكهنوت حُرموا من البطاقات التموينية، ومُنعوا من الأعمال، وحُرم أبناؤهم من الالتحاق بالمدارس أو أُخذوا بعيدًا عنهم إلى الملاجئ، وأُلغيت كافة الاحتفالات الدينية، وخلال الفترة من سنة 1929م وحتى نشوب الحرب العالمية الثانية أعدم آلاف القساوسة، وأرسل الآلاف إلى معسكر السخرة، وتحوَّلت الكنائس إلى مخازن أو مدارس أو مسارح، وبوصول ستالين للسُّلطة المُطلقة في 1930م عمل على إبادة أعضاء اللجنة المركزية البلشفيَّة، وأعقبها بإبادة كل من يعتنق فكراً مغايراً لفكر "ستالين"، أو من يشك "ستالين" في معارضته! وفي سنة 1937م فقط تم إغلاق 1100 كنيسة أرثوذكسية، و240 كنيسة كاثوليكية، و61 كنيسة بروتستانتية، و110 مسجد، وأُعتبر المسلمون أيضاً عديمي الولاء للدولة، وصارت الشيوعية ديناً[3].

"تفاوتت الأحكام الصادرة لمعارضي فكر "ستالين"؛ فتارة ينفي معارضيه إلى معسكرات الأعمال الشَّاقة، وتارة يزجُّ بمعارضيه في السجون، وآخرون يتمُّ إعدامهم، بعد إجراء محاكمات هزليَّة، بل ومن أهم استراتيجياته "الطُّغيانية" تطبيق ما يسمى بالاغتيالات السِّياسية، ومن ثَمَّ قتل الآلاف من المواطنين السوفييت، وزج آلافاً آخرين في السجون لمجرد الشك في معارضتهم لمبادئه الأيديولوجيَّة!"[4].

في سنة 1940م قام ستالين بنفسه بالتوقيع على صكّ إعدام 25,700 من المثقفين البولنديين، وتضمّن القتلى 14,700 من أسرى الحرب، وقضى على 30,000 - 40,000 من المساجين فيما يعرف "بمذبحة المساجين". ويتّفق المؤرخون على أن ضحايا الإعدامات

1- انظر أدولف هتلر، الجزيرة نت.

2- انظر جوزيف ستالين، ويكيبديا الموسوعة الحرة.

3- انظر رحلة إلى قلب الإلحاد. ستالين، ص109.

4- محمد، معتز بالله. ستالين الجزار الأكبر في تاريخ البشرية، 2012/10/2م. موقع رسالة الإسلام: http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=15488

والإبعاد وكذلك المجاعات السوفييتية تقدّر بـ 8 الى 20 مليون قتيل! وأحد التقديرات تقول أن ضحايا ستالين قد يصلون الى 50 مليون ضحية. يظل عدد الضحايا في الحقبة الستالينية ضرب من التقدير لعدم ورود أرقام رسمية سوفييتية أو روسية بعدد ضحايا تلك الحقبة[1]، كما أنه "قتل زوجته بأن أطلق رصاصة على رأسها بعد نقاش معها، وقيل: بل هي التي أطلقت على رأسها الرصاص نتيجة خلافاتها الدائمة معه بسبب علاقاته العاطفية مع غيرها"[2].

هلاك الطاغية: "كان ستالين يعاني من فقدان الثقة بالجميع، بعد أن قتل معظم رفاقه، وكان يتوقع الاغتيال، فخصص ثماني حجرات للنوم تُغلق جميعها بإحكام، ولا يعرف أحد في أي حجرة يبيت، ولم يكن يتذوق الطعام إلاَّ بعد أن يتذوقه الطاهي أولاً"[3].

في الأول من مارس 1953، وخلال مأدبة عشاء بحضور وزير الداخلية السوفييتي "بيريا" و"خوروشوف" وآخرين، تدهورت حالة "ستالين" الصحية، ومات بعدها بأربعة أيام. وتَجْدر الإشارة إلى أن المذكرات السياسية لـ"مولوتوف"، والتي نُشرت في عام 1993م تقول: إن الوزير "بيريا" تفاخر لـ"مولوتوف" بأنه عمد إلى دسِ السُّم لـ"ستالين" بهدف قتله[4].

1- انظر المرجع السابق، سيرة موجزة عن ستالين، موقع الصوت الشيوعي:
https://sites.google.com/site/communistvoice/arstalin3

2- كتاب رحلة إلى قلب الإلحاد، ص114.

3- المرجع السابق، نفس الصفحة.

4- انظر ستالين الجزار الأكبر في تاريخ البشرية.

المطلب الثاني

الماكرين

أولاً: المكر لغة واصطلاحاً:

المكر في اللغة:

المَكْرُ: هو " الاحتيال والخَديعَةُ، ومَكَرَ به يَمْكُرُ فهو ماكرٌ ومَكَّارٌ ومَكُورٌ "[1].

المكر في الاصطلاح:

قال السيوطي[2]: "المكْر: ما يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظَاهره"[3].

وقال الجرجاني: "هو إيصال المكْروه إلى الإنسان مِن حيث لا يشعر"[4].

وقال الرَّاغب: "المكْر: صرف الغير عمَّا يقصده بحيلة" [5].

ثانياً: المكر في القرآن الكريم:

جاء المكر في القرآن الكريم على عدة معان وهي:

1- فعل الشرك[6]:قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾[فاطر:10]

2- القول السيء: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ يوسف: 31، أي: "مقالتهن"[7]، وقوله ﷻ: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗا﴾ سبأ:33.

3- إرادة القتل: قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ غافر:45﴾، أيْ: "ما أرادوا"[1]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الأنفال:30؛ أيْ: يهمُّون بقتلك[2]، وقوله تعالى:

1- الفيروزآبادي، القاموس المحيط (477/1). ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سبق ذكره، (345/5).

2- السيوطي: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري، إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، توفي سنة 911هـ. انظر الأعلام للزركلي (3/301-302).

3- السيوطي، جلال الدين: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة. ط1. القاهرة: مكتبة الآداب، 1424هـ - 2004م. ص207.

4- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ -1983م. ص227.

5- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص772.

6- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (6/537-538). الشوكاني، فتح القدير، (392/4).

7- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص544.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ الأنفال:30؛ يعني يريدون قتْلَك، ويعصمك الله، ومثلها في سورة النمل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠﴾ النمل:50؛ يعني أرادوا قتْلَ صالِح، ونَجَّيناه[3].

4- الحيلة: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الأعراف: 123؛ يعني: حيلة احتَلْتُم أنتم وموسى عليه السلام[4].

5- التكذيب والطعن: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس:21؛ يعني: "استهزاءً بالرسل وتكذيباً بالقرآن"[5].

6- الجزاء: قال تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ۝٤٦﴾ إبراهيم:46، أي: جزاهم جزاء المكر، وسماه مكراً من باب المقابلة، لأنه جزاء مكرهم[6].

7- السعي في الفساد: قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح:22]، "ومعنى المكر: السعي في الفساد؛ وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم عن الإيمان بنوح"[7][8].

من خلال استعراض معاني المكر في القرآن الكريم نجد أن: مكر الله ﷻ يختلف عن مكر الأعداء، فمكر الأعداء مكر الخداع والحيلة، وإيصال الشر إلى غيرهم دون أن يشعروا، وأما مكر الله فهو استدراج لهم بالنعم، حتى إذا اطمأن أهل الكفر والضلال أخذهم بغتة، قال الجرجاني: "المكر من جانب الحق إردافُ النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب،

1- المراغي، تفسير المراغي، (77/24).

2- انظر ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، 1687/5. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص437.

3- انظر الزمخشري، الكشاف (373/3).

4- انظر المظهري، محمد ثناء الله. التفسير المظهري. تحقيق: غلام نبي التونسي. الباكستان: مكتبة الرشدية، 1412هـ- 1991م. (393/3).

5- مجاهد، تفسير مجاهد، ص380.

6- انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (381/9).

7- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (344/4).

8- انظر الفقهاء، محمد. سلسلة المكر في القرآن الكريم. ج2. موقع منتدى الطريق إلى الله، http://forums.way2allah.com/showthread.php?t=251745. و عبد الوهاب، إيمان. المكر دراسة قرآنية: إيمان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012م. ص22-25.

وإظهارُ الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر "[1].

كذلك نجد "أن أكثر استعمالات القرآن الكريم للمكر كان على جهة الذم وليس على جهة المدح، وأن المؤمنين لم يوصفوا بصفة المكر، لأن هذه الصفة ليست من صفات المؤمنين"[2].

ثالثاً: صفات الماكرين:

الماكرون لهم صفات لا تختلف كثيراً عن صفات الكافرين والظالمين والطغاة، من كفر بالله وآياته ورسله، وإفساد في الأرض، والاعتداء على الآخرين بالقول والفعل، ولكنهم انفردوا ببعض الصفات الذميمة حتى تميزوا عن غيرهم، فقد فضحهم الله ﷻ في كتابه العزيز، وأبطل خططهم وتدابيرهم التي يكيدونها للإسلام والمسلمين، لكي يحذرها المؤمنون، ومن تلك الصفات:

1- ادَّعوا أن مع الله شركاء: لقد أبى أهل الكفر والزيغ والضلال إلا أن يجعلوا مع الله آلهة يعبدونها من دون الله، وتختلف هذه الآلهة باختلاف الزمان والمكان، فقديماً كانت أحجاراً صماء لا تضر ولا تنفع، أصناماً قدسوها وأشركوها مع الله في العبادة، وحديثاً قدموا العلم والعقل والهوى والمال والجاه والسلطان ... ، والماكرون قالوا فيما يرويه رب العزة عنهم: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾الرعد:33، أي: "أنهم كادوا للإسلام بشركهم، ودعوتهم الناس إلى الشرك، وتزيين هذه المعبودات الباطلة للناس حتى عبدوها، وفي نفس الوقت كان هذا الشرك مكراً بهم من غير أن يشعروا فقد كان تمويههم الأباطيل فتكلفوا إيقاعها في الخيال من غير حقيقة، ثم بعد ذلك ظنوها شيئاً لتماديهم في الضلال وعلى هذا المراد مكرهم بأنفسهم"[3].

2- منع الناس من التوحيد: إن هؤلاء الماكرين لم يدخروا جهداً في تكذيب الرسل والإعراض عن آيات الله الواضحات، بل سَعَوا أيضاً في إبعاد الناس ومنعهم من توحيد الله، وإقامة شرعه في الأرض، قال تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا

1- الجرجاني، التعريفات، ص215.

2- انظر سلسلة المكر في القرآن الكريم ج2.

3- الألوسي، روح المعاني (153/7).

يَعْمَلُونَ﴾ سبأ:33، ومن الأمثلة على ذلك مكر قوم نوح، فقد مكروا مكراً عظيماً بسيدنا نوح عليه السلام ومن معه قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ نوح:22-24، "والمكر الكبار هو أنهم قالوا لأتباعهم: لا تذرن وداً فهم منعوا القوم عن التوحيد، وأمروهم بالشرك، ولما كان التوحيد أعظم المراتب، لا جرم كان المنع منه أعظم الكبائر، فلهذا وصفه الله تعالى بأنه كبار"[1]، لم يكن أهل مكة بأحسن حالاً من قوم نوح فقد اتهموا سيد المرسلين محمداً ﷺ بأنه ساحر ومجنون كما اتهم أقوام الأنبياء أنبياءهم بالسحر والجنون، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:52]، "وكان من مكر أهل مكة أنهم جعلوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر؛ حتى يقولوا لكل من يقدم: إيَّاك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب"[2].

3- طلبوا النبوة والرسالة: لم يكْفِهم الاستهزاء بالرسل، وتكذيبهم لما جاؤوا به، بل أردوا من الأنبياء أن يشركوهم معهم من النبوة، وأن تُنزل عليهم كتبٌ من السماء كما تنزلت على الرسل من قبل، فقالوا: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام:124. "وهذا ضرب من المكر بإظهارهم أنهم يتطلبون الآيات الدالة على صدق الرسول ﷺ، مظهرين أنهم في شك من صدقه، وهم يبطنون التصميم على التكذيب، فذكرت هذه الآية أنهم قد أفصحوا تارات بما أبطنوه، فنطقوا بصريح التكذيب، وخرجوا من طور المكر إلى طور المجاهرة بالكفر فقالوا في آية أخرى: لست مرسلاً"[3]. "وهذا عين المكر والحسد والغدر، فكيف يُعقل أن يحصلوا على النبوة والرسالة مع ما يتصفون به من الصفات الذميمة"[4]، "لذلك ستصيبهم ذلة وحقارة بعد كِبْرِهم، وعذاب أليم في الدنيا والآخرة، بسبب مكرهم المستمر"[5].

4- محاولات دائمة لقتل الرسل: لقد حاول الماكرون المكر بأنبياء الله ورسله فحاولوا قتلهم، يقول الرازي: "وقد مكر الذين من قبلهم يعني أن كفار الأمم الماضية قد مكروا برسلهم وأنبيائهم

1- الرازي، مفاتيح الغيب (656/30).

2- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي. تفسير القرآن. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. السعودية: دار الوطن، 1418هـ- 1997م. (142/2).

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير (175/13).

4- الرازي، التفسير الكبير (137/13)، بتصرف.

5- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (183/3).

مثل النمرود مكر بإبراهيم، وفرعون مكر بموسى، واليهود مكروا بعيسى"[1]، قال تعالى حكاية عن محاولة اليهود قتل عيسى ومكرهم به: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾النساء: 157، كما حاولوا قتل سيدنا محمد ﷺ، وتآمرت قريش معهم على قتله أكثر من مرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الأنفال:30، قال ابن عطية: "فمكر قريش بالنبي ﷺ كان تدبيرهم ما يسوؤه، وسعيهم في فساد حاله، وإطفاء نوره"[2].

5- الملاحقة والإخراج: هذا دأبهم وديدنهم، فهم يمكرون لإخراج الرسل والأنبياء والصالحين والمخلصين والأنقياء وملاحقتهم لإخراجهم من الأرض، حتى لا يتحلق حولهم الأتباع والمحبون والمخلصون؛ فيفقدوا عندها ملكهم وسلطانهم وتجارتهم وأموالهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين﴾ الأنفال:30، وهذا المكر الذي ذكره الله في هذه الآية هو بإجماع من المفسرين؛ إشارة إلى قريش في دار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي (الحديث بطوله) وهو الذي كان خروج رسول الله ﷺ من مكة بسببه[3].

6- المكر عند وجود النعمة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس:21، "عجيب ذلك المخلوق الإنساني لا يذكر الله إلا في ساعة العسرة، ولا يثوب إلى فطرته وينزع عنها ما غشاها من شوائب وانحرافات إلا في ساعة الكربة... فإذا ذاقوا الرحمة مكروا في آيات الله وأولوها على غير وجهها، وقالوا: إنما رفع عنا الرجز بسبب كذا وكذا.. وكذلك صنعت قريش وقد أجدبت وخافت الهلاك، فجاءت محمداً تناشده الرحم أن يدعو الله فدعاه فاستجاب له بالسقيا، ثم مكرت قريش بآية الله وظلت فيما هي فيه! وهي ظاهرة مطردة في الإنسان ما لم يعصمه الإيمان"[4].

1- الرازي، التفسير الكبير (53/19).
2- ابن عطية، المحرر الوجيز (518/2).
3- انظر المرجع السابق (518/2-519).
4- قطب، في ظلال القرآن (1773/3).

7- الغدر وخيانة العهود: لقد أبى الماكرون إلا أن يجمعوا في طيات نفوسهم كل صفات النقص والرذيلة، ها نحن نرى كيف وصل الحال بقوم ثمود أنهم أرادوا الغدر بنبينا صالح، فقد بيتوا قتله بليل، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ النمل:48-50، "يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورؤوسهم، الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلالة والكفر وتكذيب صالح، وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة، وهموا بقتل صالح أيضاً، بأن يبيتوه في أهله ليلاً فيقتلوه غيلة، ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه: إنهم ما علموا بشيء من أمره، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به، من أنهم لم يشاهدوا ذلك"[1]، ولكن الله ﷻ أحبط محاولاتهم وأبطل مكرهم، فالجزاء من جنس العمل، وكذلك حال الماكرين في كل زمان ومكان، فلم يكن أحد أشد على رسول الله ﷺ من المنافقين، فلقد بلغ من مكرهم برسول الله ﷺ أنهم كلما عاهدوه نقضوا عهده، وخانوه، وحاولوا أن يغدروا به، حتى قال الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الأنفال:56، ولكن الله أخبر نبيه وطمأن قلبه؛ بأن المكر السيء لا يحيط إلا بأهله، قال تعالى: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر:43.

8- الفرح عند تعرض المسلمين للمحن والشدائد: فإذا أصاب المسلمين حزن وهمّ، فرحوا واستبشروا، وإذا أصابهم فرح ونصر، أصابهم غيظ وكرب، كما أنهم معنيون بتضخيم الأحداث ونشر الشائعات الكاذبة، وتصيد الأخطاء والزلات، وتجاهل الإيجابيات والإنجازات، قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ آل عمران:120، فها هم في غزوة أحد "لم يكتفوا بالتخلف والمعركة على الأبواب، وما يحدثه هذا التخلف من رجة وزلزلة في الصفوف والنفوس، بل راحوا يثيرون الزلزلة والحسرة في قلوب أهل الشهداء وأصحابهم بعد المعركة وهم يقولون: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ آل عمران:168، فيجعلون من تخلفهم حكمة ومصلحة، ويجعلون من طاعة الرسول ﷺ وأتباعه مغرماً ومضرة"[2]، وهكذا هم في كل زمان.

رابعاً: أسباب المكر

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (198/6).

2- قطب، في ظلال القرآن (515/1).

من خلال البحث والتنقيب عن أسباب المكر في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه، وما ذكر في كتب التفسير والأخلاق نجد أنه لا يوجد فرق كبير بين أسباب المكر وصفات أهله، فالأسباب التي دفعت بأصحابها إلى هذا المكر هي نفسها الصفات التي طبعوا عليها والكامنة فيهم، فلأهل المكر صفات خُلقية كانت هي الدافع والسبب المباشر لمكرهم وخداعهم، ومن أهم أسباب المكر:

1- **الكفر بالله واليوم الآخر**: إن الكفر بالله واليوم الآخر والرسل والكتب السماوية هي من أهم أسباب المكر، فإن انعدام الخوف من الله وعدم وجود التقوى يدفع المرء للجوء إلى جميع أنواع المكر للحفاظ على كل ما يود الحفاظ عليه من مال أو جاه أو سلطة، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر:53]، إن عدو الله فرعون غرر بقومه، وحضهم على اتباع أوامره بكل ما أوتي من مكر وحيلة وبطش وقوة، مخاطباً إياهم خطاب الناصح المشفق فقال لهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29، ففضح الله نواياه وخبثه ومكره فقال عز من قائل: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ غافر:45، يقول سيد قطب رحمه الله: "عدم خوفهم من الآخرة هو الذي ينأى بهم عن التذكرة، وينفرهم من الدعوة هذه النفرة. ولو استشعرت قلوبهم حقيقة الآخرة لكان لهم شأن غير هذا الشأن المريب!"[1].

2- **استحلال حرمات الله**: إنه سبب آخر من أسباب المكر، وقد قص الله ﷻ في كتابه العزيز نماذج من هؤلاء الماكرين؛ الذين يمكرون ليحلوا لأنفسهم ما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف:163، يقول الخطيب: "وقد مكر أصحاب هذه القرية بهذا اليوم، فكانوا يحتالون على العمل فيه، ذلك أن الحيتان كانت لا تظهر في شاطئ البحر طوال أيام الأسبوع، فإذا كان يوم السبت جاءت الحيتان من كل صوب، تتراقص أمام أعينهم، حتى لتكاد تلقى بنفسها إلى اليابسة، وفى ذلك ابتلاء لهم أي ابتلاء، فإما أن يصبروا على حكم الله فيهم، فلا يمدّون أيديهم إليها، وإما أن يأخذوا منها ما يشاءون، وفى هذا هلاكهم، فلا تبقى منهم باقية.."[2].

1- قطب، في ظلال القرآن (3763/6).

2- الخطيب، عبد الكريم يونس. التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي. (د. ط). (د. ت). (505/5).

"قيل أنهم صنعوا كيساً من السلك المضفر، بحيث يدخل السمك فيه ولا يستطيع الخروج منه، فيأتي السمك يوم السبت في هذا الشبك ويستخرجونه يوم الأحد. أو يصنعون حوضاً له مدخل وليس له مخرج وفي هذا مكر. وتمكر لهم السماء بحيلة أشد"[1]، هم ظنوا أنهم خادعو الله لكنه هو خادعهم، فكان عقابهم أن مسخوا قردة خاسئين، قال تعالى:﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ الاعراف:166.

3- الإفساد في الأرض: لم تعرف البشرية ماكرين كاليهود، فهم أصحاب المكر والحيلة والخديعة والخيانة، مهمتهم الأولى في هذا الكون هي الإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة:64، فمن صفاتهم الخبيثة أنهم وصفوا الله ﷻ بالبخل، وهي من أخص صفاتهم، وأن مهمتهم التي يسعون إليها دائماً هي إشعال نار الفتنة والحرب في بقاع الأرض، ونشر الفساد في كل المعمورة، وذكر السمرقندي معنى آخر للآية فقال: "كلما أجمعوا أمرهم على المكر بمحمد ﷺ وأصحابه فرقه الله تعالى، وأطفأ نار مكرهم، ووهن أمرهم"[2].

وقال الرازي في معنى إفسادهم: "بأن يخدعوا ضعيفاً، ويستخرجوا نوعاً من المكر والكيد على سبيل الخفية"[3].

4- الكبر: صفة ذميمة أخرى، يتصف بها الماكرون، الاستكبار على الله، وعلى خلق الله، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر:42-43، جاءت الآيات تتحدث عن مشركي قريش الذين كانوا يتمنون أن يبعث فيهم نبي يدلهم على الطريق المستقيم، فلما بعث فيهم الله هذا النبي الأمي، رفضوا الانقياد إليه وطاعته، واعترضوا على الله ﷻ كيف يرسل برسالته إلى رجل من عامة الناس ويترك السادة الأشراف وعلية القوم، فهؤلاء أقسموا واجتهدوا فيه بالأيمان الغليظة أن يكونوا أهدى من اليهود والنصارى، فلم يفوا بتلك الإقسامات والعهود، ولم يكن إقسامهم المذكور، لقصد حسن، وطلب للحق، وإلا

1- الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي (4408/7).

2- السمرقندي، بحر العلوم (404/1).

3- الرازي، مفاتيح الغيب (398/12).

لوفقوا له، ولكنه صادر عن استكبار في الأرض على الخلق، وعلى الحق، وبهرجة في كلامهم هذا، يريدون به المكر والخداع، وأنهم أهل الحق، الحريصون على طلبه، فيغتر به المغترون، ويمشي خلفهم المقتدون، فما كان إلا أن عاد مكرهم وخداعهم في نحورهم، ورد الله كيدهم في صدورهم"(1).

5- بطر النعمة ومنع الخير: ظهرت هذه الصفة واضحة جلية في قصة أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ القلم:17-26، يقول سيد قطب: لنرى كيف يصنع الماكرون المبيتون لقد قر رأيهم على أن يقطعوا ثمرها عند الصباح الباكر، دون أن يستثنوا منه شيئا للمساكين. وأقسموا على هذا، وعقدوا النية عليه، وباتوا بهذا الشر فيما اعتزموه.. فلندعهم في غفلتهم أو في كيدهم الذي بيتوه، ولننظر ماذا يجري من ورائهم في بهمة الليل وهم لا يشعرون. فإن الله ساهر لا ينام كما ينامون، وهو يدبر لهم غير ما يدبرون، جزاء على ما بيتوا من بطر بالنعمة ومنع للخير، وبخل بنصيب المساكين المعلوم.. إن هناك مفاجأة تتم في خفية، فلقد امتدت تلك اليد الخفية في الظلام، وحاقت بهم عاقبة المكر والتبييت، وعاقبة البطر والمنع؛ فذهبت بالثمر كله(2).

6- حب النفس والانتصار لها: لمَّا أحبت امرأة العزيز يوسف عليه السلام، وملأ حبه شغاف قلبها، أسرَّت بذلك الحب إلى بعض النسوة، وطلبت منهن أن يكتمن سرها وخبرها، ولكنهن لم يفعلن، فمكرن بها وأذعن ما أُؤتمن عليه، وأصبحت سيرتها حديث النسوة في المدينة، فأرادت أن تمكر بهن كما مكرن بها، فأرسلت إليهن تدعهن لأكل الأترج (البرتقال)، وأعتدت لهن متكئاً، وأحضرت لكل واحدة سكيناً، ثم طلبت من يوسف عليه السلام أن يخرج إليهن، فلما رأينه قطَّعن أيديهن لشدة جماله، وإشراقه، وتلألأ وجهه، فمكرت بيوسف عليه السلام ومكرت بنساء المدينة لتنتصر لنفسها، وتصون عرضها، وترد كرامتها، ولكن يوسف عليه السلام استعاذ بالله من شرها، ومكرها، ومكر النسوة اللواتي أقررنها على ما تفعل، فصرف الله عنه كيدهن ومكرهن، فدخل السجن بضع سنين(3). قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً

1-السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص691، بتصرف.

2- قطب، في ظلال القرآن (3665/6)، بتصرف.

3- انظر الزمخشري، الكشاف (463/2). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (285/4).

وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ يوسف:31-35.

7- **طلب عزة واهمة:** الماكرون يبحثون حثيثاً عن العزة، ويسعون وراءها، فتارة يوالون المسلمين، ويتوددون إليهم، طلباً لما عندهم من القوة والمنعة والعزة، وتارة يوالون الكفار، ويقدمون لهم فروض الطاعة والولاء في حال كانت الغلبة لهم والرياسة إليهم، فكان ذلك النفاق مكراً منهم، ليأمنوا المسلمين؛ حتى إذا تمكنوا في الأرض، وصارت لهم قوة ومنعة، انقلبوا عليهم، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ فاطر:10، وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ النساء:139، ونسي هؤلاء الجهلة أن العزة لا تكون إلا للمؤمنين الذين لا يقولون إلا طيباً، ولا يعملون إلا صالحاً، يبتغون به وجه الله ورضوانه، "أما الذين عملوا على وجه المكر والخديعة يريدون ان يراءوا المؤمنين في أعمالهم يوهمونهم أنهم في طاعة الله، فإن أعمالهم فاسدة هالكة"[(1)].

8- **الحسد:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ *وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام:123-124، "إنما جعل المجرمين أكابر؛ لأنهم لأجل رئاستهم أقدر على الغدر، والمكر، وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم، ولأن كثرة المال وقوة الجاه تحمل الإنسان على المبالغة في حفظهما، وذلك الحفظ لا يتم إلا بجميع الأخلاق الذميمة من الغدر، والمكر، والكذب، والغيبة، والنميمة، والأيمان

1- المراغي، تفسير المراغي (111/22)، بتصرف.

الكاذبة"[1] ... "ولقد بلغ من مكر هؤلاء الكفار وحسدهم أنهم متى ظهرت لهم معجزة قاهرة تدل على نبوة نبي قالوا لن نؤمن حتى يحصل لنا مثل هذا المنصب من عند الله، وهذا يدل على نهاية حسدهم وأنهم إنما بقوا مصرين على الكفر لا لطلب الحجة والدلائل بل لنهاية الحسد، فهم أرادوا أن يكونوا متبوعين لا تابعين، ومخدومين لا خادمين"[2].

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة:109، إن في هذه الآية "بيان لما يضمره أهل الكتاب وما تكنه صدورهم للمسلمين من الحسد على نعمة الإسلام، التي عرفوا أنها الحق، وأن وراءها السعادة في الدارين، ولكنهم شق عليهم أن يتبعوهم، فتمنوا أن يحرموا هذه النعمة ويرجعوا كفاراً كما كانوا، وذلك شأن الحاسد، يتمنى أن يسلب محسوده النعمة، ولو لم تكن ضارة به، فكيف إذا كان يعلم أن تلك النعمة إذا تمت وثبتت يكون من أثرها سيادة المحسود عليه، وإدخاله تحت سلطانه، كما كان يتوقع علماء يهود في عصر التنزيل؟"[3][4].

خامساً: صور المكر الإلهي:

"إن المكر ضربان: مكر محمود: وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ آل عمران: 54، ومكر مذموم: وهو أن يتحرّى به فعل قبيح، قال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر:43، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأنفال:30، وقال في الأمرين: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً﴾ النمل:50"[5]. والمكر الذي هو عبارة عن الاحتيال في إيصال الشر، فهو في حق الله ﷻ محال، فصار لفظ المكر في حقه من المتشابهات، وذكروا في تأويله وجوهاً، ومن أبرزها:

الأول: أنه تعالى سمى جزاء المكر بالمكر، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَ﴾ الشورى:40، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ النساء:142.

الثاني: أن معاملة الله معهم كانت شبيهة بالمكر فسمي بذلك.

1- الرازي، مفاتيح الغيب (135/13).

2- الرازي، مفاتيح الغيب (136/13).

3- محمد رشيد رضا، تفسير المنار (346/1).

4- انظر المكر دراسة قرآنية، ص 133- 160.

5- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 772.

الثالث: أن هذا اللفظ ليس من المتشابهات، لأنه عبارة عن التدبير المحكم الكامل، ثم اختص في العرف بالتدبير في إيصال الشر إلى الغير[1].

وقيل: إن الله ﷻ عبر بالمكر على طريق المشاكلة، أي أنهم مكروا فأبطل الله مكرهم، قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل:50، لكن ورد في سورة الأعراف إضافة المكر إلى الله ﷻ من غير مقابلة بمكر الناس، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعرف:99، نقول: لما كان المكر في الأصل هو: التدبير الخفي المفض بالممكور به إلى ما لا يحتسب، ولما كان الغالب أن يكون ذلك في السوء، غلب استعمال المكر في التدبير السيء، أما في حق الله عز وجل فإنه مكر حسن، وهو خير محض، ولذلك كانت أفعاله تعالى منزهة عن الوصف بالقبح أو الشناعة[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: أثبت الله لنفسه صفة المكر، وهذه صفة فعلية تثبت لله كما يليق بجلاله وعظمته، ولا يجوز أن يشتق له من هذه الصفة الفعلية اسم، فلا يُقال: من أسمائه الماكر؛ لأن ذلك لم يرد، بل نقف عندما ورد من أنه سبحانه خير الماكرين، فوصف الله نفسه بالمكر على وجه الجزاء والمقابلة، وقيل: وهو إيصال المكر والكيد لمن يستحقه عقوبة له[3].

قال الفراء[4]: "مكر الله استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون. وقال ابن عباس: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة""[5].

"من أسس المكر التبييت، والتبييت يحتاج إلى حنكة وخبرة، لأن الذي يحاول التبييت قد يجد قبالته من يلتقط خبايا التبييت بالحدس والتخمين، وما دام المكر يحتاج إلى التبييت، فإن ذلك علامة على الضعف في البشر؛ لأن القوي لا يمكر ولا يكيد ولكن يواجه. والذي يمكر قد يضع في اعتباره أن خصمه أقوى منه حيلة وأرجح عقلاً، وقد ينكل به كثيراً، لذلك يخفى الماكر

1- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (236/8).

2- انظر محمد رشيد رضا، تفسير المنار (260/3). ابن عاشور، التحرير والتنوير (257/3).

3- انظر القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، الرياض: مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي. (د. ط). (د. ت). ص23-24.

4- الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي، العلامة، صاحب التصانيف، الفراء أمير المؤمنين في النحو، مات سنة سبع ومائتين. انظر سير أعلم النبلاء (118/10).

5- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (99/4).

أمر مكره أو تبييته"[1]. "أما مكر الله، فهو كله عدل، وحكمة، هو تعالى يمكر بالكافرين مكراً حقيقياً، ويدبر تدبيراً خفياً، يوصل به العقاب من حيث يُظن الإنعام"[2].

"إن باب المكر الإلهي باب واسع جداً عظيم النفع؛ لمن تدبره يجده متضمناً لمعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته، بأن يعكس عليه مقصوده شرعاً وقدراً، دنيا وآخرة. وقد اطردت سنته الكونية سبحانه في عباده، بأن من مَكر بالباطل مُكر به، ومن احْتال أُحتيل عليه، ومن خَادع غيره خُدع. قال الله تعالى: ﴿إِنّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ النساء: 142، وقال تعالى: ﴿وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِه﴾ فاطر: 43، فلا تجد ما كراً إلا وهو ممكور به، ولا مخادعاً إلا وهو مخدوع، ولا محتالاً إلا وهو محتال عليه"[3].

إن المتتبع لآيات المكر الإلهي في القرآن الكريم يجدها على النحو التالي:

1- الاستدراج والإملاء: إن الاستدراج والإمهال من أكثر أنواع المكر الإلهي حيلة، إذ أن الله ﷻ بحكمته وعدله يعطي الماكرين من النعم ما يشغلهم ويليهم، فلا يتوقعون عقوبة، فيظنون أن ما فيه من النعيم من كرامتهم على الله؛ حتى إذا جاء الوقت المحدد أخذهم الله بغتة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ الأعراف:182-183، قال الواحدي[4]في هذه الآية: "إن مكري شديد فإني أُطيل أعمارهم ليتمادوا في المعاصي حتى إذا جاء الأجل قتلتهم في ليلة واحدة بعد أن أمهلتهم طويلاً"[5]. قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥﴾ المؤمنون:55، قال السمعاني[6]: "ليس الأمر

1- الشعراوي، تفسير الشعراوي (1495/3).

2- البراك، عبد الرحمن بن ناصر. توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية). إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس. ط3. دار التدمرية، 1432هـ-2011م. ص92.

3- الجوزية، ابن القيم. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. تحقيق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف. (د. ط)، (د. ت). (360/1).

4- الواحدي: هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، لإمام، العلامة، الأستاذ، صاحب (التفسير) ، وإمام علماء التأويل. انظر سير أعلام النبلاء (339/18).

5- الواحدي، التفسير الوجيز، ص423.

6- السمعاني: هو منصور بن محمد بن عبد الجبار، الإمام، العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، هو وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة، وزهدا وورعا، من بيت العلم والزهد، وكان بحراً في الوعظ، حافظاً، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكا في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة. انظر سير أعلام النبلاء (116-114/19).

على ما يظنون أن المال والبنين خير لهم، بل هو استدراج لهم، ومكر بهم، فهو معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾"[1].

2- رفع عيسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ آل عمران:54-55، إن الله ناصر رسله، ومُدبر أمورهم، وليس عيسى عليه السلام وحده من أنجاه الله من مكر أعدائه، بل إن الله نجى صالحاً من القتل، ونجى موسى من فرعون، وأخرج محمد عليه الصلاة السلام من بين أظهر المشركين، فالله ﷻ جرت سنته في عباده أنه ينصر المؤمنين، ويدبر أمورهم، ويمكر بأعدائهم، ويأخذهم على حين غرة. لكن نجاة عيسى عليه السلام تختلف عن غيره من المرسلين، فلم يكتف الله ﷻ برفع عيسى، بل قابل مكرهم بمكر أشد، فإن الملأ من بني إسرائيل هموا أن يفتكوا بعيسى عليه السلام، وإرادته بالسوء والصلب، فوشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافراً، فقالوا له: إن هناك رجلاً يحرض الناس على الملك، ويصدهم عن طاعته، ويفرق بين المرء وزوجه وابنه، إلى غير ذلك من الكذب والبهتان الذي رموه به، فأوغروا صدر الملك حتى بعث في طلبه، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به، نجاه الله من بينهم، ورفعه من روزنة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل منهم كان عنده؛ فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم[2]. وقال الرازي: أما مكرهم بعيسى عليه السلام، فهو أنهم هموا بقتله، وأما مكر الله تعالى بهم، ففيه وجوه: الوجه الأول: مكر الله تعالى بهم هو أنه رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وما مكنهم من إيصال الشر إليه.

الوجه الثاني: أن الحواريين كانوا اثني عشر، وكانوا مجتمعين في بيت فنافق رجل منهم، ودل اليهود عليه، فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى، فأخذوا ذلك المنافق الذي كان فيهم، وقتلوه وصلبوه على ظن أنه عيسى عليه السلام، فكان ذلك هو مكر الله بهم.

الوجه الثالث: أنهم مكروا في إخفاء أمره، وإبطال دينه، ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته، وقهر بالذل والدناءة أعداءه، وهم اليهود والله أعلم[3]، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ

1- السمعاني، تفسير القرآن (479/3).

2- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (46/2).

3- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (236/8).

لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء:157-158.

3- علم الله المسبق بمكر الماكرين: "إن الله ﷻ يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها، كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها، فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه، فلا يكون بينهما تفاوت"[(1)]، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ الرعد:41، فالله جل جلاله يعلم ما تخفي قلوب الماكرين من شر وسوء، وهو قادر ﷻ أن يحمي عباده من مكرهم، "فلله أسبابُ المكر جميعًا، وبيده وإليه، لا يضرُّ مكرُ من مَكَر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم؛ لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلَه"[(2)].

4- الإهلاك بطريق غير مسبوق: إن الله عز وجل قد توعد الماكرين، الكارهين للحق، المكذبين به، المعادين لرسل الله وأوليائه بأنهم ليسوا بأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ *أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ *أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الأعراف:97-99، يقول الله تعالى: "هل أمن أهل القرى الكافرة أن يأتيهم عذابنا ونكالنا ليلاً وهم نائمون، أو أمنوا أن يأتيهم عذابنا في حال شغلهم وغفلتهم، أفأمنوا مكر الله، وبأسه، ونقمته، وقدرته عليهم، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم"[(3)]، فلا يأمن مكر الله إلا الخاسرون الكافرون بنعم الله عليهم، وقال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ النحل:26، وقال أيضاً: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ النحل:45. لذلك ورد عن الحسن البصري رحمه الله قوله:

1- ابن تيمية، مجموع الفتاوى (127/12).

2- الطبري، جامع البيان (499/16).

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (451/3).

"المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[1]، وعن سفيان بن عيينه أنه قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله"[2].

5- المكر السيء لا يحيق إلا بأهله: قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر:42-43، يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، قبل إرسال الرسول إليهم أن يكونوا أهدى من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل، فلما جاءهم رسول الله محمد ﷺ وجاءهم بالقرآن الكريم من عند الله ما ازدادوا إلا كفراً إلى كفرهم، واستكبروا عن اتباع آيات الله، ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله، ومنعهم في الدخول في الإيمان فما كان مكرهم إلا وبالاً على أنفسهم دون غيرهم، فهل ينتظرون عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره، فإن سنة الله لا تغير ولا تبدل، بل هي جارية كذلك في كل مكذب، بأن المكر لا يحيط إلا بأهله[3].

ذكر ابن القيم أمثلةً تطبيقية وعملية من واقع الناس لهذه القاعدة: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ في سياق حديثه عن المتحايلين على الأحكام الشرعية، فقال: "فالمحتال بالباطل معامل بنقيض قصده شرعاً وقدراً، وقد شاهد الناس عياناً أنه من عاش بالمكر مات بالفقر، ولهذا عاقب الله سبحانه وتعالى من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجداد بحرمانهم الثمرة كلها، وعاقب من احتال على الصيد المحرم بأن مسخهم قردة وخنازير، وعاقب من احتال على أكل أموال الناس بالربا بأن يمحق ماله. كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة: 276، فلا بد أن يمحق مال المرابي ولو بلغ ما بلغ. وأصل هذا: أن الله سبحانه جعل عقوبات أصحاب الجرائم بضد ما قصدوا له بتلك الجرائم ..."[4]، إلى أن قال: "إن من مَكر بالباطل مُكر به، ومن احْتال أُحتيل عليه، ومن خَادع غيره خُدع"[5].

6- تأجيل العذاب إلى يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس:21، "لما قابلوا

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- ابن الجوزي، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (298/7).

3- انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (560/6). الرازي، مفاتيح الغيب (246/26).

4- ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (358/1).

5- المرجع السابق، (360/1).

نعمة الله بالمكر، قابل مكرهم بمكر أشد منه وهو إمهالهم إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ﴾ يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الأعمال القبيحة السيئة إلى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم"[1]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سبأ:33، يخبر الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ أن الظالمين يوم القيامة محبوسين في الآخرة، يرد بعضهم على بعض القول، فيقول الأتباع المستضعفون سفلة القوم لقادتهم وأسيادهم ورؤسائهم لولا أنتم لكنا مؤمنين مصدقين، فيرد عليهم كبارهم وسادتهم أنحن منعناكم من الإيمان بعد أن جاءكم رسول من عند الله، بل أنتم مشركون، فيردون عليهم: بل مكركم بنا بالليل والنهار واحتيالكم بالدعوة إلى الشرك، وأن نجحد بوحدانية الله، ونجعل له أنداداً، فأظهروا الندامة والحسرة لما رأوا العذاب والأغلال في أعناق القادة والسفلة على السواء جزاء بما اقترفته أيديهم من عمل في الدنيا[2].

إن صفة المكر من الصفات الفعلية لله عز وجل، ولا يوصف الله عز وجل بهذه الصفة ابتداء، ولا تثبت إلا على وجه المقابلة والجزاء، لأن هذه الصفات من باب الابتداء نوع ظلم ونقص، والله تعالى منزه عن النقص، وإنما يفعلها عند ورود مقتضياتها؛ أي من باب الجزاء والمقابلة بالمثل، ولأنها دليل على كمال العلم، والقدرة، والقهر، والسلطان، والهيمنة، ولذلك فإنها لا توجد في الأدلة مضافة لله تعالى إلا في مقام الوعيد والجزاء بالمثل، وهي تدخل تحت قاعدة: الصفات التي هي كمال باعتبار، ونقص باعتبار، تثبت لله حال كمالها، وتنفى عنه حال نقصه، وإنما تذكر هذه الصفة في مقام المدح، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ الأنفال:30، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النمل:50، وحيث ثبت الدليل بذلك فنقول: نؤمن أن لله تعالى كيداً يليق بجلاله وعظمته، ونؤمن أنها لا تماثل صفات المخلوقين، فليس كمثل مكر الله مكر أحد من المخلوقين، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير[3].

سادساً: نماذج لسنة الله في أخذ الماكرين:

1- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (435/2).

2- انظر السمرقندي، بحر العلوم (92/3).

3- انظر العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. شرح العقيدة الواسطية،. خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل. ط6. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1421هـ- 2000م. (331/1-332).

من يتأمل التاريخ ويقرأ سطوره يكاد يجزم أنه لا توجد أمة من الامم اتصفت بالمكر والاحتيال والخديعة كما اتصف به اليهود، فهم ذو طبيعة وحشية همجية، لا يباريهم فيها أحد، أمة ممقوتة ملعونة، منبوذة من الناس، لا يكاد يحصلون على شيء من القوة والنفوذ والمال إلا وانقضوا على غيرهم انقضاض المفترس على الفريسة، ليس لهم عهد أو ميثاق، قتلة الأنبياء والمرسلين، أعداء الإسلام والمسلمين، لذلك سأخصص هذا المطلب للحديث عن مكر اليهود بين الماضي والحاضر.

1- اليهود وأقوالهم في الذات الإلهية: لم تتجرأ أمة من الأمم على الله عز وجل كما تجرأ اليهود، فلقد وصفهم الله ﷻ بأنهم مغضوب عليهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة:7]، وما غضب الله جل جلاله عليهم إلا لتصرفاتهم وأقوالهم، فمن أقوالهم التي كتبوها في توراتهم المحرفة عن الله ﷻ أنه نزل إلى الدنيا على هيئة إنسان وتصارع مع يعقوب عليه السلام في معركة دامت 10 ساعات انتصر فيها يعقوب على الله، وطرحه أرضاً، فكافأه الله بأن أطلق عليه اسم إسرائيل بدل يعقوب[1]، وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة:64]، قالوا أن يد الله بخيلة، مقبوضةٌ عن العطاء وإسباغ النِّعم علينا، قالوا هذا حين كفَّ الله تعالى عنهم بكفرهم بمحمَّد ﷺ ما كان يسلِّط عليهم من الخِصب والنِّعمة[2]، وقالوا ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:181]، نزلت هذه الآية عندما نزل قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ قالت اليهود: يا محمد افتقر ربك، فسأل عباده القرض؟ فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قالوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[3]، وقالوا في توراتهم المزيفة المحرفة أن الله لما خلق السموات والأرض تعب فاستراح[4]، فرد عليهم ﷻ مفنداً مزاعمهم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ق:38، ونسبوا إلى الله الولد ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة:30]، وعبدوا العجل من دون الله قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة:51]، وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [النساء:153]، وأنهم كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب ليُحسب أنه من عند الله

1- انظر سفر التكوين، اصحاح 32: 24-29. الكتاب المقدس. ط3.القاهرة: هليوبوليس، 1429هـ-2008م. ص2، ص39.

2- الواحدي، التفسير الوجيز، ص327.

3- الشعراوي، تفسير الشعراوي (1907/3).

4- انظر سفر التكوين، اصحاح 2:2، وسفر الخروج، اصحاح: 31:17، ص84.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:78]، كما أنهم حرفوا كلام الله ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ﴾ النساء:46.

جاء في تلمودهم الكتاب الثاني المقدس عندهم، والذي يأخذون منه تعاليمهم، أن الله يستشير الحاخامات في المسائل العويصة، جاء في التلمود: "إن الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء"[1]، وزعموا أن الله يندم ويلطم ويبكي، فقالوا: "يتندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى أنه يلطم ويبكى كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان، فتحصل الزلازل"[2]، وزعموا أن الله أخطأ، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقالوا عليهم لعنة من الله: "وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي، ويمضى ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي"[3]، وزعموا أن الله لا يمكن له أن ينقض تعاليم الحاخامات: "إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغيرها حتى بأمر الله"[4]، إلى غير ذلك من الأقوال والأفعال التي تدل على فساد عقائدهم، وخبث نواياهم، ومدى حقدهم على تكريم الله لأمة الإسلام والمسلمين، ومكرهم بمن حولهم حتى يبرروا لأنفسهم ما يفعلونه بغيرهم، فهم يرون أنفسهم كل شيء لأن الله أكرمهم بذلك، وغيرهم لا شيء لأن الله سخرهم لخدمتهم، فهم لا يقولون إلا ما قاله الرب، ولا يفعلون إلا ما أمرهم به الرب.

2- مكر اليهود بأنبياء الله ورسله: لقد بلغ المكر والإجرام باليهود أنه ما جاءهم من نبي أو رسول يدعوهم إلى الهدى ويأمرهم بالمعروف إلا قتلوه أو كذبوه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾ المائدة:70، وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

1- الزرقاء، مصطفى. الكنز المرصود في قواعد التلمود. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). ص33.

2- المرجع السابق، ص36.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص35.

[البقرة:61]، وقوله ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ النساء:155، فمن تأول الآيات بأن فسر القتل بالضرب والإيذاء فقد ألحد في آيات الله، دفاعاً عن اليهود، فخاب وخسر في الدنيا والآخرة.

لقد جاءت كل الشرائع السماوية بتحريم القتل بدون وجه حق، وفرضت القصاص على من يفعل ذلك، بما في ذلك التوراة فقد جاء في سفر التثنية، في الوصايا العشر التي ألقاها الرب على موسى عليه السلام: "لا تقتل"[1]، وفي سفر الخروج "من ضرب انساناً فمات فإنه يقتل قتلاً"[2]، ولكن اليهود لم يعملوا بتلك الشريعة، إذ إن القتل كان أسهل شيء عندهم، فكانوا لا يتورعون عن قتل الأنبياء، فقد ذكر ابن القم أن اليهود "قتلوا في يوم سبعين نبياً، وأقاموا السوق في آخر النهار كأنهم لم يصنعوا شيئاً"[3]، ومن أشهر الأنبياء الذين قتلهم اليهود أو حاولوا قتلهم:

أ- **محاولة قتل يوشع بن نون:** بينما موسى عليه السلام يمشي مع فتاه يوشع، إذ أقبلت ريح سوداء، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة؛ فالتزم موسى عليه السلام وقال: تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله، فاسُتل موسى عليه السلام من تحت القميص، وترك القميص في يدي يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص، أخذته بنو إسرائيل وقالوا: قتلت نبي الله، فقال: لا والله ما قتلته ولكنه اسُتل مني، فلم يصدقوه، وأرادوا قتله إلا أن الله برأه من ذلك[4].

ب- **إشعيا عليه السلام:** قبل الحديث عن إشعيا وأرميا ودانيال عليهم السلام، يجب أن ننوه أن هؤلاء الثلاثة وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل ذكروا في التوراة والإنجيل، وقد قال بنو إسرائيل بنبوتهم، ولم يأت القرآن أو السنة النبوية بتكذيب ذلك أو إثباته، ولقد اتبع علماء المسلمين قديماً وحديثاً قاعدة جليلة في تلك الإسرائيليات التي وصلتنا، وقد قسم العلماء حكم رواية الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام :

1- سفر التثنية، اصحاح5:4، ص214.

2- سفر الخروج، اصحاح 19:21، ص89.

3- الجوزية، ابن القيم: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: محمد أحمد الحاج. ط1. السعودية: دار القلم- دار الشامية، 1416هـ- 1996م. ص251.

4- ابن كثير، البداية والنهاية (371/1)، بتصرف.

الأول: مقبول: وهو ما علم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، وذلك كتعيين اسم الخضر عليه السلام، إذ ورد فيه حديث صحيح عند البخاري[1]. أو ما كان له شاهد من الشرع يؤيده، كقصة الكفل وغيرها[2].

الثاني: مسكوت عنه: وهو ما لم يعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا كذبه امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]"[3].

الثالث: مرفوض: وهو ما علم كذبه لتناقضه مع شريعتنا، أو مخالفته للعقل، ولا يصح تصديقه، ولا قبوله، ولا روايته، وإذا رواه المفسر في تفسيره وجب عليه بيانه. قال ابن كثير في مقدمة تفسيره، بعد أن ذكر حديث "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[4]، "ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد"[5][6]. وعلى هذا ما سأذكره من قصص الأنبياء يندرج تحت الحكم الثاني، والله أعلى وأعلم.

قال ابن إسحاق[7]: "ثم لما مات حزقيا ملك بني إسرائيل مرج أمرهم، واختلطت أحداثهم، وكثر شرهم، فأوحى الله تعالى إلى شعيا عليه السلام؛ فقام فيهم، فوعظهم، وذكرهم، وأخبرهم عن

1- البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، اب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، (35/1): رقم الحديث 122.

2- الترمذي، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، (657/4): رقم الحديث 2496. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، 181/3. حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث أبي نملة الأنصاري ﵁، 461/28.

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الانبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (170/4): رقم الحديث 3461. مسلم: صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، اب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، 10/1: رقم الحديث 2.

5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (10/1).

6- هميسه، بدر عبد الحميد. الإسرائيليات وحكم روايتها. موقع صيد الفوائد:
https://saaid.net/Doat/hamesabadr/185.htm

7- ابن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الإخباري، العلامة، الحافظ، صاحب السيرة النبوية، كان ثقة، حسن الحديث. انظر سير أعلام النبلاء (33/7-35).

الله بما هو أهله، وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذبوه، فلما فرغ من مقالته عدوا عليه، وطلبوه ليقتلوه، فهرب منهم، فمر بشجرة فانفلقت له، فدخل فيها، وأدركه الشيطان، فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها، فلما رأوا ذلك؛ جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها، ونشروه معها"[1].

ج- أرميا عليه السلام: "إن الله تعالى بعث أرميا عليه السلام إلى بني إسرائيل وذلك حين عظمت الأحداث فيهم، فعملوا بالمعاصي، وقتلوا الأنبياء، فطمع بختنصر فيهم، وقذف الله في قلبه وحدث نفسه بالمسير إليهم، لما أراد الله أن ينتقم به منهم، فأوحى الله إلى أرميا أني مهلك بني إسرائيل، ومنتقم منهم"[2]، فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا: "كذبت وأعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون"، فأخذوه وقيدوه وسجنوه، ثم قتلوه، فعند ذلك بعث الله عليهم بختنصر فأقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم؛ فجاس خلال الديار، وحكم فيهم حكم الجاهلية، وبطش الجبارين، فقتل منهم الثلث، وسبى الثلث، وترك الزمنى – أصحاب العاهات – والشيوخ والعجائز، ثم وطئهم بالخيل، وهدم بيت المقدس، وساق الصبيان، وأوقف النساء في الأسواق حاسرات، وقتل المقاتلة وخرب الحصون، وهدم المساجد، وحرق التوراة[3].

د- دانيال عليه السلام: كان عليه السلام من الأنبياء المعاصرين لأرميا، وقد سجن مع أرميا عليه السلام في نفس السجن، ولقد قتله اليهود بعد قتل أرميا، عندما هبطوا مصر، ويقال إن المسلمين عند فتح مدينة الاسكندرية وجدوا جثة النبي دانيال فأرسلوا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمرهم ان يحفروا له قبراً، و يدفنوه فيه، على ألا يعرف أحد مكانه؛ فتم دفنه في الإسكندرية[4].

هـ- يحيى عليه السلام: عن ابن عباس، قال: بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، قال: فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ، قال: وكان لملكهم ابنة أخ تعجبه، يريد أن يتزوجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك، فسألك حاجتك فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا، فلما دخلت عليه سألها حاجتها، قالت: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا، فقال: سليني غير هذا، قالت: ما أسألك إلا هذا، قال: فلما أبت عليه دعا يحيى، ودعا بطست فذبحه، فندرت

1- الطبري، تاريخ الطبري (537/1). ابن كثير، البداية والنهاية (40/2).

2- ابن كثير، البداية والنهاية (42/2).

3- انظر الطبري، تاريخ الطبري (589/1). ابن كثير، البداية والنهاية (45/2-46).

4- انظر ابن كثير، البداية والنهاية (49/2).

قطرة من دمه على الأرض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلته على ذلك الدم، قال: فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفا منهم، فسكن[1].

و- زكريا عليه السلام: لما قتل بنو إسرائيل يحيى عليه السلام، وسمع أبوه بمقتله؛ فر هارباً؛ فدخل بستاناً عند بيت المقدس فيه أشجار، فأرسل الملك في طلبه، فمر زكريا بشجرة، فنادته: هلم إلي يا نبي الله! فلما أتاها انشقت فدخل فها، فانطبقت عليه، وبقي في وسطها. فأتى عدو الله إبليس فأخذ طرف ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه إذا أخبرهم، فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد زكريا. فقال: إنه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخل فيها، قالوا: لا نصدقك! قال: فإن لي علامة تصدقوني بها، فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمنشار، فمات زكريا فيها. وقيل: إن السبب في قتله أن إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل فقذف زكريا بمريم، وقال لهم: ما أحبلها غيره، وهو الذي كان يدخل عليها، فطلبوه فهرب، وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم[2].

ز- محاولة قتل نبي الله عيسى عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تختلفون﴾ آل عمران:54-55، وقال أيضاً: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المسيح عيسى بن مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ﴾ النساء:157-158، "قيل: إن عيسى عليه السلام استقبله ناس من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، الفاعل ابن الفاعلة! وقذفوه وقذفوا أمه، فسمع ذلك؛ فدعا عليهم، فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير، فلما رأى ذلك فزع وخاف. وأجمع اليهود على قتله، فاجتمعوا عليه فسألوه، فقال: يا معشر اليهود، إن الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته، وثاروا إليه ليقتلوه، فبعث إليه جبرائيل فأدخله في خوخة إلى بيت فيها روزنة في سقفها فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه أن يدخل إليه فيقتله. فدخل فلم ير أحداً، وألقى الله عليه شبح المسيح، فخرج إليهم فظنوه عيسى، فقتلوه،

1- الطبري، تاريخ الطبري (586/1)، بتصرف.

2- انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ (273/1). ابن كثير، البداية والنهاية (412/2).

وصلبوه. وقيل: إن عيسى قال لأصحابه: أيكم يريد أن يلقى عليه شبهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم: أنا يا روح الله؛ فألقي عليه شبهه، فقتل وصلب"[1].

3- مكر اليهود برسول الله محمد ﷺ: إن اليهود عليهم لعائن الله يعرفون رسول اللَّه ﷺ معرفة جلية، يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين كما يعرفون أبناءهم، فكما أنه لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم، فهم كذلك لا يشتبه عليهم رسول الله ﷺ بوصفه ونعته وخَلْقِهِ وخُلُقِهِ ومكانه وقبلته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:146]، عن عمر رضى اللَّه عنه أنه سأل عبد اللَّه بن سلام عن رسول اللَّه ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإني لا أدري ما كان من أمره[2]، ومع ذلك كفروا به وبرسالته، واتهموه بالكذب والجنون والسحر، ولم يتركوا فرصة سانحة ليتخلصوا منه إلا واستغلوها، كما هي عادتهم في قتل الأنبياء، وتذكر لنا كتب الحديث والسير أن هنالك محاولات لاغتيال النبي ﷺ من قبل اليهود؛ فالأولى: هي محاولة قتله واغتياله من قبل بني النضير: "أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ بِالْغَدْرِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْيَخْرُجْ مِنَّا ثَلَاثُونَ حَبْرًا، حَتَّى نَلْتَقِيَ بِمَكَانِ الْمَنْصَفِ فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ آمَنَّا بِكَ، فَقَصَّ خَبَرَهُمْ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ ..."[3]، وفي رواية أخرى: "أَجْمَعَ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى الْغَدْرِ فَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ وَيَلْقَاكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا؛ فَإِنْ آمَنُوا بِكَ اتَّبَعْنَاكَ، فَفَعَلَ، فَاشْتَمَلَ الْيَهُودُ الثَّلَاثَةُ عَلَى الْخَنَاجِرِ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى أَخٍ لَهَا مِنَ الْأَنْصَارِ مُسْلِمٍ تُخْبِرُهُ بِأَمْرِ بَنِي النَّضِيرِ، فَأَخْبَرَ أَخُوهَا النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ وَصَبَّحَهُمْ بِالْكَتَائِبِ فَحَصَرَهُمْ يَوْمَهُ ..."[4].

وذكر أهل السير محاولة يهودية أخرى لقتل النبي ﷺ: "خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري. فلما خلا بعضهم ببعض قالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن رجل يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه

1- انظر ابن الاثير، الكامل في التاريخ (283/1). ابن كثير، البداية والنهاية (508/2).

2- انظر الزمخشري، الكشاف (204/1). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (462/1).

3-السجستاني: سنن أبو داوود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في خبر النضير، 156/3: رقم الحديث: 3004، قال الألباني: صحيح الإسناد.

4- العسقلاني، فتح الباري (331/7).

صخرة فيريحنا منه؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب: أنا، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فانصرف عنهم"[1].

أما المحاولة الثانية لقتله ﷺ فهي: أن امرأة يهودية تدعى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم أهدت للنبي ﷺ شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة يحب رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع؛ فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها؛ فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ؛ تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فاستساغ اللقمة فمات منها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها؛ ثم قال إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، فاعترفت اليهودية بفعلتها[2].

لم يكتف اليهود بمحاولات قتل النبي ﷺ، بل لجأوا إلى العمل بالخفاء يكيدون للإسلام والمسلمين، فكان يهود بني قينقاع أول من أثار الشغب على المسلمين، واستفزهم، وكانوا من أغنياء المدينة، ولهم فيها حصون حربية، وعندما اشتد طغيانهم ومكرهم بالمسلمين، جمعهم رسول الله ﷺ فنصحهم، وذكرهم، إلا أن يهود بني قنيقاع استمروا في غيهم وطغيانهم وتحرشهم بالمسلمين، إلى أن حدث ذات يوم أن امرأة من العرب قدمت ببضاعة لها؛ فباعتها بسوق بني قنيقاع، وجلست إلى صائغ، فاجتمع حولها نفر من اليهود يتحرشون بها، وطلبوا منها كشف وجهها فأبت ذلك، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها؛ فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحك اليهود منها، وسخروا، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، وسرعان ما لجأ اليهود إلى حصونهم استعداداً للحرب واعتصموا فيها؛ فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة انتهت بإجلائهم عن المدينة، وكف شرهم وضررهم على المسلمين[3].

وكذلك فعل يهود بني قريظة؛ فقد نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع رسول الله ﷺ، وتحالفوا مع المشركين لغزو المدينة في غزوة الأحزاب بعد أن أخذ منهم رسول الله العهود والمواثيق أن لا يُؤتى المسلمون من قبلهم، ولكنهم أبوا إلا الكفر والضلال، فيأتي جبريل عليه السلام بأمر الحرب، ويمتثل رسول الله ﷺ للأمر فيؤذن بالناس من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا

1- ابن هشام، السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ - 1955م. (563/1). البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية ، 1405هـ - 1984م. (354/3).

2- المرجع السابق، (309/4).

3- انظر المرجع نفسه، (3/314-315). ابن الأثير، الكامل في التاريخ (30/2). ابن كثير، البداية والنهاية (5/4).

ببني قريظة[1]، وينصر الله رسوله والمسلمين وينجيهم من مكر يهود، فيحكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله من فوق سبع سماوات أن يُقَتَّل رجالهم، وتُسْبَى نساؤهم وذراريهم، وتقسم أموالهم بين المسلمين[2].

هذه بعض الأحداث التي حاول فيها اليهود المكر برسول الله ﷺ، ولو أردنا إحصاءها لتطلب ذلك مجلدات، ولكن الحمد لله الذي رد مكرهم في نحرهم، وأذلهم الله ﷻ علي يدي حبيبه ﷺ، فأخرجهم رسول الله من شبه الجزيرة العربية وطهرها من نجسهم.

4- مكر اليهود بالمسلمين: قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المائدة:82، إن في هذه الآية خطاباً للنبي ﷺ خاصة وللمؤمنين عامة، لأن شدة عداوة اليهود للمسلمين ظاهرة ومكشوفة وأمر مقرر يراه كل من يرى، ويجده كل من يتأمل، لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة، وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة، وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلام ﷺ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل، والتي لم تخبُ لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرناً، وما تزال حتى اللحظة يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعاً، فمنذ اللحظة الأولى لولادة الإسلام ألبوا عليه كل قوى الجزيرة العربية المشركة، وراحوا يجمعون القبائل المتفرقة، لمحاربته، ولما غلبهم الإسلام بقوة الحق يوم أن كان الناس مسلمين، استداروا يكيدون له بكل الوسائل والطرق، وذلك من خلال:

أ- الدس بين صفوف المسلمين وإثارة الفتن: وذلك عن طريق استخدام حديثي العهد بالإسلام، ومن ليس لهم فيه فقه من مسلمة الأقطار، وتأليب خصومه عليه في أنحاء الأرض.. حتى انتهى بهم المطاف أن يكونوا في العصر الأخير هم الذين يقودون المعركة مع الإسلام في كل شبر على وجه الأرض، وهم الذين يستخدمون الصليبية والوثنية في هذه الحرب الشاملة، وهم الذين يقيمون الأوضاع، ويصنعون الأبطال الذين يتسمون بأسماء المسلمين، ويشنونها حرباً صليبية صهيونية على كل جذر من جذور هذا الدين[3].

1- انظر ابن هشام، السيرة النبوية (192/4).

2- انظر ابن هشام، السيرة النبوية (199/4). ابن الأثير، الكامل في التاريخ (71/2). ابن كثير: البداية والنهاية (124/4).

3- انظر قطب، في ظلال القرآن (960/2-961).

ب- نشر الرذيلة والفساد: لقد عاش اليهود طوال حياتهم بؤرة فساد في المجتمعات، وأساس كل منكر وفحشاء، ينشرون الرذيلة ويشيعون الفساد، وقد كانوا عبر التاريخ مصدراً لكل قبيح، فهم أصحاب بيوت الدعارة في العالم، وناشرو الانحلال الجنسي في كل مكان، يبتزُّون أموال الشعوب ثم يسخرونها في إشاعة الرذيلة بينهم؛ ليحطِّموا بذلك قيمهم، ويخلخلوا إيمانهم، ويضعِفوا قوتهم، وليكونوا بذلك فريسةً سهلة لهم، فما أقبحه من مكر[1].

ج- التمييز العنصري: إن اليهود عليهم غضب الله ينظرون إلى كل من ليس يهودياً كأنه "شيء" جامد أو دون ذلك، وأنهم كل شيء، وأنهم شعب الله المختار، وأن العالم ملك لهم بكل من فيه وما فيه، وأن كل من ليس منهم فهو عدو لهم، فيعملون على سحقه، إذ يستحلون العدوان على سائر الأمم، وادعاء ملكيتها كأنها جمادات، ويوجبون بل يستوجبون على أنفسهم عداءها والعدوان عليها، لأن شريعتهم لا تكتفي بتسويغ جرائمهم؛ بل تشجعهم على التفنن والإفراط فيها، ثم تكفل لهم المثوبة عليها من معبودهم "يهوه" رب الجنود الذي يختصونه بالعبادة، ويزعمون أنه اختصهم لنفسه دون سائر البشر، ووفق هذه المعاهدة الشيطانية بينهم وبينه يتسلطون على كل العباد والبلاد[2]، "فاليهود يملكون كل شيء، ويتركون كل شيء، ويمسكون بأيديهم كل شيء"[3]، ويضيف مالك بن نبي: "أن اليهودي لا يرتبط بأي بلد ما حتى ولو عاش فيه قروناً[4].

د- ترويج الشعارات الكاذبة: لقد وضع اليهود شعاراً مثلثاً لأي ثورة هو: "الحرية، المساواة، الإخاء"، فبدأوا بالثورة الفرنسية حيث أعدوا الخطط اللازمة لنجاحها، من خلال مجموعة من النورانيين من الحاخامين اليهود، واستخدموا للبدء بالدعوة إليها بين سادة المال اليهود العالميين؛ من أمثال الثري المرابي الكبير "روتشيلد الأول" ثمّ ابنه "ناتان روتشيلد". فدعا "روتشيلد الأول" اثني عشر رجلاً يهودياً من أرباب المال العالميين إلى "فرانكفورت" وتدارسوا في إعداد الخطط اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية، واتفقوا على وضع إمكانياتهم المالية لتنفيذها. فقال روتشيلد مخاطباً المؤتمرين: ليست هذه سوى شعارات كنا أول من تظاهر بتبنيها، ووضعناها في أفواه الجماهير لترددها كالببغاوات، فاستطعنا أن نثير حماسة الجماهير وانفعالها إلى درجة قصوى،

1- انظر البدر، عبد الرزاق عبد المحسن: خطر اليهود، http://al-badr.net/muqolat/2565.

2-انظر مارسدن، فيكتور. بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة عجاج نويهص. توافق نصوص الطبعة الإنكليزية الحادية والثمانين الصادرة سنة 1958م. ص25-26.

3- نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر. وجهة العالم الإسلامي- المسألة اليهودية. ط1. (د. م). (د. ن). 1433هـ- 2012م. ص91.

4- المرجع السابق، ص96.

عن طريق استعمال تعابير خلابة، مثل: الحرية والتحرر والخ..، وحينئذٍ يمكن توجيه الجماهير إلى تحطيم واكتساح كل شيء، حتى القوانين الطبيعية والإلهية والخلقية. وعندما نبلغ السيطرة النهائية أخيراً، سيكون من السهل علينا أن نمحو اسم الله، والقوانين الإلهية من الطبيعة[1].

هـ- المكر السياسي: لقد هيمن اليهود على الانتخابات والتسميات للمناصب العامة، وذلك عن طريق استخدام سلطان شبكات العملاء، والدعايات الواسعة، باسم شعارات تحررية مزعومة، للتحريض على الفوضى والعصيان، وتأليب الجماهير بحملات منظمة تقوم بتمويلها مجموعة الأموال العالمية التابعة للمؤامرة. فلا نجد زعيماً أو رئيساً يتسلم منصباً رفيعاً إلا بعد موافقة اليهود على تنصيبه، حتى أصبح كل ذي منصب دمية يحركها ذوو الخبرة اليهود في لعبة شطرنج من وراء ستار خفي[2]. فها هو روتشيلد يصرح بقوله: "يجب أن تصل دبلوماسيتنا الخفية إلى درجة من النفوذ والتغلغل، بحيث لا يصبح من الممكن لأية أمة أن تعقد أي اتفاق، أو تجري أي مفاوضات، دون أن يكون لدبلوماسيتنا يدٌ في الأمر"[3].

و- تمزيق الأمة الإسلامية: فقد نشرت صحيفة "كيفونيم" اليهودية بتاريخ 14 فبراير 1982م، مقالاً شرحت فيه السياسة المطلوب اتباعها في المنطقة المحيطة بالكيان الصهيوني، فجاءت كالتالي: يجب علينا تجزئة مصر، وتشكيل حكومة قبطية في مصر العليا، وإقامة كيانات صغيرة إقليمية، وتقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم. وتفتيت العراق وسوريا إلى مناطق تحدد على أساس عنصري أو دين، وأول خطوة لتحقيق ذلك هو تدمير القوة العسكرية لتلك الدول. وإن التشكيل السكاني لسوريا يعرضها لتمزق قد يؤدى إلى إنشاء دولة شيعية على الساحل، ودولة سنية في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وإنشاء كيان درزي قد يرغب في أن يتحول إلى دولة على أرض الجولان التابعة لنا تضم حوران وشمال المملكة الأردنية. مثل هذه الدولة ستكون على المدى الطويل ضماناً لأمن وسلام المنطقة. أما العراق فهي غنية بالبترول، وفريسة لصراعات داخلية، وسيكون تفككها أهم بالنسبة لنا من تحلل سوريا، لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل. وقيام حرب سورية عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخلياً قبل أن يصبح قادراً على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا. وكل نزاع داخلي عربي سيكون في صالحنا، وسيساعد على تفكك العرب. ويجب أن يفهم الفلسطينيون أنه لا يمكن أن يكون

1- انظر الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. كواشف زيوف. ط2. دمشق: دار القلم، 1412هـ - 1991م. ص60، ص66.

2- انظر المرجع السابق، ص 64-65.

3- المرجع نفسه، ص66.

لهم وطن إلا في الأردن. ولن يعرفوا الأمن إلا بالاعتراف بالسيادة اليهودية على كل ما يقع بين البحر ونهر الأردن[1].

ز- **صناعة الإرهاب:** لقد أشار روتشيلد إلى ضرورة حكم الإرهاب، لأنه أوفر الطرق نفقات، وأشدها فعالية، ولا يمكن الاستغناء عنه بعد أي تمرّد مدبّر، لنشر الذعر في أفئدة الجماهير، ولإخضاعها بالسرعة اللازمة، وأضاف قائلاً: سنعهد بزعامة حكم الإرهاب أولاً إلى بعض الخياليين الساذجين المخدوعين، وبعض المجرمين، ثم نقوم بإعدام هؤلاء في الوقت المناسب، وبذلك نظهر لأعين الجماهير كمحرريها من الظلم والاضطهاد، وكالأبطال المنقذين. هذا في الوقت نفسه الذي نهدف فيه إلى العكس تماماً، أي: إلى السيطرة المطلقة والانتقام من كافة الجوييم(غير اليهود)[2].

ح- **الاحتكارات العالمية:** لقد قام اليهود بإنشاء احتكارات عالمية ضخمة، تدعمها ثرواتهم المتحدة بمجموعها، حتى وصلت هذه الاحتكارات إلى درجة من السلطان والهيمنة لا يمكن معها لأي ثروة وطنية يمتلكها غير اليهود في البلدان التي تسمح شرائعها بامتلاكها، إلا أن تقع تحت وطأة هذه الاحتكارات. حتى إذا استطاعت أمة من الأمم التقدم باقتصادها ضرب اليهود اقتصاد تلك الأمة الضربة القاضية، حتى تتهاوى اقتصادياً وسياسياً، وتتهاوى معها جميع الثروات الوطنية[3].

إن من يحمل مثل هذ الصفات، وهذه الأخلاق، لن يكون إلا وبالاً على نفسه وعلى غيره، ومهما مكروا بالمسلمين؛ فإن مكرهم سيعود عليهم عاجلاً أم آجلاً، وعداً من الله غير مكذوب، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء:87.

1- انظر محمد قطب، واقعنا المعاصر (2/78-79-80).

2 - انظر الميداني، كواشف زيوف، ص66، بتصرف.

3- انظر المرجع السابق، ص66-67، بتصرف.

المطلب الثالث

المترفين

أولاً: الترف لغة واصطلاحاً:

الترف لغة: هو اللين وسعة العيش والتنعم، والترفه: النعمة، والطعام الطيب، والتتريف: حسن الغذاء، والإرفاه: الاستكثار من الزينة والتنعم، وقال الراغب الأصفهاني: الترف: التوسع في النعمة، وفسر قتادة المترف بالجبار لقوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾الإسراء:16، أي: جبابرتها، وألوا الترفه: الرؤساء وقادة الشر، وقيل المترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها، وقيل: منعم البدن مدللاً[1].

الترف اصطلاحاً: هو التوسعة الزائدة في الإنفاق، والإغداق على النفس بجميع الشهوات واللذائذ، والاستمتاع بجميع المباحات.

ثانياً: أسباب الترف:

1- طول الأمل ونسيان الموت: قال تعالى: ﴿"ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر:3، إن إقبالهم على التمتع واستغراقهم في طول الأمل يُلهيهم عن الإيمان والطاعة، وإن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين، وقال بعضهم: "التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين"[2]، قال رسول الله ﷺ: "يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ، وَيَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ"[3]، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق"[4]، لذلك نهانا الإسلام عن الترفه والتنعم لأنهما من أسباب قسوة القلب ونسيان الآخرة.

2- الاهتمام البالغ بمتطلبات الجسد: لقد بلغ الأمر بكثير من المسلمين إلى الاهتمام بأجسادهم، حتى لم تعد تفرق بين رجالهم ونسائهم للين ملمس أجسادهم، فلم يتركوا باباً لإمتاع أجسادهم إلا

1- انظر الزبيدي، تاج العروس (549/23). ابن منظور، لسان العرب (17/9). ابن فارس، مقاييس اللغة (345/1).

2- الرازي، مفاتيح الغيب (119/19).

3- القزويني: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، (1415/2): رقم الحديث 4234. الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في قلب الشيخ شاب على حب اثنتين، (570/4): رقم الحديث 2339، قال الألباني في صحيح الجامع: 8173: حديث صحيح.

4- ابن المبارك، الزهد والرقائق (86/1).

وولجوه، من مكيفات في كل مكان، واستخدام أنواع كثيرة من المراهم والكريمات، لترطيب بشرتهم، وارتداء الملابس الناعمة وخاصة الحرير منها، وركوب السيارات الفارهة الفاخرة؛ التي تحتوي على كل أسباب التكنولوجيا والراحة، وسُكنى القصور والعمارات الفارهة، والنوم على وسائد ريش النعام، ولقد نُهينا شرعاً عن مثل هذا الترفيه، لما فيه من إضاعة النخوة والمروءة، وشيوع الميوعة، قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إياكم والتنعم، وزي العجم، وعليكم بالشمس؛ فإنها حمام العرب، وتمعددوا[1]، واخشوشنوا[2]، واخشوشبوا[3]، واخلولقوا[4]، وأعطوا الركب أسنتها، وانزوا نزوا، وارموا الأغراض"[5].

وقال الشيخ المجاهد عبدالله عزَّام[6]: "لقد رأيت أنَّ أخطر داء يودي بحياة الأمم هو داء الترف الذي يقتل النخوة، ويقضي على الرجولة، ويخمد الغيرة، ويكبت المروءة"[7].

3ـ كثرة المال ووفرة النعم: إن زيادة المال، ووجود النعم ووفرتها، من أهم أسباب الترف ودواعيه، ذلك أن كثرة المال غالباً يعمي ويصم، ويدعو إلى الركون والمتعة والراحة، ويدفع صاحبه إلى البذخ والإنفاق في غير حاجة، وقد أوضح الله ﷻ في كتابه هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ العلق:6-7، فإن كثرة المال ووفرته تؤدي إلى الإسراف في المأكل والمشرب والملبس قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ مِنْ شِرَارِ أُمَّتِي الَّذِينَ غُذُّوا بِالنَّعِيمِ، وَنَبَتَتْ عَلَيْهِ أَجْسَامُهُمْ، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، وَيَتَشَدَّقُونَ

1- تمعدد الغلام: شب وغلظ. وقيل معناه: تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكان ذا غلظ وتقشف.

2- اخشوشن: تخشن في المطعم والملبس.

3- اخشوشب: صار صلباً كالخشب في أحواله وصبره على الجهد

4- تبذلوا في الملابس.

5- ابن حبان، صحيح ابن حبان (270/12). البغوي، معجم الصحابة (137/4).

6- عبد الله عزام: هو رائد "الجهاد الأفغاني"، كان منتمياً لجماعة الإخوان المسلمين، نقل قضية الجهاد الإسلامي في أفغانستان إلى قضية إسلامية عالمية، والعمل على إيقاظ الهمم واستنفار المسلمين في أرجاء العالم للوقوف بجانب هذا الجهاد المبارك. وكان شخصية محورية في تطوير الحركات الإسلامية المسلحة. أسس عبد الله عزام مدرسة فكرية وبنية تحتية شبه عسكرية كانت تركز على الصراعات الوطنية ، الثورية والتحررية المنفصلة. انظر رائد "الجهاد الأفغاني" .. عبد الله يوسف عزام 1941م. موقع: ويكيبيديا الإخوان المسلمون: http://www.ikhwanwiki.com/

7- الشحود، علي بن نايف: المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى (137/4). موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (32/68)، الموسوعة الشاملة.

بِالْكَلامِ"[1]، فالتخليط في الطعام مذموم شرعاً وطباً، ومن التخليط في الطعام والشراب مشابهة لأهل الدنيا من الكفار؛ الذين قال ﷻ في المترفين بالنعم: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ الأحقاف:20.

إن الإنسان مسؤول ومحاسب عن النعم هل أدى حقها؟ وفيما استخدمها؟ قال الله ﷻ: ثُمَّ ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:8]، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ أُصَحِّحْ جِسْمَكَ وَأَرْوِيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ"[2].

4- حب التقليد والتأثر بالواقع: لقد عمت المدَّنية واقعنا المعاصر، وأصبح الاهتمام بالمظاهر العامة أمراً واضحاً جلياً في كل مناحي الحياة، حتى أصبح الاهتمام بالمظهر الاجتماعي من أولى أولويات كثير من المسلمين، حتى أصبح المقياس الذي يقاس به الناس ما يملكه الفرد من مظاهر فارغة وقشور زائفة، فتبدلت الموازين وطغت المادة عند كثير من الناس[3]، ووصل الأمر بالمسلمين إلى محاكاة الغرب وتقليده الأعمى في كل شيء، فتم استيراد القيم والمبادئ المادية الهدامة، والتشبه بالنصارى واليهود في المأكل والملبس والمشرب، مما أدى إلى تراجعنا الحضاري ونكوسنا العلمي، وانهيار أمتنا وهلاكها، وذلك أن الناس "إذا اتّخذوا الدّعة والرّاحة مألفاً وخلقاً؛ صار لهم ذلك طبيعة وجبلّة، شأن العوائد كلّها وإيلافها فتربى أجيالهم الحادثة في غضارة العيش ومهاد التّرف والدّعة، وينسون عوائد البداوة الّتي كان بها المُلك من شدّة البأس؛ فتضعف حمايتهم، ويذهب بأسهم، وتنخضد شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدّولة، بما تلبّس من ثياب الهرم، ثمّ لا يزالون يتلوّنون بعوائد التّرف والحضارة، والسّكون والدّعة، ورقّة الحاشية في

1- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق: مسند البزار 243/16: رقم الحديث 9415، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1430هـ- 2009م، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 1891: حديث صحيح.

2- البجلي، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد: الفوائد (96/1)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط1. الرياض: مكتبة الرشد، 1412هـ- 1991م، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 539: حديث صحيح.

3- انظر العمار، ناصر بن عبد الله: الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم، مجلة دعوة الحق- رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة، العدد 118، 1412هـ- 1991م. ص 41.

جميع أحوالهم وينغمسون فيها، وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة، وينسلخون عنها شيئاً فشيئاً، وينسون خلق البسالة الّتي كانت بها الحماية والمدافعة"[1].

4ـ ضعف التربية والتوجيه للشباب: لقد تعددت وسائل التربية في زمننا الحاضر، فليس للآباء فقط مهمة تربية الأبناء، ولا المعلم في المدرسة، بل دخلت كل وسائل الإعلام والاتصال في تربية الأبناء، بل تفوقت، بالإضافة إلى قرناء السوء من الأصدقاء، حتى أصبح هؤلاء جميعاً أشد تأثيراً من الأسرة، فنتج عن ذلك ضعف التربية، وضعف التوجيه الجاد والمناسب للشباب، في كيفية التعامل مع فتنة الحياة الدنيا وزخرفها، فنشأ جيل لين هين، كسول ضعيف، لا يحمل أي نوع من الْجَلد والخشونة، والجدية، عاجز عن حل مشاكله الشخصية، فما بالك بمشاكل أمته، غير قادر على تحمل أي جزء من المسؤولية، فصار جيلاً متخبطاً، غير منتج، غير واعٍ ولا مدركٍ لما يحاك له في الخفاء من قبل أعدائه، فضاع كثير من الأبناء نتيجة تقصير الآباء، وعدم حملهم الأمانة على أتم وجه.

5- **كيد الأعداء:** لقد حرص أعداء الأمة وأعداء الإسلام على غمسنا في الترف، فما تركوا من وسيلة لذلك إلا وسلوكها، فعملوا على أن تبقى مفاتيح أبواب الترف في أيديهم، لتحكم سيطرتهم علينا، وما الألعاب الإلكترونية على أجهزة التواصل بكل أشكالها إلا شاهد على ذلك، فلقد خصصت معظمها للعرب وأبنائهم، إلى غير ذلك من البرامج الغنائية، والمسابقات التافهة، التي مُلئت بها شاشات التلفزة؛ الهدف منها إبعاد المسلم عن التفكير في قضايا أمته وتنشئته على الميوعة والانحلال، فقد قال اليهود في بروتوكولاتهم: "فَنُعنى بنشر الوسائل المغرية بالترف، وعبادة الأناقة بين الغوييم – غير اليهود –، ونشوّقهم إلى هذا الطور، ونزين لهم ملذاته وأطايبه"[2]، وقالوا أيضاً: "ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج، والمسليات والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها، والإكثار من القصور المزوقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس؛ فتتوجه أذهانها إلى هذه الأمور، وتنصرف عما هيأناه، فنمضي به إلى حيث نريد"[3].

1- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر، 1408هـ - 1988م. ص212.

2- بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول السادس، ص 35.

3- المرجع السابق، البروتوكول الثالث عشر، ص 68.

هذه هي بعض أسباب الترف الأساسية وليس كلها، ناهيك عن حب الدنيا، والسعي وراء ملذاتها، وشهوات النفس ورغباتها، والجهل بالدين، والابتعاد عن طاعة الله، والجهل بأضرار الترف وآثاره على الفرد وعلى المجتمع وعلى الأمة بأسرها، ولم أستفض في ذلك خوفاً من التكرار.

ثالثاً: صفات المترفين: لقد ورد ذكر الترف في ثمانية مواضع من كتاب الله كلها في مقام الذم له والتحذير منه، أو من ذكر صفات المترفين، وجاءت السنة النبوية أيضاً تنهى عن الترف، وتحذر من تعلّق القلب به، ومن انغماس المرء في متع الحياة وملذاتها، وتحث على تركه، والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين، قال رسول الله ﷺ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ "[1].

من صفات المترفين التي ورد ذكرها في القرآن والسنة:

1- الكفر بالله والتكذيب بالرسل عليهم السلام: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ سبأ:34، وقال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ الزخرف:23-24.

2- قلة العبادة والتكاسل عن الطاعة: إن قلوب المترفين ممتلئة بحب الدنيا وتحصيل متعها وشهواتها، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ مريم:59، "أوحى الله ﷻ إلى داود: يا داود، حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة، وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا آثر شهوة من شهواته علي أن أحرمه طاعتي"[2]، وإن قلب ابن آدم إذا مُليء بشيء حتى فاض استحال ملؤه بغيره، قال ابن حازم: "يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة"[3].

1- ابن ماجة، سنن ابن ماجة 1192/2: رقم الحديث: 3605. أحمد بن حنبل، مسند الامام أحمد 245/6: رقم الحديث 6695 ، قال الإمام أحمد في مسنده: حديث حسن. وقال الألباني في مشكاة المصابيح 4381: حديث حسن.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (245/5).

3 - ابن أبي الدنيا، ذم الدنيا، ص 134.

3- الإفراط في تناول الأطعمة والأشربة: حتى أدى بهم الأمر إلى تحليل ما حرَّم الله، بأن أطلقوا مسميات كثيرة على أنواع المسكرات والخمور لتحليلها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة:90]، بالإضافة إلى ما يؤدي الإفراط في تناول الأطعمة من أمراض كالسمنة والقلب والجلطات وغيرها، قال رسول الله ﷺ: "مَا وِعَاءٌ شَرَّ مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْمُسْلِمِ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"(1)،

4- المبالغة في العناية بنعومة الجسد، وطراوته، وترهُّل الأطراف، والاستكثار من الكماليات، ووسائل العناية بالنفس، والإفراط في التدهن، والتطيُّب، وترجيل الشعر، عن عبد الله ابن مغفل رضي الله عنه قال: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا"(2)، أي: يسرح شعره يوماً ويتركه يوماً، بالإضافة إلى التباهي بالملابس الراقية والأقمشة الفاخرة، متعالياً على غيره، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مَخِيلَةً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ"(3)، وعنه أيضاً قال: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"(4)، وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا"(5).

1- النسائي: السنن الكبرى، كتاب الوليمة، ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل، 269/6: رقم الحديث 6739. الحاكم: المستدرك على الصحيحين، كتاب الاطعمة، 135/4: رقم الحديث 7139، قال الألباني في السلسلة الصحيحة 2265: حديث صحيح.

2- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المدنيين، حديث عبد الله بن مغفل المزني ﷺ، 348/27: رقم الحديث 16793. النسائي: السنن الكبرى، كتاب الزينة، الترجل غباً، 317/8: رقم الحديث 9265. قال الألباني في السلسلة الصحيحة 501: حديث صحيح.

3- البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، 142/7: رقم الحديث 5791. مسلم: صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم جر الثوب خيلاء، وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب، 1652/3: رقم الحديث 2085.

4- البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، 141/7: رقم الحديث 5789. حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عملا بن الخطاب ﷺ، 28/15: رقم الحديث 9065.

5- الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، 650/4: رقم الحديث 2481، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة 718: حديث صحيح.

5- التبذير والإسراف وإنفاق الأموال الطائلة في العمران، من بناء البيوت والقصور الفاخرة، مع الحرص على تعدد استخدامها فبعضها للشتاء وبعضها للصيف، وبعضها للسكن، وبعضها للنزهة إلى غير ذلك من مسابح وأماكن للعب والترفيه ... بالإضافة إلى بناء مدن للسياحة، والألعاب الرياضية، والفنادق، والمتاحف، وأماكن للفجور إلى غير ذلك، والإسراف في اقتناء الكماليات من السيارات، والجوالات، وساعات اليد، والإكسسوارات و... قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:14].

6- عدم قيام الإنسان بواجباته الملقاة على عاتقه، وتركها لمن هو دونه من الخدم والحشم والعمال، والمفاخرة بهم، قال رسول الله ﷺ: "كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ"[1].

7- المترفون جهلة، ولا علم عندهم ولا معرفة، فإن كثرة المال وطيب العيش تسد مسالك العلم إلى النفوس، فلا تتجه النفوس إلى العلم مع الترف غالباً، فلذائذ الحياة وكثرتها تطمس نور القلب، وتعمي البصيرة، وتذهب بنعمة الإدراك[2].

8- المترفون يحتقرون الفقراء والمستضعفين: إن من أسوأ أخلاق المترفين الكبر، فقد استعظموا نفوسهم، واحتقروا غيرهم ممن هم أقل منهم جمالاً ومالاً وحسباً ونسباً، فاعتقدوا أنهم أفضل منهم وامتنعوا عن مخالطتهم ومجالستهم[3]، لاعتقادهم الباطل أنهم أفضل منهم مكانة ومنزلة.

رابعاً: سنة الله في عقاب المترفين:

لقد قصَّ الله ﷻ في كتابه قصص المترفين، وما في تلك القصص من العبرة والعظة، ومن خلال تلك القصص تظهر سنة الله جلية واضحة لا تغيير فيها ولا تبديل، إن دوام النعم وبقاءها منوط بشكر المنعم، وإن زوالها منوط بالكفر والفساد وسوء الأخلاق، وداء الترف الذي

1- حنبل: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، 36/11: رقم الحديث 6495. النسائي: سنن النسائي الكبرى، كتاب عشرة النساء، إثم من ضيع عياله، 268/8: رقم الحديث 9131، قال أبو عبد الله الحاكم في مستدركه 545/4: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

2- انظر يعقوب، محمد حسين: الترف ... مظاهره أسبابه علاجه. البريك، سعد بن عبد الله. الترف، موقع طريق الإسلام. ، المنجد، محمد صالح. مفسدات القلوب – الترف.

http://www.saadalbreik.com/saad/inde

http://www.islamicaudiovideo.com

http://almunajjid.com

3- بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء، السنن الإلهية في الكتاب والسنة، ص137.

يصيب الناس جماعات وأفراداً هم تجاوز لإطار نمط الحياة التي حددها الله لنا، وأوصانا بها في كتابه الكريم ومن خلال سنة رسوله الكريم ﷺ[1].

يقول ابن خلدون عن سبب تلاشي الدول والمجتمعات هو: "أن الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها؛ السبب في ذلك أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية، فكثرت العصابة، واستكثروا أيضاً من الموالي والصنائع، وربيت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه، فازدادوا بهم عدداً إلى عددهم، وقوة إلى قوتهم؛ بسبب كثرة العصائب حينئذ بكثرة العدد، فإذا ذهب الجيل الأول والثاني وأخذت الدولة في الهرم لم تستغل أولئك الصنائع والموالي بأنفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها، لأنهم ليس لهم من الأمر شيء، إنما كانوا عيالاً على أهلها ومعونة لها، فإذا ذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ، فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة"[2].

والقرآن الكريم ينبه المصابين بداء الترف، ويلفت أنظارهم إلى القانون الرباني في عقاب المترفين بأساليب متنوعة، فتارة يجمل، وتارة يفصل، وتارة يُمثل، قبل أن ينزل عليهم العقاب الشديد الذي يستأصلهم، ومن ذلك:

1- التفكر والتدبر بإهلاك الأمم السابقة: إن الله ﷻ يأمر الناس جميعاً إلى النظر والتفكر والتدبر في قصص المترفين عبر القرون لعل وعسى من يتعظ أو يعتبر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ الروم:9-10، حيث يلفت القرآن الكريم نظرنا إلى أن الإنسان يبحث عن ثلاثة أشياء فإذا حصل عليها ولم يكن عنده رادع من دين وخلق عتى وتكبر وتجبر وهي: قوة جسميه فيه أو في أعوانه، وقوة مالية تحت تصرفه، وقوة ظهرية يستند عليها عند الضعف والفتور وهي الحصون والبنيان، فجاء القرآن ليخبرنا أنه تعالى أهلك من قبل أمماً كانوا أكثر قوة في الأجساد، وأكثر أموالاً وغنىً، وأبنيتهم كانت أشد منعة وقوة، فلم تغنِ عنهم شيئاً عندما جاء عقاب الله وبأسه؛ بما كذبوا الله ورسله، وأعرضوا عن أوامره ونواهيه[3].

1- انظر سنة الترف والفساد، بحوث المؤتمر الخامس لكلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية.

2- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص18.

3- انظر الرازي، مفاتيح الغيب (83/25).

لم يكتف القرآن الكريم بالتذكير بأحوال الأمم السابقة، بل أمر بالنظر بأحوال القرى المجاورة كيف كانت عامرة بسكانها وأهلها فأصبحت خاوية على عروشها، بنزول عذاب الله بأهلها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأحقاف:27، يقول تعالى ﷻ لكفار قريش محذّرهم بأسه وسطوته أن يحلّ بهم عقابه على كفرهم فقال: لقد أهلكنا أيها القوم من القُرَى ما حول قريتكم، كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمَثُلات، وخرّبنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها، فقد وعظناهم بأنواع العظات، وذكرناهم بضروب من الذِّكْر والحجج، وبيَّنا لهم ذلك ليرجعوا عما كانوا عليه من الإقامة على الكفر بالله وآياته، فأبوا إلا الإقامة على كفرهم، والتمادي في غيهم، فأهلكناهم، فلن ينصرهم منا ناصر[1].

2- **الأخذ بالمحنة والشدة والبأساء والضراء:** وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك بالتفصيل في مبحث سابق.

3- **فسوق المترفين:** قال تعالى: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الأسراء:16، وقال ﷻ أيضاً: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:123]، والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال والخدم وكل أسباب الراحة، فينعمون بالدعة والملك والسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والمجون، وتستهتر بالقيم والمبادئ والمقدسات والكرامات، وتولغ في الأعراض والحرمات، فإذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم، وينهاهم عن فعالهم؛ عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتتفكك، وتفقد حيويتها، وعناصر قوتها، وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها. يقول الشيخ محمد حجازي: "إن الأكثرية الكثيرة من المترفين اتبعوا ما أترفوا فيه، من نعمة وعافية ودولة وسلطان، فكانت لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، ولكنهم عقدوا عزمهم على اتباع الشهوات، وساروا وراء ما فيه التنعم والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء، ورفضوا ما وراء ذلك، ونبذوه وراءهم ظهرياً، وكانوا مجرمين"[2].

1- الطبري، جامع البيان (132/22).

2- الحجازي، محمد محمود. التفسير الواضح. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد، 1413هـ- 1992م. (155/2).

إن المترفين هم أعداء الأنبياء والرسل، وهم معرقلون لكل إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، معتمدين على أموالهم وخدمهم وحشمهم وسلطانهم وجاههم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:34-35]، يقول الشيخ محمد حجازي: "إن الترف هو الذي يدعو إلى السرف المفضي إلى الفسوق والعصيان والظلم والإجرام، يظهر هذا في الكبار والموسرين ثم ينتقل إلى الفقراء المعوزين؛ فتسوء حال الأمم وتتدهور أخلاقها"[1].

4- التدمير والهلاك: حين تفسد طبائع المترفين، ويتمادون في ضلالهم وانحرافاتهم، وحين يعيشون في مستنقع الغرور والكبر، ويقعون في براثن الكفر والشرك والضلال والفساد، حين يألفون الاسراف والتبذير ويتطبعون عليه، حين يعكفون على حياتهم الفاجرة، يسرحون ويمرحون ويفسدون في الأرض، ينشرون الفاحشة ويشيعون الرذيلة، من غير أن يجدوا من ينكر عليهم، فيأمرهم بمعروف أو ينهاهم عن منكر، عندها فقط يقع عليهم غضب الله بالهلاك والدمار، قال تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء:16، وقال أيضاً: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ الأنبياء:11. يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: "فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تدافعهم، ولم تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فَعمَّ فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك. وهي المسئولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين. فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق؛ فلم تسمح لهم بالظهور فيها، ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها، ويفسد، فيقودها إلى الهلاك"[2].

إن الترف آفة عظيمة ابتليت بها الأمة الإسلامية في هذا الزمان، فنحن نسمع عن بلاد إسلامية ينعم أهلها بكل وسائل الترف والراحة، وبلاد يتضور أهلها جوعاً عطشاً، بلاد يصرف مترفوها ملايين الدولارات على الكماليات وتوافه الأمور، بينما ليس عندهم استعداد أن ينفقوا عُشر هذا المبلغ للقضاء على المجاعات التي أهلكت ملايين من البشر.

إن ظهور المترفين في المجتمعات وازدياد أعدادهم مؤشر لبدء نزول عذاب الله، فهو بداية النهاية لهلاك الأمم، وإن وجود فئة قليلة حاكمة مترفة منعمة تملك كل شيء، وفئة كثيرة

1- المرجع السابق، نفس الصفحة.

2- قطب، سيد. في ظلال القرآن (2218/4).

لا تملك أي شيء، هذا تناقض مخالف لجوهر الإسلام، وحقيقة الدين القائم على العدل والمساواة، والإحساس بالآخرين.

خامساً: نماذج من المترفين في الأرض:

1- عاد الأولى: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ الفجر:6-8، وقوم عاد هم أول قوم عبدوا الأصنام بعد الطوفان، كانوا عَرَباً جفاة كافرين عتاة متمردين[1]، وإرم هي مدينة صنعها شدَّاد بن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح[2]، وأهل هذه المدينة كانوا مخصوصين في الدنيا بنوعين من الكمال: أحدهما: أن بساتينهم ومزارعهم كانت في غاية الطيب والبهجة، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ الشعراء:128-129، والثاني: أنهم كانوا في غاية القوة والبطش[3] ولذلك قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فصلت:15، وقيل: "إنهم كانوا طوالاً شداداً حيث أن الرجل منهم كان يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم"[4]، قوة في الجسد لا تدانيها قوة، وتفوق عمراني يفوق حد الخيال، بالإضافة إلى ذكاء حاد، ورجاحة في العقل، متمكنين من النظر والاستدلال[5]، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:38]، وأما ما جاء في قصة هذه المدينة: أن شداداً هذا سمع بذكر الجَنَّة وما فيها من البنيان والياقوت والزبرجد واللؤلؤ، فرغب أن يفعل مثل ذلك في الدنيا؛ عتواً على الله عزوجل، فقال لعماله: انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد، وعلى المدينة قصوراً، وعلى القصور غرفاً، وفوق الغرف غرفاً، واغرسوا تحت القصور في أزقتها أصناف الثمار كلها، وأجروا فيها الأنهار حتى تكون تحت أشجارها، قالوا له: كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضة حتى يمكننا أن نبني مدنية كما وصفت؟ قال شداد: ألا تعلمون أن مُلْك الدنيا بيدي؟ قالوا: بلى، قال:

1- انظر ابن كثير، البداية والنهاية (141/1).

2- انظر مجاهد، تفسير مجاهد، ص272.

3- الرازي، مفاتيح الغيب (363/18).

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (385/8).

5- انظر الزحيلي، وهبة مصطفى. التفسير المنير (239/20). النابلسي، محمد راتب. عاد الأولى. 2001/9/15م، موسوعة النابلسي، http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=11141&id=175&sid=1529&ssid=1530&sssid=1531

فانطلقوا إلى كل معدن من معادن الجواهر والذهب والفضة فوكلوا بها حتى تجمعوا ما تحتاجون إليه، وخذوا جميع ما تجدونه في أيدي الناس من الذهب والفضة، فجعلوا يجمعون أنواع الجواهر عشر سنين، فبنوا له هذه المدينة في مدة ثلاث مائة سنة، وعمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وأخبروه بفراغهم منها أمر الناس بالتجهيز إلى إرم ذات العماد، فأقاموا في جهازهم إليها عشر سنين، ثم سار الملك يريد إرم فلما كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة؛ بعث الله ﷻ عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم قبل أن يدخلوها[1]، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ [النجم:50]، وقال أيضاً: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المؤمنون:41.

2- الدولة العباسية:

كان للترف أثر بالغ السوء في سقوط الدولة العباسية على يد المغول، حيث كان الترف معول هدم لطاقاتها، وقدراتها، وإضعاف للدولة حتى بلغ غايته بسقوطها أمام المغول التتار، ذلك السقوط المخزي المريع الذي لم يكن مثله سقوط في تاريخ الدولة الإسلامية.

كانت حياة بني العباس مليئة بالترف والإخلاد إلى الأرض، والرضا بمباهجها، والتوسع في ذلك توسعاً عظيماً، إذ بنوا بغداد على هيئة عظيمة، وتوسعوا في بناء القصور ذات الأواوين الضخمة، وتفننوا في البناء والزينة، والزخارف والنقوش، والستائر والبسط، والأثاث والتماثيل، والتحف والأواني، وفي ألوان من الطعام والشراب، كما تألقوا في استخدام الجواهر والزينة، والطيب والملبس والثياب، متأثرين بالأزياء الفارسية، واهتموا بأدوات الترويح واللعب، كسباق الخيل، وسباق الحمام الزاجل، ولعبة الصولجان، والشطرنج، والنرد، والصيد بالبزاة، والصقور، والشواهين، والكلاب، والفهود، وهذا يدل على حياة الترف والبذخ الذي كان يتمتع به الخلفاء وأبناء البيت العباسي، والوزراء والقادة، وكبار رجال الدولة، والتجار، وبعض الشعراء والكتاب والمغنيين والعلماء. ولم يقف الأمر عند الخلفاء وأبنائهم بل شمل الأمر الخدم والمماليك، ويكفي أن نذكر على سبيل المثال: أن الخادم المملوك علاء الدين الطبرسي الظاهري وهو ممن اشتراهم الخليفة الظاهر، كان يُحَصَّل له من أملاكه نحو ثلاثمائة ألف دينار سنوياً، وكانت له دار لم تكن في بغداد مثلها، كذلك مجاهد الدين آيبك الديودار المستنصري، لقد ملك جزيل الأموال من العين والرقيق والدواب، والعقار، والبساتين، والضياع، ويتعذر وصف ما أنفقه من قناطير مقنطرة من الذهب، والفضة والجواهر التي جهز بها أولاده وبناته. كما أنهم اهتموا بالمظاهر الكاذبة، والتظاهر بالفخفخة والأبهة الملوكية، فالمواكب التي كانت تخرج في مناسبات

1- انظر ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (4/441-442). الزمخشري، الكشاف (4/748).

العيد والتتويج كانت تشغل الناس، حتى أنهم كانوا يتناسون أنفسهم، ويتشاغلون عن أداء الصلوات، ومن ذلك الموكب الملكي الذي خرج يوم عيد الفطر سنة 640هـ واستمر إلى الليل، وصلى الناس صلاة العيد قبل نصف الليل قضاء، وكذلك كان الأمر سنة 644هـ، وأما تقبيل الأرض بحضرة الخليفة مرات عديدة فمن الأمور المألوفة وكذلك تقبيل اليد، وعتبة باب النوبي، وحافر الخيل والأرض والرخام، وقد تميز هذا العصر بكثرة المصادرات، وتفشي الرشوة وعزل كبار الموظفين، وإلقاء القبض عليهم، وبيع ممتلكاتهم، واشتد الفساد الأخلاقي، والانصراف إلى الملاهي، والقيان، والتكاثر في الأموال، وأما الشعب فيكدح ويعيش في بؤس وشقاء، ويتحمل أعباء الحياة إلى حد كبير، في حين كانت خزائن الدولة مملوءة تحمل إليها الأموال والذهب والفضة من جميع أرجاء الدولة[1].

ذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: "أنه في الوقت الذي كان التتار يحاصرون بغداد ويحيطون بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، كانت جارية تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه وتسمى عرفة فجاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه وإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم. وأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز وكثرة الستائر على دار الخلافة"[2]، والأمر كان أكبر من ذلك،

وهذا المؤرخ ابن الأثير[3]رحمه الله ينعي على الإسلام وأهله، ويصف أحوال ملوكه قبيل وفاته بسنتين فيقول معلقاً على أحداث سنة 628هـ، وهي سنة دخول التتار الجزيرة وديار بكر[4] ما نصه: "فالله تعالى ينصر الإسلام والمسلمين نصراً من عنده، فما نرى في ملوك الإسلام من له رغبة في الجهاد، ولا في نصرة الدين؛ بل كل منهم مقبل على لهوه ولعبه وظلم رعيته، وهذا أخوف عندي من العدو"[5].

مثال: الخليفة العباسي القاهر بالله: هو: أبو منصور، محمد بن المعتضد بن طلحة ابن المتوكل، القاهر بالله، هو الخليفة التاسع عشر في ترتيب الخلفاء العباسيين، ولد في سنة

1- انظر الصلابي، علي محمد. المغول التتار بين الانتشار والانكسار. ط1. مصر: الأندلس الجديدة، 1430هـ - 2009م. ص238-240.

2- ابن كثير، البداية والنهاية (200/13).

3- ابن الأثير: هو علي بن محمد بن محمد، أبو الحسن الجزري، الشيخ، الإمام، العلامة، المحدث، الأديب، النسابة، مات سنة ثلاثين وست مائة. انظر سير أعلام النبلاء (353/22- 356).

4 - انظر المرجع السابق، (150/13).

5- ابن الأثير، الكامل في التاريخ (447/10).

286هـ، أسوأ وأخبث خليفة عباسي، وأكثرهم شراً ودناءة، تولى الخلافة في شوال سنة 320هـ، بعد مقتل أخيه الخليفة المقتدر بالله، والذي كان دائم الإحسان إليه، كان محباً شرهاً للمال، كان أول أمر فعله بعد توليه الخلافة مصادرة أموال أسرة أخيه، فبدأ بزوجة أبيه أم المقتدر، حيث قام بتعذيبها وضربها حتى تعترف بمخبأ المال، ولم يتركها إلا بعد أن تنازلت عن كل أملاكها وأوقافها له، وكذلك فعل مع أولادها[1]، ثم تتبع كبار رجال دولة أخيه، فقتلهم الواحد تلو الآخر، وسلب أموالهم، وقتل خصومه الذين كانوا يزايدون عليه قبل تولي الخلافة، وكانت أخلاقه في منتهى السوء والخسة والنذالة، فلقد أمر ببيع كل الجواري المغنيات في بغداد على أنهن سواذج، ثم دس في الأسواق من اشتراهن بأبخس الأثمان، قال ابن الاثير: وإنما فعل ذلك لأنه كان محباً للغناء؛ فأراد أن يشتريهن برخص الأثمان، وكان القاهر مشتهراً بالسماع والغناء[2]، وقد قتل القاهر أميرين كبيرين هما إسحاق النوبجتي وأبا السرايا؛ لأنهما زيداه من قبل أن يلي الخلافة في جاريتين مغنيتين، كما أنه منع بيع الخمر، وتحريم شربها وجميع الأنبذة، ومع ذلك كان سكيراً لا يفيق من السكر، فاجتمع بعض الأمراء والوزراء على خلعه، فعلم القاهر بخططهم، فقام القاهر بإحراق بيوت من تآمر عليه، وقطع رؤوسهم، ثم وضعت في طست، وطيف بالرؤوس في بغداد، ونودي عليهم: هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى في الدولة فساداً، ثم أعيدت الرؤوس إلى خزائن السلاح، ونُهبت بغداد، وهاجت الفتنة[3]، فلما كثر فساد القاهر، وظلمه وبطشه، وإسرافه على نفسه في نهب الأموال، قام وزيره مع جماعة من الجند بالإحاطة بقصره، وألقوا القبض عليه وهو مخمور، فحبسوه، وطلبوا منه أن يخلع نفسه، ويبايع أبا العباس أحمد بن المقتدر بالله، فأبى، فسملوا عينيه، فبقي أعمى لا يبصر[4]، وقد بلغ من حبه للمال أنه كان له قصر مزخرف جميل جداً، فيه بستان فيه أطيب الثمر، فعندما طالبه الراضي بأمواله التي خبأها أنكرها، فعذب بأنواع العذاب، فما أقر بشيء، فأخذه الراضي بالله، فقربه وأدناه، وقال: ترى مطالبة الجند لنا، والذي عندك ليس بنافعك، فاعترف به، قال: أما إذ فعلت هذا فالمال دفنته في البستان، فقال: وفي أي مكان هو؟ قال: أنا مكفوف ولا أهتدي إلى البقعة، فاحفر البستان تجده. فحفروا البستان وأساس القصر، وقلعوا الشجر فلم يوجد شيء. فقال: وأين المال؟ قال: وهل عندي مال؟ ! ! إنما كان حسرتي في جلوسك في البستان وتنعمك ففجعتك

1- انظر ابن كثير، البداية والنهاية (171/11).

2- انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ (12/7).

3- انظر ابن كثير، البداية والنهاية (173/11).

4- انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ (20/7).

به. فأبعده وحبسه[1]، "وكانت خلافته سنة ونصف وأسبوع"[2]، وكانت خلافته جامعة للمعايب والقبائح، وما تسمى أحد بالقاهر إلا وقهره الله ﷻ[3].

3- دولة الإسلام في الأندلس: سقطت بلاد الأندلس سقوطاً ليس بالمفاجئ، فقد استمرت أكثر من 200 سنة، وصبرت البلاد كثيراً، وعندما نحلل عوامل انحدار الأمم وضياعها وسقوطها؛ نجد أموراً متشابهة جداً في كل فترات الضعف، ففي تاريخ الأندلس نجد أن هذه الأمور قد زادت بشدة في فترة غرناطة؛ ولذلك كان السقوط كاملاً وحاسماً، وسبب ذلك هو: الإغراق بالترف، والركون الشديد إلى الدنيا، وإلى الملذات والشهوات، والخنوع والدعة والميوعة، فقد ترتبط دائماً فترات الهبوط بكثرة الأموال، والانغماس في الملذات، وميوعة شديدة جداً في شباب الأمة، وانحطاط كبير جداً في الأهداف[4]، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ الأنبياء:11 – 13.

يقول الدكتور شوقي أبو خليل[5]: "والحقيقة تقول: إن الأندلسيين في أواخر أيامهم ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم، وناموا في ظل ظليل من الغنى والحياة العابثة، والمجون، وما يرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر ... وغدا التهتك والإغراق في المجون، واهتمام النساء بمظاهر التبرج والزينة والذهب واللآلئ"[6]. "فلقد تنافس الحكام والولاة على الجواري حتى أصبحت ساحات للمعارك والقتال، وأصبح الاقتران بالنصرانيات سنة مبتدعة، فقد ذكر عدد من المؤرخين، أن أسباب مقتل ابن هود، أنه تنازع هو ونائبه ووزيره على جارية نصرانية، كل منهم يريدها لنفسه، والعدو يتربص بهم، فقام الوزير ودبر مكيدة لابن هود فقتله بها"[7].

1- انظر الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. القاهرة: دار الحديث، 1427هـ-2006م. (400/11).

2 – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3 – منصور، أحمد صبحي. الخليفة العباسي القاهر المقهور... قهرته امرأة.. ثم قهرها، الحوار المتمدن، العدد 3564، 2011/12/2م، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=285804.

4 – انظر السرجاني، راغب (19 رمضان 1423هـ)، الأندلس من الفتح إلى السقوط، موقع قصة الإسلام: http://www.islamweb.net.

5 – شوقي أبو خليل: هو كاتب وباحث فلسطيني، له العديد من المؤلفات من أشهرها كتابه "الإسلام في قفص الاتهام". حاصل على دكتوراه في التاريخ، توفي عام 2010م. انظر شوقي أبو خليل، موقع ويكيبديا الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/

6 – المرجع السابق، ص34.

7- العمر، ناصر بن سليمان: سقوط الأندلس دروس وعبر، http://www.yabeyrouth.com/pages/index2538.htm.

"وامتد ذلك ليصل إلى حد الاستخفاف بالدين عند بعض الناس، فقد ذكر ابن حزم[1]أن إبراهيم بن سيار[2]النظام كبير المعتزلة في الأندلس تعلق بحب غلام نصراني فألف له كتاباً في تفضيل التثليث على التوحيد تقربًا إليه!!"[3].

يقول عبد الله عنان[4]في نهاية الأندلس: "أن أبا الحسن– أحد زعماء غرناطة– ركن في أواخر أيامه إلى حياة الدعة، واسترسل في أهوائه وملاذه، واقترن للمرة الثانية بفتاه نصرانية رائعة الحسن، أخذت سبية في إحدى المعارك، واعتنقت الإسلام كما يقولون؛ ولهذا حل بالأندلس ما حل بها، وانشغل المسلمون في بناء القصور والدور، والاهتمام بالمزارع والبساتين، وعدوهم يخطط ويُعد لهم، ويعمل عمله الرهيب حتى أتاهم على حين غرة"[5].

ما أشبه اليوم بالأمس، فحالنا في هذه الأيام من جهة استعلاء عدونا علينا، وتمكنه منا، إنما هو من عند أنفسنا، فقد كنا أعزاء فصرنا أذلاء، وكنا سادة فأصبحنا عبيداً، وما ذلك إلا لأننا أعرضنا عن منهاج ربنا، وآثرنا ملذات الدنيا وشهواتها على ما عند الله، وفضلنا دنيا زائلة على جنة باقية، ولا حول لا قوة إلا بالله.

1- ابن حزم: هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، كان ابن حزم حافظا للحديث وفقهه، وكان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر، والمعرفة بالسير والأخبار. انظر سير أعلام النبلاء (184/18- 187).

2- إبراهيم بن يسار: هو النظام أبو إسحاق إبراهيم بن سيار، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ، ورد: أنه سقط من غرفة وهو سكران، فمات في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء (541/10-542).

3- الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. رسائل ابن حزم الأندلسي، (4ج). تحقيق: إحسان عباس. ج1، ط1/1980م. ج2، ط2/1987م. ج3، ط1/1981م. ج4، ط1/1983م. (278/1).

4- محمد عبد الله عنان: هو مؤرخ مصري بارز، اشتهر بوجه خاص بأبحاثه ومؤلفاته وتحقيقاته في مجال الدراسات الأندلسية، تعلم عنان منذ صباه الإنجليزية والفرنسية والألمانية، مات سنة 1986م. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

5- عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس، (5مج). ط4. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ – 1997م. (198/5).

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

هذه هي بعض النتائج التي توصلت إليها بعد هذه الدراسة:

1- إن لله تعالى سنناً لا تتغير وقوانين لا تتبدل، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب:62، وأن هذه السنن سنها الله ﷻ ليسير عليها الكون، وينتظم عليها أسس البنيان.

2- إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالله عز وجل لا يغير نعمة أو بؤس، ولا يغير عزًا أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة؛ إلا أن يغير الناس من مشاعرهم، وأعمالهم، وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم؛ وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم.

3- إن قصة الصراع بين أهل الحق من الصالحين وأهل الباطل من الظالمين قديمة جديدة، إنها تتجدد في كل عصر، وهذه القضية ترتبط بالوجود الإنساني نفسه، ومن طلب نهاية لها فقط طلب المستحيل، ما دام الإنسان حياً، متحركاً على ظهر الأرض.

4- ستكثر الفتن وتزداد بتقدم الزمان، حتى تطيش لها عقول الرجال، ويفارق الرجل أباه وأخاه، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قومٌ دينهم بعرض من الدنيا. حتى يصير الناس على فسطاطين، فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو غده.

5- الإنسان مستدرج، فكم من مستدرج بالنعم وهو لا يدري، مفتون بثناء الجهال عليه، مغرور بحلم الله وستره عليه، يُسبغ الله عليهم النعم وينسيهم الشكر، فإذا طال الأمد أخذهم الله بغتة.

6- الظلم ظلمات يوم القيامة، فقد حمل الظلم الناس على سفك دمائهم، واستحلال محارمهم، فكان عقابهم أن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم.

7- للظلم والطغيان أسباب كثيرة منها: الكبر، والعُجب، والحسد، والمال، والملك، والسلطة. وقد حاربه الله سبحانه وتعالى من خلال العديد من آيات القرآن الكريم التي حذرت منه، وكشفت قبحه وسوأته، ودعت إلى الابتعاد عنه ومواجهته بكل السبل المشروعة، نظراً لما ينتج عن وجوده من تلويث للحياة، وقتل للأحياء.

8- المكر ضربان: مكر محمود: وصف الله به نفسه فقال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل عمران:54، فهذا كمال، ولا يكون مكره إلا خيراً. ومكر مذموم: وهو مكر المخلوق الذي يراد

منه إيصال الظلم والشر إلى الغير، وهذا المكر لا يحيق إلا بأهله، قال تعالى: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر :43.

9- المكر صفة ذميمة، تدل على خبث الطوية والسجية، ولم تعرف البشرية أمة من الأمم اتصفوا بالمكر والاحتيال والخديعة كما اتصف به اليهود، فهم ذو طبيعة وحشية همجية، لا يباريهم فيها أحد، أمةٌ ممقوتة ملعونة، منبوذة من الناس، لا يكادون يحصلون على شيء من القوة والنفوذ والمال إلا وانقضوا على غيرهم انقضاض الفريسة على صيدها، ليس لهم عهد أو ميثاق، قتلة الأنبياء والمرسلين، أعداء الإسلام والمسلمين.

10- الترف هو تجاوز لإطار نمط الحياة التي حددها الله لنا، وأوصانا بها في كتابه الكريم ومن خلال سنة رسوله الكريم، وهو داء يصيب الناس أفراداً وجماعات. وإن ظهور المترفين في المجتمعات وازدياد أعدادهم مؤشر لبدء نزول عذاب الله، فهو بداية النهاية لهلاك الأمم، وإن وجود فئة قليلة حاكمة مترفة منعمة تملك كل شيء، وفئة كثيرة لا تملك أي شيء، هذا تناقض مخالف لجوهر الإسلام، وحقيقة الدين القائم على العدل والمساواة، والإحساس بالآخرين.

ثانياً: التوصيات:

1- إن الإلمام بالسنن الإلهية في الظالمين ومعرفتها، وفهمها، وادراكها، وربطها بالواقع من أسباب رفعة الامة، وقوتها، وازدهارها.

2- على أهل العلم والاختصاص والمصلحين والدعاة أن يأخذوا دورهم ويتقلدوا مكانتهم في توعية الناس بهذه السنن، وإعطاءها حقها من البيان والتوضيح، حتى يسير الناس إلى الله على بصيرة ونور.

وبعد أن وفقني الله للانتهاء من هذا العمل، والذي إن أحسنت فمن الله وحده، وإن أسات فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

رهف محمد حنيدق

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي. *قصر الأمل*. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط2. بيروت: دار ابن حزم، 1417هـ – 1997م.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. *الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة* تحقيق: عبد الرحمن بن صالح. ط1. الرياض: مدار الوطن ، 1424هـ– 2003م.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. *الكامل في التاريخ*، (10ج). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1417هـ– 1997م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، (5ج). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ – 1979م.

ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، (5ج). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م.

أحمد، خالد رمضان. *الطغاة والطغيان في القرآن الكريم*، مجلة البيان، العدد 294، صفر/1433هـ– يناير/2012م.

الأحمد، ناصر بن محمد. *تاريخ الحروب الصليبية*. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

اسبينداري، عبدالرَّحمن عمر. *الطُّغيان السِّياسيّ وسُبُل تغييره من المنظور القرآني*. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله. *عالم الجن والشياطين*. (1ج). ط4. الكويت: مكتبة الفلاح، 1404هـ – 1984م.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمسيري. *السلف الصالحين*. لإسماعيل بن محمد الأصبهاني. تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد. الرياض: دار الراية. (د. ط). (د. ت).

الابتلاء بالنعم، موقع الكلم الطيب:

http://www.kalemtayeb.com/index.php/kalem/safahat/item/

آل عبد العزيز، أبو أنس محمد بن فتحي. الملاح، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد. *فتح*

الرحمن في بيان هجر القرآن. ط1. السعودية، الرياض: دار ابن خزيمة، 1431هـ – 2010م.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري. *تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي*. ط1. مكتبة المعارف، 1420هـ- 2000م.

الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء. *غاية الأماني في الرد على النبهاني*، (2ج). تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي. ط1. المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة الرشد، 1422هـ- 2001م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، (16ج). تحقيق: علي عبد الباري عطية. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1995م.

الإمام، أبو نصر محمد بن عبد الله. *إنقاذ المسلمين من وسوسة الجن والشياطين*. اليمن: دار الحديث بمعبر. (د. ط). (د. ت).

الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. *رسائل ابن حزم الأندلسي*، (4ج). تحقيق: إحسان عباس. ج1، ط1980/1م. ج2، ط1987/2م. ج3، ط1981/1م. ج4، ط1983/1م.

الأنس، رجب نصر موسى. *سنة الابتلاء في القرآن الكريم*. رسالة ماجستير. كلية أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2007م.

الأنصاري، عبد الأول بن حماد. *المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري* (رحمه الله)، (2ج). ط1. (د. ن). (د. ت).

بادحدح، : علي بن عمر بن أحمد. *كثرة الفتن تجعل حاجتنا إلى التزكية أكثر من حاجة السلف إليها*. درس صوتي. قام بتفريغه موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net

بارقعان، أبو يحيى أشرف بن عبد الحميد بن محمد. *مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين*. الموسوعة الشاملة.

البجلي، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد: *الفوائد*. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط1. الرياض: مكتبة الرشد، 1412هـ- 1991م.

البخاري، *الأدب المفرد*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط3. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ – 1989م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = *صحيح البخاري*، (9ج). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي). (د. م)، 1422هـ- 2001م.

البدر، عبد الرزاق عبد المحسن: *خطر اليهود*، http://al-badr.net/muqolat/2565.

البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي. *التعريفات الفقهية*. ط1. بيروت: : دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق: *مسند البزار*. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1430هـ- 2009م.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. *شرح صحيح البخاري لابن بطال*، (10ج). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2. السعودية، الرياض: مكتبة الرشد، 1423هـ - 2003م.

بعد إفلاسه صورة قارون العصر .. *نهاية الملياردير السعودي عدنان خاشقجي على كرسي متحرك*، موقع المشهد اليمني: https://www.google.ps/search?q

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*، (8ج). تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش. ط4. دار طيبة، 1417هـ - 1997م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، (22ج). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. (د. ط). (د. ت).

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر. *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، (5ج). ط5. المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1424هـ-2003م.

ابن بن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. *المصنف في الأحاديث والآثار*، (7ج). تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ- 1988م.

البهي، محمد. *المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام*. مصر: مطبعة الأزهر. (د. ط). (د. ت).

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، (5مج). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418هـ - 1997م.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، *شعب الإيمان*. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي. ط1. الهند، بومباي: مكتبة الرشد، 1423هـ - 2003م.

البيهقي: *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية ، 1405هـ - 1984م.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري. *مشكاة المصابيح*، (3ج). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي، 1406هـ- 1985م.

تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط1. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1412هـ - 2000م.

تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية. (د. ط)، 1416هـ - 1995م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك. سنن الترمذي، (5ج). تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5). ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني. مجموع *الفتاوى*.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد. *جامع الرسائل*، (2ج). تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. الرياض: دار العطاء، 1422هـ - 2001م.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي. *البيان والتبيين*، (3ج). بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ- 2002م.

ابن جبر، أبو الحجاج مجاهد. *تفسير مجاهد*. تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر1410هـ - 1989م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. *كتاب التعريفات*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ -1983م.

الجليند، محمد السيد. *الوحي والإنسان– قراءة معرفية*. القاهرة: دار قباء. (د. ط). (د. ت).
الجمل، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد. *مخطوطة الجمل*، معجم *وتفسير لغوي لكلمات القرآن*، (5ج). ط1. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م–2008م.
الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. التبصرة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ – 1986م.
الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. *زاد المسير في علم التفسير*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1422هـ– 2001م
الجوزية، ابن القيم: *هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى*، تحقيق: محمد أحمد الحاج. ط1. السعودية: دار القلم– دار الشامية، 1416هـ– 1996م.
ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي. *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ– 1999م.
الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي. *المستدرك على الصحيحين*، (4ج). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ– 1990م.
ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ. *التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه*، (12ج). مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني. ط1. المملكة العربية السعودية، جدة: دار با وزير ، 1424هـ – 2003م.
ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ. صحيح *ابن حبان بترتيب ابن بلبان*. (18ج). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ – 1993م.
ابن حَبَنَّكَة الميداني، عبد الرحمن بن حسن الدمشقي. *أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها*. ط8. سوريا، دمشق: دار القلم، 1420هـ–2000م.
الحجازي، محمد محمود. *التفسير الواضح*، (3ج). ط10. بيروت: دار الجيل الجديد، 1413هـ– 1993م.
الحجازي، محمد محمود. *التفسير الواضح*. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد، 1413هـ–

1992م.
الحقيل، إبراهيم بن محمد. التنصير لم يكن غائباً (2-2) *قصة العلاقة بين النصرانية والإسلام*. مجلة البيان. http://books.islam-db.com/book/
حميد، عمر. *أعظم 10 معارك للمسلمين كان تعدادهم أقل من نصف عدد العدو*، 2014/12/27م، http://www.topsarabia.com
ابن حنبل، أحمد. *مسند الإمام أحمد*. (28مج). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (د. ط). (د. م). (د. ن). (د. ت).
ابن حنبل الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. *الزهد*. تحقيق: محمد عبد السلام شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ- 1999م.
الحنبلي، ابن رجب. *ذيل طبقات الحنابلة*، (5ج). تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط1. الرياض: مكتبة العبيكان - الرياض، 1425هـ - 2005م.
الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن. *روائع التفسير* (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، (2ج). تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد. ط1. المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، 1422هـ - 2001م.
الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي. *لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف*. ط1. دار ابن حزم، 1424هـ- 2004م.
الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن. *شرح حديث لبيك اللهم لبيك*. تحقيق: وليد عبد الرحمن محمد آل فريان. ط1. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، 1417هـ- 1996م.
حنيدق، محمد حسن. *كيف تصبح معالجاً بالقرآن*. الأردن: عمان. (د. ط). (د. ت).
الحوالي، سفر بن عبد الرحمن. العلمانية - *نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة*. رسالة دكتوراه. دار الهجرة. (د. ط). (د. ت).
ابن حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي. *البحر المحيط في التفسير*. (10مج). تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر. (د. ط). 1412هـ- 1992م.
الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي. *لباب التأويل في معاني التنزيل*، (4ج). تحقيق: محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م.
الخالدي، صلاح عبدالفتاح. *مع قصص السابقين في القرآن الكريم*. ط1. دمشق: دار القلم،

1408هـ – 1988م.

خصاونة، عماد عبد الكريم. قزق، خضر إبراهيم. السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل. *مجلة المنارة*، المجلد 15، العدد 2، 2009م.

الخضر، محمد سالم. البلاغة العمرية. ط1. *مبرة الآل والأصحاب*، 1435هـ– 2014م.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي. م*عالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود*. ط1. سوريا، حلب: المطبعة العلمية،1351هـ – 1932م.

الخطيب، شريف. *السنن الإلهية في الحياة الانسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك*، د. شريف الخطيب، رسالة دكتوراه. ط. 1415هـ–2004م.

الخطيب، عبد الكريم يونس. *التفسير القرآني للقرآن*، (16ج). القاهرة: عبد الكريم يونس. (د. ط). (د. ت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر، 1408هـ – 1988م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. *مقدمة ابن خلدون*. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن بكر. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، (7ج). تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1900م– 1994م. (291–290/3).

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، *الزركلي. الأعلام*. ط15. دار العلم للملايين، 1423هـ –2002م.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، التميمي السمرقندي. *مسند الدارمي المعروف بـ سنن الدارمي*، (4ج).

درقاوي، عبد الحكيم (2010/1/16م). *مفهوم التغيير في القرآن الكريم*، موقع الألوكة، 0http://www.alukah.net/sharia/

الديلميّ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو. *الفردوس بمأثور الخطاب*، (5ج). تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ– 1986م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. معجم *المحدثين*. ط1. الطائف: مكتبة الصديق، 1408هـ– 1988م.

الذهبي: محمد بن أحمد. *سير أعلام النبلاء*. القاهرة: دار الحديث، 1427هـ-2006م.
الراجحي، عبدالعزيز. *الإيضاح والتبيين لبعض صفات المؤمنين*. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).
الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ- 2000م.
الرازي، الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. *مختار الصحاح*، (1ج). تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، 1420هـ - 1999م.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. *الذريعة إلى مكارم الشريعة*. تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. القاهرة: دار السلام، 1428هـ - 2007م.
الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.
ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. *رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي*. (5ج). تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني. الفاروق الحديثة. ط2. ج1-2، 1424هـ - 2003م. ط1. ج3، 1424هـ - 2003م. ط1. ج4، 1425هـ - 2004م.
رشاد، يوسف. *الإعجاز النبوي في الفتن والملاحم*. ط1. مصر: دار الفاروق، 1430هـ-2009م.
رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين. *تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار*. (12ج). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (د. ط). 1990م.
الرقب، حسين صالح. *الوسائل الشرعية المعينة على الثبات*. 5 / 3 / 2008م، موقع د. صالح الرقب: http://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&nid=10
الرقب، صالح حسين. *واقعنا المعاصر والغزو الفكري*. فلسطين: غزة. (د. ط). (د. ت). 1431هـ- 2010م.
الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*، (40مج). تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية. (د. ط). (د. ت).
الزرجاشي، أبو زيد بن عباده. *سنة التدافع*، موقع ملتقى أهل الحديث.
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=

الزرقاء، مصطفى. *الكنز المرصود في قواعد التلمود*. (د. ط). (د. ت).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، (4ج). ط3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ- 1986م.

الزميلي، زكريا إبراهيم. والصيفي، رمضان يوسف. *صفات اليهود كما يصورها القرآن الكريم*. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية). غزة. المجلد الثامن عشر. العدد الثاني. يونيو 2010، ص122.

أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. *زهرة التفاسير*، (10ج). دار الفكر العربي. (د. م). (د. ط). (د. ت).

زيدان، عبد الكريم. *السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد*. مؤسسة الرسالة. (د. م).(د. ط). (د. ت).

الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي بن محجن البارعي. *تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ*، والحاشية ل شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ. ط1. القاهرة، بولاق: المطبعة الكبرى الأميرية. 1313هـ- 1892م.

زين العابدين، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، (6ج). ط1. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ- 1935م.

السبيعي، المهند. *الحكمة من تأخير عقوبة الظالمين*. 2014/6/2م، موقع حيران: /http://hayran.info/ar

السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي. *سنن أبي داود*، (4ج). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، صيدا: المكتبة العصرية. (د. ط). (د. ت).

السجستاني، محمد بن عُزير. *غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب*. تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران. ط1. سوريا: دار قتيبة، 1416هـ - 1995م.

السحيم، عبدالرحمن. *فتاوى في الرد على الشبه وتصحيح المفاهيم*. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

السديس، عبد الرحمن. *المخدرات والمسكرات آفة العصر*، موقع إسلام ويب. http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=28147

السرجاني، راغب. *الأندلس من الفتح إلى السقوط*، 19 رمضان 1423هـ، موقع قصة الإسلام: .http://www.islamweb.net

السرجاني، راغب. *الأندلس من الفتح إلى السقوط*. موقع قصة الإسلام.
%/http://islamstory.com/ar

السرجاني، راغب. *معركة الدونونية*. موقع وزارة الدفاع. جمهورية السودان، 2012/5/30م،
/http://mod.gov.sd/index.php/section-blog

السرجاني، راغب. *وادي لكة وثبة الإسلام إلى أوروبا*. موقع قصة الإسلام، 2011/1/12م.
/http://islamstory.com/ar

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، (4ج). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. مؤسسة الرسالة، 1420هـ -2000م.

السقاف، الشيخ عَلوي بن عبد القادر، ومجمعة من الباحثين. صور الظلم. *موسوعة الأخلاق الإسلامية*، موقع الدرر السنية على الإنترنت: /http://www.dorar.net/enc/akhlaq

السلمي، محمد بن صامل. *منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري* . ط1. السعودية: دار ابن الجوزي ، 1429هـ-2008م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. *بحر العلوم*. (د. ط). (د. ن). (د. م). (د. ت).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. *تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين*. تحقيق: يوسف علي بديوي. ط3. بيروت، دمشق: دار ابن كثير، 1421هـ - 2000م.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي. *تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط1. السعودية: دار الوطن، 1418هـ-1997م.

السيوطي، جلال الدين: معجم *مقاليد العلوم في الحدود والرسوم*، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة. ط1. القاهرة: مكتبة الآداب، 1424هـ - 2004م.

السيوطي، جمع *الجوامع أو الجامع الكبير*. موقع ملتقى أهل الحديث، قام بتنسيقه وفهرسته للموسوعة الشاملة 2 أبو عمر(80). ص176. حديث غريب. أخرجه الديلمي عن ابن عباس (117/1، رقم 396). http://www.ahlalhdeeth.com.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. *الإتقان في علوم القرآن*، (4ج). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974م.

شارون .. *سجل دموي من قبيه حتى جنين*. وأرييل شارون جنرال المجازر، موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/news/international/

شاهد ديدات، أحمد. *ماذا يريد النصارى من المسلمين؟* فيديو على يوتيوب. https://www.youtube.com/watch?v=OCvZsMs3f44

الشجاع، أحمد. *واقع المسلمين في أثيوبيا بين الغثائية والضياع (تقرير)*، أخبار العالم الإسلامي والأقليات المسلمة، موقع أنصار السنة، وموقع السيرة النبوية: http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=3910.

الشحود، علي بن نايف. *موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة*. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

الشحود، علي بن نايف: *المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى*. المكتبة الشاملة.

ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن. *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)*. تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1415هـ- 1994م.

الشريف، محمد بن شاكر. *الفتن في صراع الحق والباطل*. مجلة البيان. العدد 315. أكتوبر 2013م، http://www.albayan.co.uk/text.aspx?id=3106

الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي*، (20ج). مصر: مطابع أخبار. (د. ط). (د. ت).

شفيق، منير: *الاموال العربية في الغرب لماذا؟* 2013/1/11م. موقع: الجزيرة نت. http://www.aljazeera.net/

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م.

شهوة حب الدنيا وجمع المال. موقع الكلم الطيب: http://www.kalemtayeb.com/

الشهيد/عاطف عبيات، 2012/1/25م، موقع الملتقى الفتحاوي: http://vipserag.forumr.net/t2230

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني. *فتح القدير*، (6ج). ط1. دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ- 1994م.

صبرا وشاتيلا... ذاكرة الجرح الفلسطيني النازف. موقع الجزيرة نت: http://www.aljazeera.net/news/arabic/.

الصلابي، علي محمد. *المغول التتار بين الانتشار والانكسار*. ط1. مصر: الأندلس الجديدة،

1430هـ – 2009م.
الصلابي، علي محمد. *فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم*. ط5. دار المعرفة، 1430هـ – 2009م.
الطبري، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد. *الرياض النضرة في مناقب العشرة*، (4ج). ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ت).
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. *جامع البيان في تأويل القرآن*، (24ج). ط1. مؤسسة الرسالة. (د. م)، 1420هـ – 2000م.
الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. *تاريخ الرسل والملوك*، (11ج). ط2. بيروت: دار التراث، 1387هـ– 1966م.
طرق الشيطان الرجيم في إضلال العبيد. موقع اسلام ويب.
http://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&id=
الطغيان في الأرض: مقال ل: إبراهيم بن صالح العجيلان، 2011/1/26م، موقع الألوكة:
http://www.alukah.net/sharia/0/29296/
الطنطاوي، علي بن مصطفى. *نور وهداية*. جمع وترتيب: حفيد المؤلف مجاهد مأمون ديرانية. ط2. المملكة العربية السعودية، جدة: دار المنارة، 1429هـ – 2009م.
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي. *التحرير والتنوير* (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، (30ج). تونس: الدار التونسية. (د. ط). 1405هـ– 1984م.
العاصمي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني. *حاشية كتاب التوحيد*. ط3. (د. م). (د. ن). 1408هـ– 1988م.
ابن عباس، عبد الله. *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*. جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. لبنان: دار الكتب العلمية. (د. ط). (د. ت).
عبد الجبار، صهيب. *المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة*، (22ج). (د. م). (د. ن). (د. ط). 1434هـ– 2016م.
عبد المنعم، هشام. تاريخ 2013/5/11م، *قصة الإسلام*: http://islamstory.com/ar
عبد الهادي، جمال. و جمعة، وفاء محمد رفعت. *افريقيا يراد لها أن تموت جوعاً*. ط3. المنصورة: دار الوفاء، 1411هـ– 1991م.
عبد الوهاب، إيمان. *المكر*. دراسة قرآنية: إيمان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية،

فلسطين، 2012م.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد. *شرح العقيدة الواسطية،*. خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل. ط6. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1421هـ– 2000م.

عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي. *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ*، (12ج). ط4. جدة: دار الوسيلة. (د. ت).

عدنان الخاشقجي ومحاولة البزوغ من رماد الاحتراق .. ترجمة أحمد المكاشفي، نقلاً عن: مجلة نيويورك تايمز: مايكل سلاكمان، موقع سودارس: 8363http://www.sudaress.com/sudanile/

عدنان خاشقجي رجل المال والسلاح والمخابرات: الإعلامي أحمد المسلماني، برنامج صوت القاهرة، قناة الحياة 2. https://www.youtube.com/watch?v=YsCxXiTayLo

عدنان خاشقجي، موقع أوراق الورد: http://awraq- .html42/blog-post_08/2015.blogspot.com/79

العراقي، أبو الفضل. *المغني عن حمل الأسفار*، (2ج). تحقيق: أشرف عبد المقصود. الرياض: مكتبة طبرية، 1415هـ – 1995م.

العسقلاني، ابن حجر. *الإصابة في تمييز الصحابة*، (8ج). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ –1994م.

العسقلاني، ابن حجر. *إنباء الغمر بأبناء العمر*، (4ج). تحقيق: د حسن حبشي. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1389هـ، 1969م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، (13ج). رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة. (د. ط). 1379هـ– 1958م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران . معجم *الفروق اللغوية*. تحقيق: الشيخ بيت الله بيات. ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قم)، 1412هـ– 1992م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ– 2001م.

العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، (14ج). ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ- 1995م.

العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله. وَا مُحَمَّدَاهُ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، (4ج). ط1. مصر: دار العفاني، 1427هـ - 2006م.

العفاني، سيد بن حسين. شذا الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ أحمد ياسين. غزة: مكتبة أفاق.

أبو علي مصطفى. ويكيبديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/

عماد، عبدة الشيطان(3): طقوس الإبليسيون وتفاصيل ممارساتهم العجيبة، 2009/12/3م، موقع كابوس: 9http://www.kabbos.com/index.php?darck=

العمار، ناصر بن عبد الله: الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم، مجلة دعوة الحق- رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة، العدد 118، 1412هـ- 1991م.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، وفريق عمل. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. عالم الكتب. (د. م). 1429هـ - 2008م.

العمر، ناصر بن سليمان: سقوط الأندلس دروس وعبر،

.htm2538http://www.yabeyrouth.com/pages/index

عملية الدرع الواقي. موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki/

عنان، محمد عبد الله. دولة الإسلام في الأندلس، (5مج). ط4. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1417هـ - 1997م.

العودة، سلمان فهد. الصراع بين الحق والباطل. موقع صيد الفوائد.

.htm12http://www.saaid.net/alsafinh/

العودة، سلمان فهد. مطارق السنن الإلهية. موقع إسلام ويب:

http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioi

14001d=

العودة، سليمان فهد. الصراع بين الحق والباطل، موقع صيد الفوائد.

.htm12http://www.saaid.net/alsafinh/

عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1421هـ- 2001م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. معارج القدس في مدراج معرفة النفس. ط2. بيروت: دار

الآفاق الجديدة، 1396هـ-1975م.
أبو فارس، محمد. الابتلاء والمحن في الدعوات. ط1. عمان: دار الفرقان، 1417هـ-1996م.
الفراتي، عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. سوريا، حلب: المطبعة العصرية. (د. ط). (د. ت).
أبو الفضل، محمود ثروت. معركة ملاذ كرد: يوم أسر المسلمون إمبراطور الروم، 2015/7/11م، موقع الألوكة، http://www.alukah.net/culture/0/89121/
الفقهاء، محمد. سلسلة المكر في القرآن الكريم. ج2. موقع منتدى الطريق إلى الله، http://forums.way2allah.com/showthread.php?t=251745.
الفوزان، إبراهيم. لماذا تفوق أهل الباطل على أهل الحق. 1430/11/12هـ، موقع المسلم: http://www.almoslim.net/node/119803
الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، (1ج). ط4. دار ابن الجوزي، 1420هـ-1999م.
الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله. شرح مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب. ط1. الرياض: دار العاصمة، 1421هـ-2005م.
الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1426هـ - 2005م.
قاسم، رياض محمود. و زعرب، بهاء حسن. الاستدراج في القرآن الكريم. بحث محكم. غزة: الجامعة الإسلامية، 1436هـ- 2015م.
القاسمي، محمد جمال الدين. محاسن التأويل. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت). http://www.islamicaudiovideo.com
القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ للقاضي عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، (8ج). تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل. ط1. مصر: دار الوفاء، 1419هـ - 1998م.
القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، الرياض: مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي. (د. ط). (د. ت).
قديح، سمير محمود. عملاء الموساد وراء اغتيال القادة الثلاثة، 2006/1/13م، موقع دنيا

الوطن: http://www.alwatanvoice.com/

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (10مج). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري. بهجة المجالس وأنس المجالس. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد. (1ج). بيروت: دار صادر. (د. ط). (د. ت).

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (10ج). ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، 1323هـ- 1902م.

القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، (5ج). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ط). (د. ت).

قصة قارون: موقع سماء الإسلام 1429/6/16هـ.
http://islamsky.net/speechesDetail.php?id=25

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي. في ظلال القرآن. (6مج). ط17. القاهرة، بيروت: دار الشروق، 1412هـ- 1991م.

قطب، محمد. رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، السنن الربانية التي تحكم أوضاع الجاهلية المعاصرة. موقع منبر التوحيد والجهاد:
http://www.ilmway.com/site/maqdis/MS_34274.html

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (2ج). تحقيق: محمد حامد الفقي. السعودية: مكتبة المعارف. (د. ط). (د. ت).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (2ج). تحقيق: محمد حامد الفقي. المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة المعارف. (د. ط). (د.ت).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء. (1ج). ط1. المغرب: دار المعرفة، 1418هـ - 1997م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. الوابل الصيب من الكلم الطيب. تحقيق: سيد إبراهيم. ط3. القاهرة: دار الحديث، 1420هـ- 1999م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. روضة المحبين ونزهة المشتاقين. بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ط). 1403هـ-1983م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. زاد المعاد في هدي خير العباد، (5ج). ط27. ، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ -1994م.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (2ج). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي، 1416هـ- 1996م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (2ج). بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ط). (د. ت).

الكتاب المقدس. ط3.القاهرة: هليوبوليس، 1429هـ-2008م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. البداية والنهاية، (14ج). تحقيق: علي شيري. ط1. دار إحياء التراث العربي، 1408هـ - 1988م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، (8ج). تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع،1420هـ - 1999م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. (5ج). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله. ط1. دار الرسالة العالمية،1430هـ - 2009م.

مارسدن، فيكتور. بروتوكولات حكماء صهيون. ترجمة عجاج نويهص. توافق نصوص الطبعة الإنكليزية الحادية والثمانين الصادرة سنة 1958م.

مجزرة جنين 2002م. مجزرة جنين. موقع الثورة الإخباري: :
152http://thawra.ps/ar/index.php?ajax=preview&id=

مجزرة جنين. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة. (د. ط). (د. ت).

محاضر التحقيق: تفاصيل اغتيال القادة الثلاثة، 2015/5/2م: موقع كرمالكم:

http://www.kermalkom.com/more

محمد، مهاتير: كلمة رئيس وزراء ماليزيا، المؤتمر العاشر للاستثمار وأسواق المال العربية، بيروت، (2 /6/ 2004م). موقع عربي.

/http://arabic.cri.cn/1/2004/06/25/64@19382htm.

المدافعة والتوسط بين الحق والباطل، ملتقى الخطباء، 27-10-1430هـ.

http://vb.khutabaa.com/showthread.php؟

مذبحة صبرا وشاتيلا. موقع ويكيبديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/wiki

المراغي، أحمد بن مصطفى. تفسير المراغي، (30ج). ط1. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365هـ- 1946م.

المروزي، نعيم بن حماد أبو عبد الله. كتاب الفتن، (2ج). تحقيق : سمير أمين الزهيري. ط1. القاهرة: مكتبة التوحيد، 1412هـ- 1990م.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (35ج). تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة،1400م- 1980م.

المصري، جميل عبد الله محمد. حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة. العبيكان، 1409هـ-1988م ، ص79-85.

مظاهر الاحتكاك بين الإسلام والغرب، موقع منتديات ستار تايمز، 2010/9/2م.

http://www.startimes.com/?t=

المظهري، محمد ثناء الله. التفسير المظهري. تحقيق: غلام نبي التونسي. الباكستان: مكتبة الرشدية، 1412هـ- 1991م.

معركة الدونونية يوم من أيام الأندلس المجيدة، موقع الاتحاد العالمي لأمناء النسب الشريف على منهاج أهل السنة والجماعة، 2011/9/20م،

http://www.ansabcom.com/vb/t56980.html#.V97DV9fp1IU

معركة حطين: د. راغب السرجاني، 2011/3/15م. موقع قصة الإسلام،

http://islamstory.com/ar/

المقدم، محمد أحمد إسماعيل. عودة الحجاب، (3ج). ج1. ط10. دار طيبة، 1428هـ - 2007م. ج2 . ط1. القاهرة: دار ابن الجوزي، 1426هـ - 2005م. ج3. ط2. الإسكندرية: دار القمة، دار الإيمان1425هـ- 2004م،

الملاح، أبو أنس محمد بن فتحي آل عبد العزيز، أبو عبد الرحمن محمود بن محمد. فتح

الرحمن في بيان هجر القرآن. ط1. المملكة العربية السعودية: دار ابن خزيمة، 1431هـ – 2010م.

من سنة الله التدافع، شبكة السنة النبوية وعلومها. موقع المنهج.
26816http://www.almanhaj.com/vb/showthread.php?t=

المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري. فيض القدير شرح الجامع الصغير، (6ج). (ط. 1). مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ-1935م.

المنجد، محمد صالح. لماذا لا يعجل الله بهلاك الكافرين؟ ولماذا المسلمون في تأخر؟.
2006/8/4م. موقع الاسلام سؤال وجواب: 84091https://islamqa.info/ar/

المنجد، محمد صالح. مفسدات القلوب – الترف. موقع المنجد:http://almunajjid.com .

منصور، أحمد صبحي. الخليفة العباسي القاهر المقهور... قهرته امرأة.. ثم قهرها، الحوار المتمدن، العدد 3564، 2011/12/2م،
.285804http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=

المنصوري، عبد اللطيف. السنن الإلهية في هلاك الأمم الظالمة. موقع عبد اللطيف المنصوري: /.blogspot.com60http://elmansouri

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى. لسان العرب، (15مج). ط3. بيروت: دار صادر، 1414هـ-1993م.

مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة "جامعة اليرموك"، إربد، الأردن، 2007/4/18م.
/http://islamport.com/w/amm/Web

موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنن، المكتبة الشاملة. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).

الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. كواشف زيوف. ط2. دمشق: دار القلم، 1412هـ – 1991م.

النابلسي، محمد راتب. عاد الأولى. 2001/9/15م، موسوعة النابلسي،
.http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art

نبذة عن الامبراطور هيلاسيلاسي، موقع منتديات المسافر:
.html101910http://www.almosafr.com/forum/t

نبي، مالك بن الحاج عمر بن الخضر. وجهة العالم الإسلامي– المسألة اليهودية. ط1. (د. م).

(د. ن). 1433هـ- 2012م.
نجد، أسد. هيلاسيلاسي... كيف قتل؟. 2002/8/12م، موقع منتدى قلوب:
http://vb.qloob.com/
النخجواني، نعمة الله بن محمود، ويعرف بالشيخ علوان. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية. ط1. مصر، الغورية: دار ركابي، 1419هـ - 1999م.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. السنن الكبرى، (10ج). تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني. المجتبى من السنن= السنن الصغرى، (9ج). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. سوريا، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406هـ - 1986م.
النهاية في غريب الأثر (253/3)، موقع شبكة مشكاة الإسلامية،
(http://www.almeshkat.net)
نوح، السيد محمد. آفات على الطريق. (د. م). (د. ن). (د. ط). (د. ت).
النووي، محي الدين يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن حزام. شرح صحيح مسلم، (19ج). لبنان: دار الكتاب العربي، 1407هـ-1987م.
الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، (33ج). تحقيق: هاشم محمد علي بن حسين مهدي. ط1. بيروت: دار طوق النجاة، 1421هـ - 2001م.
الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري. ذم الكلام وأهله، (5ج). تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 1418هـ - 1998م.
الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. تهذيب اللغة، (8ج). تحقيق: محمد
ابن هشام، السيرة النبوية. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ - 1955م.
هميسه، بدر عبد الحميد. الإسرائيليات وحكم روايتها. موقع صيد الفوائد.
https://saaid.net/Doat/hamesabadr/185.htm
الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري. الزواجر عن اقتراف الكبائر،

(2ج). ط1. (د. م). دار الفكر، 1407هـ - 1987م.
الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (10ج). تحقيق: حسام الدين القدسي. (د. ط). القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ-1994م.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (4ج). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1994م.
الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، 1415هـ-1994م.
بدوي، منير محمود. مفهوم الصراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع. مجلة "دراسات مستقبلية"، العدد الثالث، يوليو 1997م، مركز دراسات المستقبل جامعة أسيوط- مصر.
وصف الظالمين في القرآن في ستة عشر وصفاً. بواسطة سراة الأزد، 2011/8/4م، مدونة أبوسعيد الأزدي، موقع المنتدى العربي للدفاع والتسليح: http://defense-/44059arab.com/vb/threads/
وطفة، علي أسعد. التربية على الاستبداد في العالم العربي: هل يأتي زمن التربية على المواطنة؟ مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، 2011/9/10م، http://www.mokarabat.com/s8533.htm
وفاة الطاغية هيلاسيلاسي. 2009/7/28م، موقع مفكرة الإسلام: -http://islammemo.cc/zakera/methl-haza
يعقوب، حلمي القمص. كتاب رحلة إلى قلب الألحاد، بذار ورجال، (2ج). الاسكندرية: كنيسة القديسين، مار مرقس والبابا بطرس. (د. ط). (د. ت).
يعقوب، محمد حسين: الترف ... مظاهره أسبابه علاجه. البريك، سعد بن عبد الله. الترف، موقع طريق الإسلام: http://www.saadalbreik.com/saad/inde
يمهل ولا يهمل شارون يتعفن وهو حي، موقع شبكة فلسطين للحوار: 798248https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=

الفهارس العامة

أولاً فهرس الآيات القرآنية

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
.18	﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ..﴾	275	67
.19	﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا ...﴾	285	129
سورة ال عمران			
.20	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ...﴾	7	98
.21	﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ...﴾	55-54	196
.22	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾	103	92
.23	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ ...﴾	104	128
.24	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ...﴾	105	43
.25	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	57	148
.26	﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ...﴾	175	40
.27	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ...﴾	178	120
سورة النساء			
.28	﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ.....﴾	26	8
.29	﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ...﴾	47	15
.30	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ ...﴾	83	40
.31	﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ...﴾	101	98
.32	إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	101	98
.33	﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ ...﴾	119	22
.34	﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾	119	22
.35	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ...﴾	119	21

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
36.	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ ...﴾	120	60
37.	﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	123	12
38.	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...﴾	157	206
سورة المائدة			
39.	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ...﴾	31-27	50
40.	﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾	41	98
41.	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	44	33
42.	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ...﴾	45	18
43.	﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	49	97
44.	﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ...﴾	50-49	34
45.	﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	51	87
46.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن﴾	54	156
47.	﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	64	173
48.	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ...﴾	72	15
49.	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً ...﴾	82	209
50.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾	90	217
51.	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ....﴾	45	33
52.	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ	91	40
سورة الأنعام			
53.	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ ...﴾	6	155

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
54.	﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا ...﴾	8	38
55.	﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ ...﴾	44	116
56.	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾	47	154
57.	﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ...﴾	68	148
58.	﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا	65	136
59.	﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي﴾	93	149
60.	﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾	110	169
61.	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا ...﴾	112	86
62.	﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ...﴾	113	87
63.	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ ...﴾	123	221
64.	﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ...﴾	124	193
65.	﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	129	176
66.	﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞ...﴾	135	148
67.	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ...﴾	153	44
68.	﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾	144	19
	سورة الأعراف		
69.	﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾	12	59
70.	﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ...﴾	17-14	60
71.	﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	18	116

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
.72	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ...﴾	19	40
.73	﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا ...﴾	20–21	60
.74	﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ ...﴾	24	37
.75	﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ...﴾	27	41
.76	﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ...﴾	28	41
.77	﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ....﴾	37	56
.78	﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾	44	151
.79	﴿ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ﴾	64	160
.80	﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ	65	178
.81	﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ ...﴾	66	74
.82	﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ ...﴾	67	74
.83	﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ....﴾	80–84	52
.84	﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم....﴾	97–99	199
.85	﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ...﴾	118– 119	56
.86	﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ..﴾	124	18
.87	﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ ... .﴾	127	18
.88	﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ ...﴾	127	147
.89	﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ...﴾	130	154
.90	﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ ...﴾	138	47

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.91	﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ....﴾	163	138
.92	﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ...﴾	165	153
.93	﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟...﴾	166	192
.94	﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾	176	118
.95	﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ..﴾	-182 183	118
.96	﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾	183	118
.97	﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ...﴾	186	170
.98	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ...﴾	201	62
	سورة الأنفال		
.99	﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ...﴾	25	93
.100	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾	30	185
.101	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ...﴾	36	91
.102	﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾	46	43
.103	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا﴾	53	20
.104	﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ...﴾	56	190
.105	﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾	47	135
	سورة التوبة		
.106	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟...﴾	23	18
.107	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ..﴾	32	87
.108	﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ...﴾	47	99

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
109.	﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي...﴾	49	99
110.	﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ...﴾	55	125
111.	﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً ...﴾	69	102
112.	﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ...﴾	105	ث
113.	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ...﴾	109	95
114.	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ...﴾	126	100
سورة يونس			
115.	﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ ...﴾	21	188
116.	﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ....﴾	32	56
117.	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ...﴾	71	72
118.	﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾	83	97
119.	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ ...﴾	88	132
120.	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ...﴾	92	155
121.	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ...﴾	98	152
سورة هود			
122.	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ...﴾	27	37
123.	﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ...﴾	56-53	191
124.	﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا ...﴾	60-59	39
125.	﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ...﴾	65	126
126.	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي...﴾	68-67	127

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.127	﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ...﴾	82	42-66
.128	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٍ ....﴾	96	55
.129	﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ ...﴾	102	160
.130	﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ ...﴾	112	171
.131	﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ...﴾	113	148
.132	﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ﴾	27	49
.133	﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾	27	50
سورة يوسف			
.134	﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ ...﴾	35-31	184
.135	﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ...﴾	87	62
.136	﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾	103	41
سورة الرعد			
.137	﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ..﴾	11	2
.138	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	11	21
.139	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ....﴾	28	66
.140	﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ ...﴾	32	159
.141	﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا...﴾	33	186
.142	﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾	17	36
.143	﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ﴾	41	198
سورة إبراهيم			

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.144	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ...﴾	7	32
.145	﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	7	142
.146	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ...﴾	14	88
.147	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ...﴾	18	94
.148	﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ ...﴾	46	185
سورة الحجر			
.149	﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ..﴾	2	124
.150	﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾	39	60
.151	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ..﴾	84-80	124
.152	﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	59	62
سورة النحل			
.153	﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ...﴾	26	198
.154	﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ...﴾	45	158
.155	﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ...﴾	63	60
.156	﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ...﴾	110	97
.157	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ...﴾	61	128
سورة الإسراء			
.158	﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ ....﴾	77	8
.159	﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ ...﴾	15	152
.160	﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾	16	213
.161	﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ...﴾	16	221

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.162	﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ....﴾	62	60
سورة الكهف			
.163	﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن ...﴾	29	149
.164	﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ...﴾	42-32	29
.165	﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ...﴾	46	48
.166	﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ ...﴾	56	160
.167	﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا ...﴾	58	117
.168	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾	57	18
.169	﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ ...﴾	80	170
سورة مريم			
.170	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ...﴾	59	217
.171	﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾	79	117
سورة طه			
.172	﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ ...﴾	71	145
.173	﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا ...﴾	81	171
.174	﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ...﴾	117	37
.175	﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ...﴾	118	59
.176	﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾	119	59
.177	﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾	123	59
.178	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ...﴾	129	128

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الأنبياء		
.179	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ...﴾	11	222
.180	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ..﴾	69	129
.181	﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾	97	150
	سورة الحج		
.182	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ...﴾	40	35
.183	﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	45	149
.184	﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾	78	91
	سورة المؤمنون		
.185	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ ...﴾	41	224
.186	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ...﴾	55	196
.187	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا ...﴾	76	153
.188	﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم ...﴾	56-54	116
.189	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ ...﴾	56-55	153
	سورة الفرقان		
.190	﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ...﴾	20	99
.191	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ...﴾	31	72
	سورة الشعراء		
.192	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ....﴾	19-18	18
.193	﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً ....﴾	-128 131	178
.194	﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾	130	144

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
195.	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ....﴾	208-209	152
196.	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾	227	148
سورة النمل			
197.	﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ...﴾	12	176
198.	﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا ...﴾	50	194
199.	﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ...﴾	52-49	126
200.	﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي...﴾	50-48	189
سورة القصص			
201.	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾	4	172
202.	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾	38	56
203.	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ﴾	38	154
204.	﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ﴾	39	172
205.	﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ ...﴾	50	148
206.	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾	58	134
207.	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ..﴾	77-76	121
208.	﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ﴾	83-76	131
سورة العنكبوت			
209.	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾	2-1	96
210.	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ...﴾	28	42
211.	﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ...﴾	31	149

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـة	م.
184	10	﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٌ ....﴾	.227
15	32	﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾	.228
199	43-42	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ...﴾	.229
13	43	﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ...﴾	.230
		سورة الصافات	
176	31-22	﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا...﴾	.231
129	97	﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴾	.232
		سورة ص	
73	72-71	﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ...﴾	.233
57	82	﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	.234
		سورة الزمر	
64	9	﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا ...﴾	.235
150	39	﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ...﴾	.236
31	49	﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا ...﴾	.237
149	51	﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ...﴾	.238
119	52-49	﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا...﴾	.239
13	65	﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن ...﴾	.240
128	10	﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	.241
		سورة غافر	
88	5-4	﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ ﴾	.242
17	26	﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ ....﴾	.243

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.244	وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ ...﴾	26	17
.245	﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾	45	184
.246	﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ﴾	29	17
.247	﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ...﴾	45	184
سورة فصلت			
.248	﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾	15	173
.249	﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ...﴾	16-15	136
.250	﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ ...﴾	23	65
سورة الشورى			
.251	﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾	8	148
.252	﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ....﴾	42-40	15
.253	﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَ﴾	40	149
.254	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ....﴾	42	149
.255	﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ....﴾	44	150
سورة الزخرف			
.256	﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ...﴾	24-23	217
.257	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ...﴾	51	175
.258	﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا ...﴾	54	155
.259	﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ...﴾	55	155
سورة الجاثية			
.260	﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ ...﴾	23	45

رقم الصفحة	رقم الآية	الآيـــة	م.
		سورة الأحقاف	
6	16	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ...﴾	.261
215	20	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾	.262
178	25-24	﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ...﴾	.263
153	27	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ...﴾	.264
121	26	﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ ...﴾	.265
		سورة محمد	
88	30	﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ...﴾	.266
155	38	﴿ويَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ...﴾	.267
36	3	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ ..﴾	.268
		سورة الفتح	
65	6	﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ ...﴾	.269
		سورة ق	
201	38	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾	.270
		سورة الذاريات	
187	52	﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ...﴾	.271
		سورة النجم	
102	23	﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ...﴾	.272
224	50	﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾	.273
		سورة القمر	
11	49	﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	.274

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
.275	﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾	3	38
	سورة الحديد		
.276	﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ...﴾	14	97
	سورة الممتحنة		
.277	﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً ...﴾	2	85
.278	﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾	5	99
	سورة التغابن		
.279	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ...﴾	14	111
.280	﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا ..﴾	14	112
.281	﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ...﴾	15	113
	سورة الطلاق		
.282	﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾	1	15
	سورة القلم		
.283	﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾	6–5	99
.284	﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ﴾	26–17	192
.285	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾	31	171
	سورة الحاقة		
.286	﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغية	5	170
.287	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ	7–6	156
.288	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ	11	170
	سورة نوح		
.289	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾	22	185

م.	الآيـة	رقم الآية	رقم الصفحة
.290	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ	24–22	187
	سورة المدثر		
.291	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ... ﴾	6–1	26
.292	﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾	53	190
	سورة النازعات		
.293	﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾	17	170
.294	﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	24	154
.295	﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى	25	155
.296	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا	38–37	174
	سورة البروج		
.297	﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ	8–4	178
.298	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾	10	99
	سورة الفجر		
.299	﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾	11	179
.300	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ	8–6	240
.301	﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ (١٠) ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟	13–10	149
	سورة الشمس		
.302	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾	8–7	74
.303	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ...﴾	10–9	74
.304	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ...﴾	14	126
	سورة العلق		
.305	﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ	7–6	174
	سورة التكاثر		

م.	الآيــة	رقم الآية	رقم الصفحة
306.	﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾	2−1	215

ثانياً– فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام